دعوني أنمو !

القمص تادرس يعقوب ملطي

https://coptic-treasures.com/

صرخة شبابية :

دعوني أنمو !

لمسات واقعية في عالم الشباب

القمص تادرس يعقوب ملطي

https://coptic-treasures.com/

+ أساء البعض اباحة طبع كتب المؤلف لكنائسنا بالداخل والخارج من جهة طريقة الطبع واستغلالها.

لايجوز طبع كتب المؤلف دون الاتصال به

+ تقوم الكنيسة باعادة طبع جميع الكتب السابقة وتوزيعها

بأقل من سعر التكلفة

الكتاب : دعونى أنمو.
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست ـ الكاتدرائية ـ العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٨/٥٣١٢ .

https://coptic-treasures.com/

قداسة البابا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

https://coptic-treasures.com/

يحمل شبابنا ــ فى مصر والخارج ــ الكثير من المشاعر والطاقات ،

إنه فى حاجة إلى من يعرف كيف يدخل عالمه ،

يتفهم أسراره الدفينة دون حكم مُسبق فى ذهنه ،

يبادله الحب بالحب فى انفتاح وتقدير لعواطفه وقيمه ،

يسنده دون أن يعوّقه عن النمو ،

يرشده دون أن يغتصب منه عجلة القيادة ،

يرافقه دون أن يصبه على شاكلته .

أتاوا نوفمبر ١٩٨٧

القمص تادرس يعقوب ملطى

https://coptic-treasures.com/

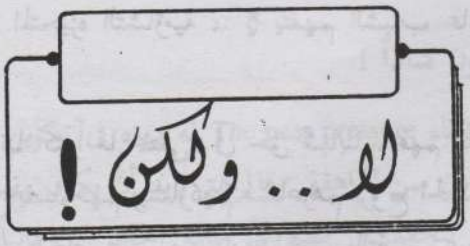

لازلتُ بتولاً !

« لا ... ولكن ! » ، هذه كلمات نطقت بها فتاة أمريكية فى سن المراهقة ، أثناء صراعها من أجل رفض ممارسة العلاقات الجنسية قبل الزواج ، بالرغم من الضغوط الشديدة التى عانت منها ، إذ قالت :

« أشكر الله أننى كنت قادرة على القول : « لا » ،
فإننى لازلت بتولاً ،
ولكن أدرك كيف قاربت جداً نحو القبول !
كم كان من الصعب علىّ أن أقول : « لا » ،
فإن الشهوة عنيفة فى حربها [1] » .

يكشف لنا هذا التعليق بطريق أو آخر عن الشوق الداخلى للشباب فى كل العالم نحو الحياة النامية المتعلقة والمتجهة نحو النضوج ، لكنهم كثيراً مايستسلمون، بسبب الضغوط العنيفة المتزايدة ... هذا ما يدفعنى للكتابة ــ فى شىء من الصراحة ــ إلى الشباب وإلى من يتعامل معهم .

مع مرور الزمن يلتهب قلبى شوقاً نحو الإلتقاء بشبابنا فى مصر أو الخارج ، راغباً فى الدخول إلى أعماق فكرهم ، والتلامس مع حياتهم الداخلية وأحاسيسهم ومشاعرهم ، كما مع سلوكهم الظاهر ، واقتحام عالمهم الخاص ، من أجل مصادقتهم فى الرب .

إننى أحس بالحاجة الملحة إلى ضرورة التلاقى بين الشباب والقيادات الفكرية والروحية كالوالدين والكهنة وخدام التربية الكنسية وعلماء النفس الخ ... على صعيد انفتاح القلب بالحب واتساع الذهن بالمعرفة الصادقة الملتحمة بالخبرة العملية مع الاحترام المتبادل . يتعرف البالغون على عالم الشباب فى واقعه الحق ،

https://coptic-treasures.com/

وليس خلال نظرتهم المتحيزة التشاؤمية ، كما يتفهم الشباب عالم البالغين بنظرة متعقلة حكيمة .

أقول بصدق ، إننا كثيراً ما نخطىء فى حق شبابنا ، فهم متعطشون إلى من ينصت إليهم بالحب ويصارحهم ويشاركهم مشاعرهم بروح الحكمة والفهم ، أى إلى من يدخل عالمهم الخاص بهم من باب الحب والتقدير عوض الاستخفاف والنقد اللاذع .

دعـــونى أنمو !

أحد الضغوط الشديدة التى يئن منها شبابنا ، شعور غالبيتهم أن الوالدين لايدركون حقيقة مشاعرهم ، خاصة النفسية والجسدية . فى ذهنهم أنهم لايقدمون لهم الحب الخالص القائم على التقدير والقبول « كأشخاص » لهم كيانهم الخاص وشخصياتهم المستقلة النامية ، بل يريدونهم أدوات طيّعة يشكلونها حسب أهوائهم الشخصية . وكأن قلوب الشباب غالباً ما تحمل صرخات خفية موجهة نحو الوالدين : « دعونا ننمو ! » .

الجسد والجنس !

يئن الشباب من ضغط الجسد بأحاسيسه وعواطفه . ففى استفتاء أُجرى بين ٣٠٥ من المراهقين بأمريكا أجاب ٣٠٤ منهم أن العلاقات الجسدية قبل الزواج تمثل أحد أهم ثلاثة مواضيع رئيسية تشغل ذهنهم [٢] . كما كتب مراهق بأن الشاب يقضى حوالى ١٧ ثانية من كل دقيقة يفكر فيها فى الجنس .

تحت ضغط النمو العاطفى السريع فى سن المراهقة ، والجديد بالنسبة للشخص، يتخيل البعض أن الإناث لسن إلا « جنساً » ، بل ويتصور البعض أن الحياة فى جملتها هى « جنس بحت » . هذا الفكر غالباً ما يدفع إلى وجود صدام بين الوالدين والمراهقين ، كلٌ يُخطِّىء الآخر فى نظرته للحياة . ففى مبالغة ينسب البعض سمة الفساد أو الاستهتار أو عدم الجدية فى الحياة إلى الشباب ، بينما ينسب الشباب لوالديهم عقم التفكير وجمود الحياة .

https://coptic-treasures.com/

لا أريد أن أكون شاذاً !

ضغط الأصدقاء The peer pressure له دوره فى تكوين شخصية الشاب أو الشابة ، خاصة فى سن المراهقة . فالمراهق يريد أن يكون مقبولاً ومحبوباً وناضجاً ، هذه الأمور إنما تتحقق فى نظره فى عالمه الخاص . غالباً ما يجارى الغير فى « تقليعة» أو « موديل » للملابس أو الشعر أو استخدام موسيقى معينة والاشتراك فى حفلات لها طابعها الخاص ، وربما فى التدخين وتعاطى المخدرات ، وممارسة العلاقات الجسدية قبل الزواج ، ليس عن اقتناع أو طلباً فى لذة معينة ، وإنما ليحقق وجوده فى عالم المراهقين ، وحتى لا يُتهم أنه « فرخة chicken » ، « إبن (ابنة) أبيه أو أمه » ، « طفل ساذج » ، « بلا خبرة » ، « شاذ جنسياً » ... مثل هذه الألقاب يستخدمها المراهقون للضغط حتى يمارس المراهق (أو المراهقة) حتى ما لا يقبله بعقله ولا تستسيغه نفسه . هذه الضغوط كثيراً ما تكون أكثر عنفاً من متطلبات عواطف المراهق الجسدية .

يقول الدكتور دوبسون James Dobson فى تسجيلاته الخاصة بـ « الإعداد للمراهقة » بأن الغالبية العظمى من الشباب الذى يتعاطى المخدرات سقطوا فيها للمرة الأولى لا عن رغبة فى اختبارها ، وإنما تحت الضغط العنيف وسخرية زملائهم .

إنى أقل من أصحابى ! إنى فى عزلة !

مشكلتان رئيسيتان يعانى منهما الشباب ــ فى الشرق كما فى الغرب ــ خاصة فى سن المراهقة ، هما الشعور بالنقص والإحساس بالعزلة . فغالباً مايشعر المراهق ــ من الجنسين ــ بالنقص ، إذ يتخيل فى نفسه أنه لايحمل جمالاً جسدياً مقبولاً ، أو قدرته فى الذكاء أقل من زملائه ، أو أنه لايجارى رفقاءه مادياً . هذا الشعور الخاطىء يسيطر على المراهق فى أعماقه ، لا يقدر أن يبيح به لوالديه أو أب اعترافه أو حتى لزملائه ، إنما يعمل على تغطيته بوسائل كثيرة ، منها تكوين علاقات مع الجنس الآخر ــ مهما كانت أبعادها ــ ليس رغبة فى العلاقات الجسدية الجنسية فى ذاتها ، وإنما لكى يؤكد لنفسه كما للغير أنه الشخص

https://coptic-treasures.com/

المحبوب، الجميل ، الذكى والجذاب للغير . لهذا سرعان ما يتنقل من « حب » إلى « حب » ، خلال علاقات متغيرة مع الجنس الآخر ، غايتها تغطية شعوره بالنقص ، الدَّفين فى أعماقه . لذات الهدف يلجأ أحياناً إلى الانتماء إلى « جماعة من المراهقين » ، مُشكِّلاً حياته حسب هواهم حتى وإن لم يسترح لتصرفاتهم بحسب فكره . أما بالنسبة للشعور بالعزلة ، فكثيراً ما يشعر المراهق (أو المراهقة) بالعزلة الداخلية القاتلة ، حتى وإن تجمَّع حوله كثيرون . فهو (أو هى) يحس بأن أفراد أسرته ومدرسيه وأصدقاءه لايدخلون عالمه ، عاجزون عن مشاركته مشاعره والتعرف على قدراته ومواهبه وشخصيته . يحس كأن الكل يتعامل معه على شاطىء حياته دون إدراك لأعماقه . لهذا سرعان ما يرتمى فى أحضان مراهق من الجنس الآخر له ذات المشاعر ، حاسباً أنه الوحيد فى العالم الذى يقدر أن يفهمه وأن يشاركه أعماق أحاسيسه . ويبقى هكذا فى خياله حتى يرتمى فى حضن شخص ثانٍ ، حاسباً أن الأول كان مخادعاً وغير صادق فى تصرفاته معه . وهكذا يتنقل من شخص إلى آخر يستجدى من يملأ فراغه وينزع عنه شعوره بالعزلة .

أريد أن أكون حراً !

أحد الضغوط التى تحطم حياة الشباب ، خاصة فى سن المراهقة ، نظرتهم الخاطئة للدين . كثيرون يحسبون الدين كبتاً وحرماناً وقيداً لتحطيم متعة الحرية والحياة المبهجة من أجل أمور مستقبلية غير أكيدة . كما يرون فى الدين فروضاً وواجبات وشكليات ... لذا يهربون من الحياة المتدينة ليمارسوا الحياة الجسدية والجنسية فى إباحية بلا ضابط دون أن تبكتهم ضمائرهم . هؤلاء يحتاجون إلى إدراك عمق الإيمان بكونه تلامساً واقعياً مع أبوّة الله الحانية والمترفقة ، التى لاتطلب سوى نضوج الإنسان ونموه الدائم وقدسيته ، من أجل التمتع بشركة حب مع الله ، تشبع أعماق النفس وتملأها فرحاً وسط متاعب الحياة الحاضرة .

أريد أن أتعلم !

إن فهمنا الجنس فى مفهومه الواسع الذى لايقف عند العلاقات الجسدية ،

https://coptic-treasures.com/

فمن أين يتلقن الشباب التعليم الصادق للجنس : من وسائل الإعلام ، أم من المدرسة ، أم من البيت ؟! .

يرى البعض أن وسائل الإعلام ــ خاصة فى البلاد المتقدمة ــ غالباً ماتصور العلاقات بين الجنسين من المراهقين بلا التزام ولا ضابط كحياة مفرحة ومبهجة دون الكشف عن نتائجها الخطيرة على حياة الأشخاص أنفسهم والجماعة .

نقص التعليم الجنسى السليم سواء فى المنزل أو المدرسة أو الكنيسة ، إذ يشتكى المراهقون بأن غالبيتهم تعلموا عن الجنس بطريقة خاطئة من أصدقائهم المراهقين الذين بلا خبرة .

يرى بعض الدارسين أن المدارس الأمريكية قد اهتمت بالتعليم الخاص بالجنس ، لكن غالباً من الجانب البيولوجى والوظيفى دون مراعاة الجانب الروحى وأيضاً الأخلاقى . لهذا يتعرف الشباب على الجنس وممارسته دون إنجاب أو مع الحذر من انتقال الأمراض الجنسية ، دون مساندتهم على التمتع بالحياة الطاهرة المقدسة . ومع هذا نجد أن عدد الفتيات اللواتى يحملن فى أمريكا (قبل الزواج) أكثر من مليون فى العام ، وقد بلغت عمليات الإجهاض بينهن حوالى النصف مليون فى السنة الواحدة .

عدم إدراك الوالدين ــ وبالتالى أولادهم ــ لمفهوم النضوج الحقيقى . غالباً مايلجأ الوالدان إلى التطرف ، فيتجاهل البعض نمو أولادهم ، إذ يريدونهم أطفالاً صغاراً لايحملون أية مسئولية ، يكتمون حياتهم ، ويغلقون على نموهم الفكرى والإنسانى ، أو بالعكس يظنون فيهم النضوج الكامل المفاجىء ، فيتركون لهم الحبل على الغارب ويُحملُونهم مسئوليات فوق طاقتهم ، وأحياناً يدفعونهم إلى ترك المنزل فى سن مبكر لبدء حياتهم العملية . فى كلا الحالتين غالباً مايجد الشباب ملجأهم فى ممارسة الجنس للهروب من مشاكلهم ولإشباع حاجاتهم النفسية بطريقة مؤقتة . فالفئة الأولى حيث يُحرم الأبناء من حريتهم يجدون فى ممارستهم الجنس بطريقة خاطئة مايؤكد لأنفسهم ثورتهم ضد الأسرة التى تريد حبس أولادها فى نطاق الطفولة ، متجاهلة شخصياتهم المستقلة ونموهم ، وكأنهم بممارستهم

https://coptic-treasures.com/

للجنس يحققون الرجولة أو الأنوثة الناضجة . أما الفئة الثانية فتجد ملجأها فى تكوين صداقات من ذات السن من الجنسين ، غالباً ما تمارس الجنس فى إباحية بلا ضابط وربما تتعاطى المخدرات .

لا طعم للجنس !

فى بداية السبعينات إذ ارتبطت حركة « الهيبز » بالجنس بصورة صارخة ، كنت ترى فى بعض البلاد الأمريكية الممارسات الجنسية على قارعة الطريق والأماكن العامة ، حتى ليخيل للانسان أن حياة الشاب منهم قد ارتبطت مع الشابة بطريقة جنسية لايمكن الاستغناء عنها .

سُئلت فتاة عن سبب ممارستها مع الشاب الجنس علانية ، وكانت الإجابة أن هذه الصورة يمارسانها فى الطريق ، ولا وجود لها قط فى حياتهما الخاصة فى المنزل. إنها استعراض خارجى يعيشه الشباب كجماعات تجد فى مظاهر الجنس ما يلفت الأنظار إليهم وما يحقق التقاءهم معاً كجماعات شبابية ... وهكذا لا أقول فقد الجنس قدسيته بل حتى وطعمه البشرى والطبيعى .

أذكر فتاة سقطت مع أكثر من شاب فى ليلة واحدة ، وعندما عادت تائبة فى صدق اعترفت أنها لم تكن تمارس الجنس لأجل ذاته ولا لاحتياج جسدى أو طبيعى إنما كانت تقوم بأدوار تمثيلية لكى تربط الشاب بها ولو إلى حين !! .

ماأريد تأكيده هنا هو ظهور مشاكل جنسية فى العصر الحاضر من نوع مغاير لما كان يواجهه الشباب منذ سنوات قليلة. أذكر على سبيل المثال ماقاله HarveyGCox أن الأطباء النفسانيين يرون بأن شكوى الشباب منذ سنوات كانت منصبة على معالجة ما يعانوه مما ورثوه على والديهم من كبت restrains وحرمان inhibitions ،

أما اليوم فيعانون من شهورهم بأن الجنس صار بلا معنى بالنسبة لهم تماماً ، ليس فيه لذة ، إذ يشعر الشخص كأن الطرف الآخر غير موجود نهائياً [٣] . فقد الجنس جوهره وقدسيته ، فصار لهواً بلا طعم ... هذه مشكلة يواجهها الشباب ، أفقدتهم حتى الاحساس بالعلاقة الزوجية والرغبة فى تكوين الأسرة ، أو الإنجاب .

https://coptic-treasures.com/

كثيراً ما التقيت مع بعض من الشباب فى الخارج ، وكانوا يتساءلون : لماذا ننجب أطفالاً ؟ لماذا نلتزم بالمسئولية تجاههم ؟ ما حاجتنا اليهم ؟! أسئلة تدل لى فقدان الإنسان طعم الحياة الأسرية وتذوق الأبوة والأمومة ! .

+ + +

هذه صورة مبسطة تكشف عن بعض نواحى الضغوط الشديدة التى يئن منها شبابنا ، تارة من داخلهم خلال عواطفهم الجسدية ونموها السريع ، وتارة من الظروف المحيطة بهم مثل الأسرة أو الأصدقاء أو وسائل الإعلام بل وأحيانا من رجال الدين . هذا ما يدفعنى للكتابة اليهم فى حب صادق مع وضوح وصراحة، لا لانتزاعهم من عالمهم الخاص بهم ، وإنما لكى يدركوا قدسية الحياة ، والتزامهم بالشهادة لمسيحهم وتمتعهم بخبرة إنجيلهم المفرح خلال حياة سوية وفكر ناضج وعواطف مقدسة وسلوك روحى مبهج للنفس ، دون كبت أو حرمان .

ليت روح الله القدوس يكشف لنا كيف يلتقى البالغون مع الصغار كأعضاء مقدسة فى الجسد الواحد ، كل له فاعليته ورسالته وحيويته ، فيعيش الكل بروح متناغم معاً كسيمفونية حب تحمل نغمات متنوعة دون تنافر . هذه هى الحياة الجديدة التى لنا فى المسيح يسوع مخلص الجميع وصديق كل أحد .

---

(1) Josh McDowell : What I wish my parents know about my sexuality ! , 1987, p 28.
(2) Ibid p. 63.
(3) J. C. Wynn : Sexual Ethics & Christian Responsibility, 1976, p 27 - 28.

https://coptic-treasures.com/

١
مسيح الشباب

الإلحاد المعاصر

التقت طالبة بكلية الصيدلة جامعة الاسكندرية بطالبة بكلية الصيدلة بألمانيا الغربية ، وكانت الأولى تتحدث مع الثانية عن الله كمحب للبشر ، يرافق الإنسان ويصادقه ، يسكن فى أعماقه ويشاركه مشاعره ...

كانت الألمانية تسخر من القبطية كفتاة متدينة ، تنظر إليها كإنسانة غير متقدمة لازالت تصدق فى وجود الله والعبادة له الخ ...

عادت القبطية إلى مصر لتتسلم خطاباً من زميلتها تقول لها فيه : « إنكِ سعيدة الحظ بالله الذى لك تتكئين عليه ، فإننى كنت أسخر منك ، لكن فى أعماق كنت أشعر إننى فى عزلة ... » .

الآن ، لماذا يهرب بعض الشباب من الله ؟ ولماذا يرتمى البعض فى أحضان الله ليجدوا فيه راحتهم ؟ .

الله فى مخيلة بعض الشباب فكرة مجردة أو كائن منعزل فى سمواته ، يحرك البشرية بعيداً عن واقعها الإنسانى ، يقدم وصايا وأوامر دون أن يتلامس مع أحاسيس الإنسان ومشاعره وعواطفه واشتياقاته وطموحه ومخاوفه وضعفاته ، لهذا ينفرون منه أو يطلبون إعتزاله ، إن لم ينكروا وجوده ويقاوموه .

أذكر إنسانا التقى بآخر من Quebec بكندا ، وإذ كان الأخير يمجد وجود الله، سأله الأول : « ماذا تفعل لو أنك فوجئت بالسيد المسيح قادماً والتقى بك؟» . أجابه : « أقول له : لا أريد أن أراك » . لا تعجب يا عزيزى من هذه الإجابة ، فهى ثمرة طبيعية لما ترسخ فى ذهنه عن الله ، انه مقتحم الحياة الإنسانية لكبت حريتها ، متجاهلاً واقعها البشرى .

هذه الصورة بعيدة تماماً عن الواقع المسيحى . مسيحنا الذى عرفناه هو كلمة

https://coptic-treasures.com/

الله السماوى الذى نزل إلى أرضنا ، وعاش بيننا كواحدٍ منا ، يشاركنا ذات طبيعتنا (يو ١ : ١٤) . شارك الأطفال فى طفولتهم ، وصار شاباً ليجد الشباب فيه الصداقة والحب على مستوى فريد . إختار من بينهم تلاميذه الأخصاء ، فكان التلميذ الذى يحبه (يو ٢١ : ٢٠) أى القديس يوحنا الحبيب ، فى حوالى الخامسة والعشرين حين دُعى للتلمذة .

« أذكر خالقك فى أيام شبابك » (جا ١٢ : ١) . هذه ليست مجرد وصية إلهية خلالها يسأل الله الشباب أن يرجعوا إليه كخالق حتى لا ينحرفوا ، إنما بالأكثر هى دعوة حب يخص بها كل شاب أو شابة ، فيها يعلن الله رغبته واشتياقاته نحو الشباب ، ليلتقى بهم فى دائرة حب لاينقطع ، يدعوهم ليسكب حبه فيهم ويتقبل حبهم . يجدون فى الله « الحب » (١ يو ٤ : ٨) الذى يشبع أعماقهم . هو وحده يخترق حياتهم إلى أعماقها ، ويدرك أسرار قلوبهم ، يبسط يديه لا ليدينهم أو ينتقدهم بل ليحتضنهم ويرويهم ، قائلا : « إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب ، من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ» (يو ٧ : ٣٧ ، ٣٨) .

شباب بلا شيخوخة

رُفع السيد المسيح على الصليب وهو فى شبابه ، ومات ، ثم قام . وكأنه لم يدخل إلى مرحلة الشيخوخة ، لأنه محب للشباب ، يريد أن يكون شعبه كله شباباً ، حتى الشيوخ حسب الجسد يلزمهم أن يتقبلوا الحياة بروح الشباب وقلوبهم ، إذ قيل : « فيتجدد مثل النسر شبابك » (مز ١٠٣ : ٥) .

مسيحنا الحىّ يهبنا روحه القدوس واهب التجديد المستمر ، فيحيا إنساننا الداخلى شاباً لا يعرف طفولة العجز ولا شيخوخة الضعف ، بل قوة الروح المستمر . « فخر الشبان قوتهم » (أم ٢٠ : ٢٩) .

عاش تلاميذ السيد المسيح ورسله بروح الشباب القوى الغالب لكل ضعف وكل خطية ، المنتصر حتى على الموت ؛ لا يعرفون الضعف أو الخنوع أو الاستكانة .

https://coptic-treasures.com/

« كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم ، وقد غلبتم الشرير » (١ يو ٢ : ١٤) .

« أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) .

« الرب وقف معى وقوانى » (٢ تى ٤ : ١٧) .

« أين شوكتك ياموت ؟! أين غلبتك ياهاوية ؟! » (١ كو ١٥ : ٥٥) .

مسيحنا الذى « خرج غالباً ولكى يغلب » (رؤ ٦ : ٢) ، لايريد شاباً مستسلماً يُحمل كما على نعش يبكيه الغير ، إنما بقوة وسلطان يناديه : « أيها الشاب لك أقول قم » (لو ٧ : ١٤) .

هكذا يريد عريسنا السماوى أن يرى كنيسته حية قوية بروحه القدوس ، تعيش فى شباب دائم ، يفرح بها كما يفرح الشاب بامرأة شبابه (أم ٥ : ١٨) ؛ يبعث إليها ملائكته لخدمتها ، كى يفرح قلبها بالحياة المتجددة المقامة ، كما فعل باللواتى دخلن القبر فرأين شاباً جالساً من اليمين لابساً حلة بيضاء (مر ١٦ : ٥) بشرهن بالقيامة وسألهن أن يكرزن للتلاميذ أن يذهبوا إلى الجليل كى يلتقوا بالسيد المسيح القائم من الأموات .

روح الشباب

الشباب روح وفكر وليس سناً معيناً ، فقد تجد صبياً صغيراً حطمته شيخوخة النفس الداخلية بروح يائسة ، بينما تجد شيخاً تمتلىء حياته شباباً وحيوية .

سيرة القديس اكليمندس الاسكندرى وكتاباته تكشف عن دور الإيمان المسيحى فى بعث روح الشباب الحىّ فى حياة الانسان .

عاش القديس اكليمندس ــ من رجال القرن الثانى ــ فى شبابه متعطشاً إلى ما يروى أعماقه ويشبع فكره وأحاسيسه وعواطفه . قام برحلات باهظة يطلب الشبع فى كثير من دول العالم ، وأخيراً استقرَّ فى الاسكندرية حيث التقى بالقديس بنتينوس الفيلسوف ، خلاله أدرك « سر الشبع الحقيقى » ، إذ وجد السيد المسيح مُشبعاً لحياته الشابة الطموحة ، فقال : (يحتاج المرضى إلى طبيب ،

https://coptic-treasures.com/

والضالون إلى مرشد ، والعميان إلى من يقودهم إلى النور ، والعطاش إلى الينبوع الحيّ الذى من يشرب منه لايعطش أبداً ، والموتى إلى الحياة ، والخراف إلى راعٍ ، والأبناء إلى معلم ؛ تحتاج كل البشرية إلى يسوع [1]) .

بلقائه مع السيد المسيح أحسّ هذا الفيلسوف الطموح فى مسيحه سر شبع داخلى مع تجديد فى المفاهيم ، نذكر منها :

١ ــ روح الفرح بلا تشاؤم

الشباب بروحهم الطموح يرون فى العالم مجالهم للتمتع بحياة مفرحة بلاتشاؤم. وقد رأى القديس اكليمندس خلال نظرته الإنجيلية ، يدّ الله الصالحة التى خلقت كل شيء لأجله ، كل ما فيه جميل ومبهج . شعر بلمسات حب الله الفائق للإنسان ، لا فى خلقه العالم فقط ، وإنما فى تدبيره كل شيء من أجل فرح الإنسان وبهجة قلبه ، حتى الأحداث التى تبدو قاسية ومرة بل وشريرة يحوّلها الله لصالح الإنسان محبوبه [2] . هذه النظرة الإنجيلية غير التشاؤمية المتسعة تحفظ للشباب روحه الطموح فى قدسية مبهجة .

٢ ــ كل شيء جميل !

لم ير القديس اكليمندس شيئاً شريراً فى ذاته ، بل كل ما خلقه الله حسن ومتناغم معاً . فالغنى والممتلكات والفلسفة والمعرفة الخ ... هذه جميعها هبات إليهة ، إن تقدست قادت الإنسان إلى فرح حقيقى فى الرب . ما أجمل عباراته : « الله يحب كل ما خلقه » ، « الله لايبغض شيئاً ، ولا يحمل عداوة ضدشيءما » .

هكذا الشاب الحيّ الذى يسلك بروح مسيحه يحمل نظرة قدسية مفرحة نحو كل ما فى العالم : نحو الجسد وأحاسيسه وعواطفه وطاقاته ؛ نحو الزواج بعلاقاته القلبية والجسدية ، نحو الحياة الاجتماعية الخ ... هذا ما يؤكده القديس اكليمندس بقوة بفكر إنجيلى .

٣ ــ الحرية الانسانية

حدثنا القديس اكليمندس عن « الحرية الإنسانية » وتقديس الله لها ، فقد

https://coptic-treasures.com/

خلق الإنسان كائناً حراً . قدم له الحرية فى أكمل وجه . لا يُلزمه بعمل ما أو يمنعه عن تصرف معين ، حتى ترك للإنسان الحرية إن أراد أن يقاوم الله نفسه أو يهاجمه أو ينكر وجوده . يتركه فى كمال حريته ، لكنه كأب محب يوجهه دون أن يلزمه ، يقدم له نعمته المجانية وإمكانياته القادرة على تجديد طبيعته حتى إرادته دون قهر .

شبابنا يطلب الحرية التى يحطمها أحياناً حتى الآباء ورجال الدين بينما يبقى مسيحنا يطلب حريتهم ! شبابنا فى عوز إلى قوة تسندهم ، ومسيحنا يترفق بهم فى ودٍ يسندهم ! .

٤ ــ أبوّة !

أما ما سحب قلب القديس اكليمندس فهو « أبوّة الله » الفائقة ، فنحن بالطبيعة غرباء عن اللاهوت ، لكنه يحبنا ، ويبقى فى حبه يضمنا ، ليقيمنا أبناء له، نقتنيه بالحب إذ يقتنينا هو أولا بحبه ، نحمله فينا إذ يحملنا نحن إلى أحضانه ، ينزل إلى قلوبنا ليعلن أبوته وصداقته ويرفعنا إلى أمجاده لنبقى معه أحباء إلى الأبد.

أيها الشاب ، أيتها الشابة ، مسيحنا محب للشباب ، لا ليكتم أنفاسهم أو يحطم حريتهم ، بل ليقيمهم بالحق أبناء الله الأحرار (يو ٨ : ٣٦) ، يعاملهم كأشخاص لهم كيانهم وشخصياتهم ومواهبهم وقدراتهم الخاصة ، يكشف لهم عن أبوته الحانية ، ويدخل معهم فى حوار مفتوح يفتقدونه حتى مع والديهم أو مرشديهم . يملأهم طموحاً ، ويشبع حياتهم ، ويروى كل ظمأ فيهم .

حقاً لقد كشف كثير من علماء النفس والمهتمين بشئون الشباب عن مايتعرض له الشباب من متاعب خاصة من البالغين الذين لايدركوا نفسية الشباب ورغبتهم فى النمو المستمر والتمتع بالحرية الشخصية . أقول ان شبابنا فى حاجة إلى شخص السيد المسيح نفسه القريب إلى كل نفس ، أقرب إليها من كل صديق . هو سند لكل شاب ، مُفرح القلوب ، ومُقدس للطموح ، ومُشبع لكل مطلب خفى وظاهر .

---

(1) Paedagogus 2 : 9 .

(2) See our book : The Divine Providence, Ottawa 1987.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

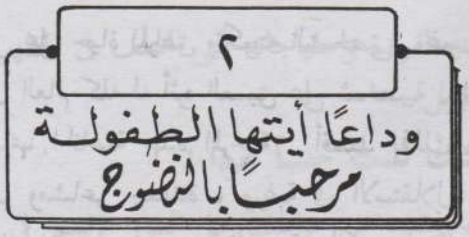

٢
وداعًا أيتها الطفولة مرحبًا بالنضوج

لا تهدروا كرامتى !

إذ يبلغ الإنسان مرحلة المراهقة المبكرة يبدأ يودع الطفولة بلا أسف ، لالشىء إلا لأنه يود أن يمارس حياة البلوغ كما يراها هو . إنه يود تأكيد شخصيته أمام نفسه وعائلته وأصدقائه . فحين يُطالب المراهقون بالالتزام بموعد معين للعودة إلى المنزل أو يتدخل الآباء فى اختيار الأصدقاء أو الحدّ من الإطالة فى المكالمات التليفونية أو الحث على الدراسة أو اختيار موديلات معينة للملابس أو صف الشعر الخ ... مثل هذه التصرفات يحسبها الآباء علامة حب واهتمام بأبنائهم بينما يراها المراهقون إهداراً لكرامتهم وكيانهم الشخصى ، يحسبونها تحطيماً لحريتهم بل وانتحاراً إجتماعياً أقسى من موت الجسد . هذا ما يدفعنى للحديث عن « شخصية الشاب » ، خاصة فى سن المراهقة ، وتكامل جوانبها ، مع استمرارية نموها .

هنا أود توضيح أن شخصية المراهق هى محصِّلة عوامل كثيرة ، أهمها : الطبيعة الإنسانية ذاتها خاصة فى سن المراهقة ، وظروف المجتمع الذى يعيش فيه المراهقون .

فمن جهة العامل الثانى ، نجد الاختلاف واضحاً بين شخصية المراهق الذى ينشأ فى مصر مثلاً عنه فى شمال أمريكا . ففى مصر يشعر الآباء بالضرورة الملحة أن يحصل الأبناء على درجات علمية جامعية حتى يستطيعوا اقتحام الحياة العملية، فيدفعونهم على الدراسة ربما على حساب طاقتهم الصحية أو تنمية مواهبهم الفنية وقدراتهم الخاصة ، أما فى شمال أمريكا حيث إمكانية العمل متوفرة للمواطنين دون الحاجة إلى درجات علمية لذا يعطى الآباء اهتماماً خاصاً بتنمية مواهب أبنائهم من سباحة وموسيقى وحب القراءة الخ ... الأمور التى تسند أولادهم فى سن المراهقة من الإنحراف إلى حد ما . هذا الاختلاف بين التربية فى

https://coptic-treasures.com/

البلدين ينعكس على حياة المراهق وتكوينه الشخصى . غير أن عاملاً آخر يشترك فيه المراهقون فى العالم كله له أثره العميق على شخصية المراهق ، ألا وهو الطبيعة الإنسانية بسِماتها الخاصة بهذه المرحلة . أقصد بذلك نمو الجسد السريع ، وظهور عواطف ومشاعر جديدة ، ورغبة فى الاستقلال وممارسة الحرية . حقاً يختلف المراهقون فيما بينهم من جهة الدرجة ، لكن هذه السِّمات أمر حيوى يمس غالباً حياة كل المراهقين ، حتى ليحسب المراهقون أن الحياة كلها جنس وعاطفة.

قبل الحديث عن الجنس فى نظر المراهق أود توضيح أهمية تكامل شخصية المراهق من كل جوانبها . لقد نوقش هذا الموضوع فى خلوة مبسطة مع بعض شبابنا القبطى من أتاوا ومسيساجا بكندا فى أغسطس ١٩٨٧ ، لهدفين :

الأول : يمثل هذا الشباب الجيل الأول الذى نشأ فى الكنيسة القبطية خارج مصر يلزم أن يتهيأ هذا الجيل ليتخرج منه بعض القيادات الكنسية القبطية بالخارج ، من أسقف وكاهن وراهب وراهبة وشماس وخدام وخادمات تربية كنسية أو من الشعب . هؤلاء يلزمهم أن يحملوا رسالة الشهادة للروحانية الأرثوذكسية فى الغرب . يليق بهذه الشخصيات أن تكون متكاملة وقوية ، تعرف كيف توازن بين احتياجات الطبيعة البشرية المتجددة من كل جوانبها بدون تطرف .

الثانى : يحتاج هذا الجيل إلى مناقشة صريحة عن الحياة المسيحية ، فهو جيل يعيش فى الغرب بكل ثقافته وفكره بينما يتربى على أيدى والدين مصريين جاءوا إلى أرض المهجر من أجل مستقبل أفضل لأبنائهم ، لكنهم فى تخوّف شديد على روحانية أولادهم . يستخدم البعض أسلوب الحزم الشديد مع أبنائهم خشية انحلالهم وانحرافهم عن الحياة الإنجيلية المقدسة ، بينما يستخدم البعض أسلوب التهاون الشديد حتى لايفلت زمام سلطانهم على توجيههم . وفريق ثالث يقف فى حيرة بين الحزم والتهاون ! على أى الأحوال ، أود الحديث الآن لا مع الوالدين وإنما مع الجيل الجديد نفسه ليدرك سر نمو شخصيته ، فيحقق رسالته .

ما أود أن أكرره هو أن هذا الحديث موجه لكل شبابنا فى مصر كما فى الخارج. فإنه وإن اختلفت البيئة ، لكن يبقى الشباب فى كل المجتمعات وعبر

https://coptic-treasures.com/

كل الأجيال له طبيعته الفريدة واحتياجاته التى تختلف فى المظهر الخارجى لكنها واحدة فى داخل النفوس .

تحمل جنساً ... لكنك لست جنساً مجرداً !

إن كان الجنس بما يضمه من عواطف يمثل الدور الرئيسى فى حياة الشباب ، حتى يصير أحياناً القائد الأوحد لكل أفكارهم ورغباتهم وسلوكهم . فنجد البعض فى مبالغة وتطرف ينغمسون فى ممارسة الجنس ويُبتلعون فى العاطفة ، كأن هذه الأمور تمثل حياتهم كلها ، وذلك على حساب دراستهم أو تنمية مواهبهم ، وعلى حساب علاقاتهم الأسرية والاجتماعية ، متجاهلين أيضاً علاقات الودّ مع الله والتمتع بالشركة معه ، والدخول فى الصداقة الإلهية ، غير مبالين بمستقبلهم الأبدى وميراثهم السماوى . هذا ويلجأ آخرون أحياناً إلى تطرف آخر ، متطلعين إلى « الجنس » كنجاسة يجب الخلاص منها ، والعواطف كخطايا يجب كتم أنفاسها ، فيحطم الإنسان كل حيوية فيه وكل نمو تحت ستار العفة الظاهرة وشكليات الطهارة غير الصادقة . أما الشباب الروحى فهم الذين ينعمون بروح التمييز ، يسلّمون كل حياتهم وطاقاتهم وغرائزهم وعواطفهم بين يدىْ الروح القدس ، لا لتحطيمها وإنما لتقديسها ، فيدركون سرّ تكامل الشخصية ونموها ، ناظرين إلى حياتهم ككل فى قدسية وتقدير ، فلا ينقسم الإنسان على نفسه ، ولا يعيش بروح الدمدمة القاتل .

يليق بنا جميعاً أن ندرك أن لكل إنسان حياته الواحدة المتكاملة بلا تجزئة ، إذ لانستطيع أن نقسم حياتنا إلى أجزاء مستقلة : حياة بدنية ، وأخرى سيكلوجية ، وثالثة عقلانية ، ورابعة إجتماعية ثم عاطفية وجنسية وروحية . إنما هى حياة واحدة تمس كياننا كله ، نعيشها فى البيت كما فى المدرسة أو العمل أو فى الكنيسة . نعيشها حين نختلى بأنفسنا أو كنا فى صحبة الغير ، حين نأكل أو ننام أو نفكر أو نمارس رياضة أو ننشغل ببحث علمى أو نتعبد لله . هذه الحياة الواحدة لها جوانبها المتباينة ، لكنها جوانب متكاملة ومتلاحمة معاً كما فى نسيج واحد ، يستحيل تجزئتها . كل جانب له فاعليته على الجوانب الأخرى ، بل على الحياة ذاتها فى مجملها . لهذا فكل نمو متزن فى جانب ما يعكس فى الغالب نمواً وتقدماً على الجوانب الأخرى .

https://coptic-treasures.com/

مادمنا نتحدث عن الحياة البشرية المتكاملة يليق بنا أن نشير إلى كلمة الله الذى صار إنساناً كاملاً يمارس حياتنا البشرية الكاملة ، حمل طبيعتنا فى جملتها لكى يُصلح حياتنا من كل جوانبها ، مُقدساً الجسد بكل حواسه والنفس بكل طاقاتها والروح بكل إمكانياتها . وكما يقول القديس كيرلس الكبير إنه مخلص الطبيعة البشرية كلها ، نفساً وجسداً .

إرع جسدك ولا تؤلهه !

١ ــ قبل التجسد الإلهى وُجد فى العالم اتجاهان متطرفان من جهة النظرة للجسد ، فقد احتضن بعض الفلاسفة الاتجاه الغنوسى ، متطلعين إلى الجسد كعنصر ظلمة ، لذا نادوا بضرورة تحطيمه . آخرون أقاموا من الجسد إلهاً يتعبدون له ، خاصة للأعضاء التناسلية إذ وُجدت ديانات تتعبد للأعضاء التناسلية للرجل Phallic religions بكونها مصدر الحياة وأخرى ديانات نسائية تجعل من رحم المرأة وصدر الإلهة مصادر الحياة [1] . لقد أُقيمت تماثيل لرجال ونساء فى حالة عرى ، كما مارست بعض الكاهنات الزنا فى المعابد باسم الآلهة .

جاء رب المجد يسوع ، خالق الجسد ومخلصه ، يرفع من شأن الجسد إذ لم يستنكف منه بل تأنس وتجسد . حمل ناسوتنا ككل ليخلصه ، وليس ليخلص النفس وحدها . بهذا وهبنا مخلصنا نظرة قدسية لأجسادنا كما لأجساد الغير . ففى المسيح يسوع نعتنى بالجسد ونربيه (أف ٥ : ٧) ، هذا الذى سيقوم ويشارك النفس الأمجاد السماوية . بهذه النظرة يتطلع الإنسان إلى غيره لا كأجساد جميلة تحقق له لذة مؤقتة وإنما بالحرى هم أعضاء جسد المسيح (١ كو ٦ : ١٥) وهيكل للروح القدس (١ كو ٦ : ١٩ ؛ ٢ : ١٦ ، ١٧) .

٢ ــ جاء كلمة الله المتجسد ، خالق الإنسان ، إلى عالمنا يشفى الأجساد كما النفوس والأرواح . لقد صنع أشفية بلا حصر ، واهباً تلاميذه سلطاناً وقوة لشفاء الأمراض باسمه (مت ١٠ : ١) . طلب القديس يعقوب من المؤمن فى مرضه أن يستدعى قسوس الكنيسة للصلاة من أجله ودهنه بالزيت المقدس لشفاء جسده ، جنباً إلى جنب مع شفاء نفسه باعترافه عن خطاياه (يع ٥ : ١٤ ــ ١٦) .

https://coptic-treasures.com/

صورة رائعة تؤكد نظرة السيد المسيح وكنيسته للمؤمن لا كنفس تلبس جسداً كأنه غريب عنها ، وإنما الجسد يمثل جزءاً لا يتجزأ من كيان الإنسان ، له دوره ومطالبه ، يتفاعل مع النفس فى وحدة وتناغم .

إذن ، فالشاب الحىّ الذى يبغى شخصية سوية متكاملة ونامية يلزمه أن يتطلع إلى جسده كما إلى أجساد الغير فى قدسية ، كهيكل الرب نفسه ، يهتم به ويربيه فى اتزان وتقدير . لاينظر إلى جسده كمصدر شر بل كعطية إلهية صالحة ، بدونه يفقد الإنسان حياته على الأرض ، من خلاله يمارس أعماله اليومية المادية والفكرية والروحية والاجتماعية والأسرية . من خلاله تعمل النفس كما الفكر والقلب فى انسجام متناغم معاً ، ليصدر كل عمل أو قول أو فكر أو عاطفة عن الإنسان بكليته .

إن أردت أيها العزيز أن تكون شخصية قوية ، لا تحتقر جسدك ، ولا تستخف بدوره ، ولا تتجاهل قدراته ، فإنه لا وجود لك هنا بدونه ، وليس لك القدرة على التعامل حتى مع الله غير المنظور بدونه . اهتمامك به هو اهتمام بشخصك مادمت تسلك بروح الحكمة والاتزان .

لا نعجب إن رأينا القادة الروحيين أنفسهم يهتمون بأجسادهم فى الرب . ينصح القديس بولس تلميذه تيموثاوس : « الرياضة الجسدية نافعة لقليل » (١تى٤ : ٨) . قيل أيضاً أن صياداً شاهد الإنجيلى يوحنا يداعب حماماً زاجلاً فدُهش . لكن القديس أمسك بقوس الصياد وصار يشد وتره حتى اضطر الصياد أن يطلب منه التوقف عن ذلك حتى لاينقطع الوتر . عندئذ قال له القديس بأنه هكذا يخشى هو أيضاً من أن يشد على جسده لئلا يتحطم ، إذ يليق بالإنسان الروحى ألا يتجاهل راحة جسده ؛ هذا ما دفعه لمداعبة الحمام الزاجل . وفى العصر الحديث رأينا قداسة البابا كيرلس السادس ــ نيَّح الله نفسه ــ الذى عُرف بجديته فى الحياة الروحية ، ممارساً التسبحة كل صباح والقداس الإلهى غالباً كل يوم ، ومع ذلك كثيراً ما كان يذهب إلى دير القديس مارمينا العجايبى بمريوط حيث كان يخرج عند الغروب ليتمشى فى الصحراء بمفرده وقتاً ليس بقليل ، يَسْبَح فى تأملاته الروحية وصلواته ، ممارساً رياضتىْ الجسد (المشى) والروح .

https://coptic-treasures.com/

٣ ــ إذ تتطلع الكنيسة الأرثوذكسية إلى الجسد فى قدسية خاصة لا تحرمه من مشاركته الروح والنفس فى العبادة . فالإنسان الروحى وهو يعبد الله بالروح (يو ٤ : ٢٤) يمارس هذه العبادة بكل طاقاته : بجسده وروحه وعقله وعواطفه الخ... مثل هذه العبادة ترفع من شأن الجسد ليمارس الروحيات بروح الله الساكن فى الإنسان بكليته ، وليس فى النفس وحدها .

هذه العبادة الروحية التى يساهم فيها الجسد فى تناغم مع النفس تحت قيادة روح الله لها فاعليتها حتى على سلامة الجسد نفسه . كلنا نعلم ما للأصوام والمطانيات مع بهجة القلب الداخلى أثناء العبادة من انعكاسات طيبة على الجسد نفسه . يقول الحكيم : « القلب الفرحان يطيب الجسم ، والروح المنسحقة (المحطمة) تجفف العظم » (أم ١٧ : ٢٢) .

٤ ــ مادمنا نتحدث عن دور الجسد فى نمو شخصية الإنسان أو تكاملها بكونه عنصراً حيوياً فى الكيان الإنسانى ، يلزمنا أن نشير هنا إلى مايصيب بعض المراهقين ــ حتى فى البلاد المتقدمة ــ من شعور داخلى بالذنب حين يجدون تغيرات سريعة تحدث بالنسبة لأجسادهم تصحبها عواطف جديدة ومشاعر تجاه الجنس الآخر . يشعر المراهقون أحياناً بالخجل من مناقشة هذه الأمور فى صراحة ووضوح مع والديهم أو مرشديهم . هنا يجب أن تدرك الأسرة والمدرسة كما الكنيسة دورهم فى تأكيد أن هذه التغيرات هى عطية إلهية صالحة ، خلالها يودع المراهقون الطفولة ، وينعمون بالنمو ، ويتقبلون نوعاً من النضوج أو البلوغ يتحقق على مراحل وليس دفعة واحدة . هذه التغيرات تهيىء الجنسين لإقامة عائلات جديدة وممارسة الحياة الوالدية (الأبوة والأمومة) ، متى وُجهت بروح الله القدوس ، الذى لا يحطم هذا النمو الجسدى والعاطفى بل يقدسه ويوجهه للبنيان .

ما أحوج أن يدرك الشباب فى دور المراهقة غاية هذه التغيرات ، فيتقبلونها بفكر متسع وقلب منفتح ، يرون فيها علامة البدء فى نمو شخصياتهم ككل وليس إشباعاً للذات جسدية فى استهتار بلا تدبير .

https://coptic-treasures.com/

لستَ قبيحاً ... اهتم بنموك النفسى

جائتنى فتاة فى حالة تعب نفسى مُر وقد اتسمت بشيىء من الجمال ، وإذ أخذتُ أحاورها فى محبة الله ورعايته فى كل جانب من جوانب حياتنا ... إذ بها فى خجل قالت لى إن هناك أمراً يصعب علىّ أن أتحدث فيه مع أحد ... وبعد لحظات ، فى صوت خافت قالت : إننى أُعانى من الشعور بالقبح ...

هذه ليست حالة فردية لكننا نجدها متكررة بين الشباب من الجنسين ، فكثيراً من الفتيات الجميلات يشعرن فى أعماقهن أن الشباب يتملقهن لكنهن لسن جميلات ، وأيضاً بالنسبة للياقة البدنية للشبان أو القدرة على الذكاء أو ممارسة الملاطفة الخ ... هذه المشاعر تحطم نفسية الشباب .

تحدثنا فى مقدمة هذا الكتاب عن الضغوط النفسية التى يتعرض لها المراهقون ، خاصة شعورهم بالنقص واحساسهم بالعزلة القاتل . هذه الضغوط تصيب الغالبية العظمى من المراهقين فى البلاد المتقدمة كما النامية أيضاً ، لا أبالغ إن قلت إنها تصيب الإنسان بوجه عام من فترة إلى أخرى بدرجات متفاوته ، لكنها تقسو جداً على المراهقين .

يقول الدكتور دوبسون James Dobson فى تسجيلاته وفى كتابه عن « الإعداد للمراهقة » بأن الشعور بالنقص أو باللارجاء أو بالفشل أو بالتفاهة مُدمِّر للشخصية . ثمانون فى المئة من المراهقين ساخطون على بعض ملامحهم البدنية ، إذ يشعرون أنهم غير جذابين بل وقبحاء ، هذا الأمر يمثل مشكلة تشغلهم غالبية الوقت[٢] . يظن هؤلاء المراهقون بأن الجنس الآخر لايحبهم . وقد قدم الدكتور دوبسون عاملين آخرين يثيران هذا الشعور هما إحساسهم بقلة الذكاء أو نقص مواردهم المادية .

هذه المشكلة التى تبرز بقوة فى أعماق المراهقين يعانى منها حتى الإنسان البالغ مهما كان مركزه الأدبى أو العلمى أو المادى أو البدنى إذ يشعر دائما بالعَوَز ، لأنه مخلوق إلهى يطمح إلى اللانهائيات . قد يعتز الإنسان بذاته أو قدراته

https://coptic-treasures.com/

أو مواهبه أو سطوته ، وربما يعشقه الملايين أو يحترمونه ويكرمون فنّه أو علمه ... لكنه يتصاغر جداً فى عينى نفسه ، إذ يشعر بفراغ شديد فى داخله لايستطيع أحد أن يملأه . هذا ما يدفع بعض مشاهير الفنانين أحياناً إلى الانتحار .

على أى الأحوال ، اهتم الله منذ بدء خلقة الإنسان أن يهبه نمواً لنفسيته ، ليعيش بشخصية سوية ، لا يحطمه الشعور بالنقص ، إنما على العكس يعتز بنفسه بكونه قد وُهب الكثير من القدرات ولم يُترك فى عوز إلى شيىء . يذكر سفر التكوين أن الله وهب الإنسان سلطاناً على كل الأرض (تك ١ : ٢٦) ، كما وهبه القدرة على التعقل والتفكير مع الحرية ، فأعطى آدم أسماء لكل الخليقة دون خبرة سابقة له (تك ٢ : ١٩) .

عندما سقط موسى النبى تحت هذا الشعور بالنقص وهو فى حوالى الثمانين من عمره ، إذ أراد التنحى عن العمل القيادى بسبب ثقل لسانه ، مردداً : « استمع أيها السيد ، إرسل بيد من ترسل » (خر ٤ : ١٣) ، لم يتركه الله يتحطم بهذا الشعور ، بل قدم نفسه عوناً له ، قائلا : « إنى أكون معك ... وأنا أكون فى فمك وأعلمك ما تتكلم به » (خر ١٣ : ١٢) . إذ شعر بالنقص بسبب ثقل لسانه ، تقدم الله نفسه خالق اللسان ليكون فى فمه يتكلم فيه ! وعندما عانى إرميا من ذات الشعور تدخل الله ، قائلا : « لا تقل إنى ولد ... لأنى أنا أكون معك لأنقذك » (إر ١ : ٧ ، ٨) .

يظهر اهتمام الله بنفسية شعبه بتقديمه المن فى البرية لإشباع جسدهم ، « والفرح » لإشباع نفوسهم حتى يستطيعون مجابهة المصاعب بنفس متهللة سوية، إذ قيل : « أشبِعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيام حياتنا » (مز ٩٠ : ١٤) .

أما علاجنا النفسى فجاء متكاملاً مع العلاج الروحى بتجسد كلمة الله ، إذ صار واحداً منا ، يحمل ذات طبيعتنا ، ويشاركنا حياتنا على الأرض . بهذا أعاد الخالق للبشر ثقتهم فى أنفسهم وتقديرهم لإنسانيتهم ، فأدركوا فى كلمة الله المتجسد أنهم ذوو شأن .

https://coptic-treasures.com/

حلَّ ابن الله القدير بيننا وفينا ، واهباً إيانا ـــ خلال المعمودية ـــ التبنى للآب، فكيف نشعر بعد بالنقص ؟ .

أعطانا الحب كله على الصليب ، فماذا يُعوزنا بعد ؟ يقول الرسول بولس : « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين ، كيف لايهبنا أيضاً معه كل شىء ؟! » (رو ٨ : ٣٢) .

فى اهتمامه بنفسية كل إنسان جاء يترفق بالمطرودين والمرذولين من برص ولصوص وزناة وعشارين ومجانين . حقاً إنه يبغض الخطية ولا يطيقها ، لكنه يحب الخطاة والمرضى ليشفيهم . رفع أيضاً من نفسية الأطفال والنساء ، كأشخاص لهم حقوقهم كأعضاء فى الكنيسة على قدم المساواة مع الرجال البالغين ، لهم حق العمل لتحقيق أهدافهم بما يناسب قدراتهم ومواهبهم . حين كان صبياً قال لأمه : « لماذا كنتما تطلباننى ؟! ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى ؟! » (لو ٢ : ٤٩) يرى بعض الدارسين فى هذه الكلمات ثورة فى عالم الطفولة . فالطفل شخص له كيانه وشخصيته ودوره فى الحياة . لقد خضع السيد لأمه (لو ٢ : ٥١) ، وفى نفس الوقت يحقق رسالته .

ليت كل شاب يدرك أن الله الذى خلقه يهتم بحياته ليس فقط من الناحيتين البدنية والروحية بل وأيضاً النفسية ، إذ يريده عضواً حياً ذا نفس سوية . الله لن يترك المراهقين يحطمهم الشعور بالنقص ويقتلهم الشعور بالعزلة ، إذ يقدم لهم الكثير ، منه :

(ا) يقدم نفسه صديقاً شخصياً ملاصقاً لكل أحد ، حتى يبدو للإنسان كأن الله لاينشغل إلا به كما شعر القديس أغسطينوس حين دخل دائرة حب الله . بثقة وفرح يترنم الإنسان ، قائلا : « حبيبى لى وأنا له » (نش ٢ : ١٦) . جاءنا كلمة الله متأنساً ليقيم صداقة إلهية على مستوى فريد مُشبع لكل شخص . إنه الصديق الذى يدخل إلى الأعماق ويدرك حقيقة أحاسيسنا ، لايتجاهل مشاعرنا ولايهيننا مهما كانت ضعفاتنا . على العكس نراه دائماً يشجع ويسند مؤكداً تقديره لشخصية كل أحد .

https://coptic-treasures.com/

(ب) جاء ينتزع روح اليأس وعدم الرجاء ، إذ يُبرز ما هو صالح وجميل فى حياة الإنسان مهما بلغ شرّه . فلا يشعر الإنسان أنه فى عوز إلى جمال أو حكمة بطريقة محطمة ، كما لايشعر أنه فى عوز إلى من يرد إليه الثقة فى نفسه .

(جـ) بكونه الخالق يمسك بأيدينا ليسحبنا من الانشغال بالظروف الخارجية موجهاً إيانا إلى كياننا « core self » أو إلى إنساننا الداخلى «inner man » ، ليعلن ملكوته المفرح فينا ، نعتز بالمجد الداخلى الذى يقيمه فى أعماقنا ، والتجديد الداخلى الذى يحققه بروحه القدوس (كو ٣ : ١٠ ، ٢ كو ٤ : ١٦) .

ليت كل البشرية ــ بما فيها من مراهقين ــ يدركوا حب الله للإنسان ، إذ يهتم حتى باحتياجاته النفسية . يقابل هذا الحب بالحب فيراعى نفسية الآخرين . بمعنى آخر إن كان الله يهتم بنفسياتنا هكذا يليق بنا أن نهتم بنفسية اخوتنا . فالشاب (أو الشابة) الذى يلهو بمشاعر آخر من ذات الجنس أو من الجنس الآخر لإشباع عاطفته الذاتية وتحقيق الأنا ego تحت ستار الحب أو الصداقة ، على حساب مستقبل الغير وسلامته الداخلية ، إنما يعزل نفسه بنفسه عن روح مسيحه .

جاءت فتاة إلى كنيستنا بلوس انجلوس لتتعرف علينا ، إذ سمعت الشعب يتحدث العربية ، وهى من أصل عربى وُلدت فى أمريكا . لم تكن تؤمن بالله لأنها لم تجده فى قلبىْ والديها أو قلوب من التقت بهم . عاشت مع أكثر من شاب لسنوات أحياناً ولشهور أحياناً أخرى ، فى حياة لهو مستمر . سألتها عن شعورها الداخلى من جهة حياتها ، فأجابت فى صراحة إنها لا تشعر بالطمأنينة والضمان ، فهى تعيش مع شاب لسنوات قد يتركها أو تتركه . حياتها فى الظاهر مملوءة بهجة تلاطف الغير والغير يلاطفها ، لكن بحسب كلماتها الصريحة إن أعماقها مملوءة بؤساً وقلقاً . حين تحدثت معها عن أبوّة الله دُهشت لسماعها عبارة « الأبوة » ، فإنها لم تذقها قط ؛ والدها مطلق يعيش فى ولاية لا تعرفها ، وأيضاً لا تعرف أين والدتها . سألتها أما تسأل عنهما ؟ أجابت : ولِمَ أسأل ، إن كان أحدهما مريضاً توجد مستشفيات . مسكينة مثل هذه الفتاة التى لم تختبر صدق الحب الباذل فى والديها ولا فى أصدقائها ، ولم تلتقِ بالسيد المسيح القادر وحده أن

https://coptic-treasures.com/

يشبع النفس ، ويقدّر حياتها كشخص له كيانه ! .

أحبائى ، ليتنا نلتقِ بمسيحنا الذى يهتم بدقائق مشاعرنا ، نحمله فينا ، ونقدمه إلى كل قلب ليتمتع معنا بالحياة المفرحة الداخلية .

لتهتم بنموك العقلى !

الله فى حبه للإنسان وهبه سلطاناً على كل الخليقة (تك ١ : ٢٨) ، لكى يتعرف على قوانينها وطاقاتها وأسرارها ، مستخدماً هذا كله لبنيانه ونموه ولتقدم الحياة البشرية . خلقه كائناً عاقلاً لكى يحسن استخدام العقل لحساب البشرية ، وليس لكى يوقف عمله أو يسيىء استخدامه .

الشاب الروحى يعرف بروح الله كيف ينمو فى قدراته العقلية بنجاح . يوسف تدرب بحكمة أن يدير بيت فوطيفار ، وأن يقود المساجين وهو سجين معهم ، وأيضاً أن يدبر توزيع الغلال لا على مستوى مصر جميعها بل والبلاد المحيطة بها أيضاً . وداود أيضاً كان ناجحاً ليس فقط كنبى بل وكقائد مدبر للجيش وملك وقاضٍ . وهبه الله حكمة واتزاناً وبركة فى كل عمل تمتد إليه يداه .

إذن ، إيماننا ملتحم بحيوية الفكر ونموه ، نلتزم حتى فى العبادة أن نمارسها بالروح كما بالذهن (١ كو ١٤ : ١٥) .

يمكننا القول بأن نمو شخصية الإنسان ــ خاصة فى سن المراهقة ــ تستلزم النمو العقلى جنباً إلى جنب مع الجوانب الأخرى . فإن كانت العاطفة تتجلى بكل قوتها فى هذه المرحلة ، وهو أمر طبيعى ، لكن يليق بالمراهقين أن يقرنوا العاطفة المتأججة بالحكمة والتفكير النامى الناضج ، ليس فقط فى علاقتهم بالمراهقين أصدقائهم من كلا الجنسين ، وإنما أيضاً فى حياتهم الروحية والأسرية . العقل المتزن هبة إلهية ، يسند العواطف ويكملها وينميها ، فلا تنحرف عن غايتها لتصير علّة تحطيم لشخصياتهم ولعواطفهم ذاتها .

مرحلة المراهقة فرصة ذهبية ، يتعلم خلالها الإنسان وسط عنف العواطف وجبروتها كيف تمتد يد الله لتهب الإنسان حكمةً واتزاناً ليعيش بعقله مع قلبه ، يعملان بالنعمة الإلهية فى تناغم بلا نشاذ .

https://coptic-treasures.com/

النمو العاطفى

إذ تظهر العواطف والمشاعر متزايدة فى سن المراهقة يظن الإنسان فى نفسه كأنه قد صار بكليته عواطف مجردة .

يشعر بعض المراهقين ــ حتى فى أمريكا الشمالية ــ بأن هذه العواطف كما لو كانت خطايا ، الأمر الذى يدفعهم إلى إساءة استخدامها . هذه العواطف النامية فى هذه المرحلة هى عطايا إلهية توهب للإنسان لأجل نمو شخصيته ودخوله إلى مرحلة النضوج ، بها يمكن أن يتسع قلبه بالحب لا لشخص واحد من الجنس الآخر لإشباع لذة مؤقتة ، ولا لتكوين صداقات على فئة مغلقة من سنه ، وإنما لقبول الإنسانية كلها فى أعماقه ، فيمارس الحب لله وللناس عملياً . هذا مايقدمه لنا القديس أغسطينوس خلال خبرته الشخصية ، موضحاً أن الذين يتمتعون بعواطف قوية وعميقة ، وإن كانوا عرضة للانحراف بشدة ، لكنهم أقدر من غيرهم على ممارسة الحب لله وللناس بالنعمة الإلهية . العواطف التى يرذلها البعض إن تقدست تصير أساساً صالحاً لحياة مبهجة ، ولزيجات مباركة ناجحة ، كما لحياة بتولية متسعة .

كيف تتقدس عواطف المراهق لنمو شخصيته ؟ هذا ما أرجو الحديث عنه فى مقال مستقل إن شاء الرب .

النضوج والحياة الجنسية

كما سبق فقلت أن كثيراً من الشباب يظنون أن نضوجهم يكمن فى ادراكهم للجنس واحساسهم به وممارسته حتى ليتخيل البعض أنهم لن يفارقوا الطفولة ما لم يمارسوا الحياة الجنسية بصورة جسدانية .

مع النضوج البدنى والسيكلوجى والعاطفى ... ينمو أيضاً ادراكنا للجنس... لذا وجب على المراهقين أن يدركوا أهم حقائقه ، مثل :

١ ــ أعطيت المسيحية كرامة وتقديساً للزواج والعلاقات الزوجية ، معلنةً أن الجنس كركن من أركان الزواج ، فى مفهومه الواسع يمثل حياة تُمارس بقدسية ووقار ، وليس بمشكلة تحتاج إلى علاج .

https://coptic-treasures.com/

يحط البعض من شأن الجنس ، إذ يحصرونه فى حدود العلاقات الجسدية وليس كعلاقات حب عميق وداخلى وانفتاح قلب تجاه كل البشرية ،ليقود الرجل والمرأة للاتحاد معاً ، كشخص مع آخر ، وليس مجرد التقاء جسدين .

٢ ــ العلاقات الجسدية فى الحياة الزوجية أمر صالح تعبر عن الوحدة لا على مستوى الجسد والعواطف فحسب وإنما على مستوى النفس أيضاً .

يرى القديس أغسطينوس أن الخطيئة فى الجنس ليس مصدرها لذة الجسد بل انحراف « الإرادة » التى تقيد الإنسان وتحوّل الجنس عن غايته الصالحة إلى شهوة شريرة [٣] .

٣ ــ سعادة الزوجين حتى فى اتصالهما الجسدى لا تقوم على الشهوة concupiscence وإنما على البهجة pleasure . فالإنسان العفيف يجد بهجة pleasure فى عفته أحيانا تفوق ما يجده الإنسان المنغمس فى الشهوات ، وذلك كالإنسان المعتدل فى طعامه يجد فى الطعام بهجة تفوق تلك التى يجدها الإنسان النَهِم أثناء أكله بشراهة . إذن للجنس فى الحياة الزوجية بهجته الطبيعية الصالحة ، أما انحراف الجنس عن غايته فيحوّله إلى شر كما يحول النَهِم الطعام إلى خطية ، مع أن الأكل فى ذاته أمر صالح [٤] .

هنا يميز القديس أغسطينوس بين الرغبة الطبيعية natural desire وما يصحبها من بهجة صالحة وبين الشهوة concupisence القائمة على فساد الإرادة وانحلالها . كما يميز بين الحب وما يصحبه من عذوبة ، والشهوة وما يصحبها من انحلالات disorders [٥] .

لما كان موضوع « الجنس » يمثل عصب المراهقة لذا أترك الحديث عنه فى مقال خاص ، لنرى دوره فى تكامل شخصية المراهق ونموها .

النمو الاجتماعى

نزل ربنا يسوع المسيح إلى عالمنا لكى يُجدِّد مجتمع الإنسانية وينمِّيه ، لا بالثورة ، ولا بإصدار قوانين حازمة ، بل بالحرى بتجديد حياتنا الداخلية . نذكر على سبيل المثال كيف واجهت الكنيسة مشاكل المجتمع مثل مشكلة

https://coptic-treasures.com/

العبيد . لم تثر القيادات الكنسية على السادة ولا أثارت العبيد ضدهم ، لكنها فى حب قبلت العبيد أعضاء فى الكنيسة لهم ذات حقوق سادتهم ، حتى سيم منهم أساقفة وكُرِّم الشهداء منهم . بهذه الروح قام كثير من السادة بتحرير عبيدهم أو معاملتهم بروح الأخوة ، واستطاع بعض العبيد بالطاعة القائمة على الحب أن يجتذبوا سادتهم للإيمان . بالروح الهادىء الوديع قدمت الكنيسة حلولاً للمشاكل الاجتماعية عالجت الجذور الدفينة ، من خلال تجديد الحياة الداخلية للإنسان ، حتى يلتقى الكل معاً على صعيد الحب ، فيهتم كل عضو بالجماعة ، مشتاقاً أن يقدم حياته فدية عن الغير ، خلال اتحاده بالمخلص الذبيح .

إن عدنا إلى المراهقين على وجه الخصوص نجدهم فى حيويتهم يمتلئون فى داخلهم ثورة ضد الطبقية فى المجتمع الإنسانى ، أو فى عالم البالغين . إنهم يسعون إلى خلق عالم خاص بهم ثائر ضد كل طبقية . فلا نعجب إن رأينا فتاة تضرب بغنى أسرتها ومركزها الاجتماعى عرض الحائط لتدخل فى حب مع مراهق فقير يقل عنها جداً من جهة المستوى الثقافى أو الاجتماعى ؛ وأحياناً تصرّ فتاة بيضاء على الدخول فى علاقة حب مع شخص قمحى أو أسمر اللون ، ويطلب فتى متعلم الزواج من فتاة غير متعلمة ، ويشتاق فتى أن يتزوج فتاة تخالفه إيمانه . لا أريد هنا تقديم تعليلات نفسية لكثير من مثل هذه التصرفات . لكن بلا شك إذ يعانى غالبية المراهقين من الشعور بالنقص يحاولون معالجة المشاكل ــ أيا كان نوعها ــ بالثورة والعنف والتمرد ، الأمر الذى له أثره السيىء على نمو شخصية المراهق ، خاصة إن تجاهل دراسة الأمور بتعقل وتروٍ .

إن كان المراهقون يطلبون نمو شخصياتهم ، يليق بهم أن يهتموا بالنمو الاجتماعى جنباً إلى جنب مع نموهم البدنى والنفسى والروحى والجنسى . يليق بهم أن يدركوا أن ما يمارسوه من تصرفات تبدو فى ظاهرها عنيفة إنما هى فى الغالب ثورة داخلية فى النفس وفقدان لسلامهم القلبى والفكرى . إنهم يُعبِّرون عن ثورتهم الداخلية بثورة ضدّ قيم المجتمع والأسرة ! يطلب المراهق الدخول فى علاقة مع آخر من الجنس الثانى يختلف عنه ربما فى الفكر والثقافة والظروف الاجتماعية حتى فى الإيمان، لا لشيىء إلا لينفّس عن ثورته ضد أسرته أو المجمع . مثل هذه العلاقات

https://coptic-treasures.com/

لن تدم طويلاً ، بل تنتهى بتحطيم حياة الطرفين ، لأنها لا تحمل جذور محبة صادقة على أسس سليمة .

التقيت مع شاب مراهق أصرّ أن يضع الكتاب المقدس على الأرض ويطأ عليه بقدمه أمام زملائه ، ولما حاول زملاؤه المسيحيون التفاهم معه بصق على أيقونة السيد المسيح والعذراء مريم ، مطالباً اياهم أن يثبتوا له وجود الله . فى جلسة هادئة مملوءة حباً لم تزد عن دقائق أدرك الشاب أنه فعل هذا كله ليس عن جحد للإيمان وإنما كان أسير مشاعره الخفية الخاطئة ، فهو ابن وحيد لوالدين شيخين ، فى حبهما الشديد له حطماه نفسياً ، إذ أرادا أن يجعلاه أداة طيعة تتحرك حسب هواهما ، متجاهلين إنسانيته وإرادته وشخصيته ، لقد أحس الشاب بفقدانه لكيانه فى البيت . وقد أثر ذلك على قدرته فى تكوين صداقات مع زملائه ، حاول علاج ذلك بالثورة على القيم الروحية والاجتماعية ، حاسباً أنه بتصرفاته الشاذة يستطيع أن يركز الأنظار عليه ويتسلم مركزا قيادياً وسط زملائه . لكنه إذ وضع يده على جراحات نفسه الخفية بكى وعاد برجاءٍ إلى الله محب البشر .

هذه الصورة تتكرر بطرق متنوعة ودرجات مختلفة ، تحتاج فى معالجتها إلى حكمة الروح من جانبنا ، وإلى تفهُّم الشباب للنفس الداخلية ، ليدركوا أن الحياة الاجتماعية بقيمها ، والروحية بإمكانياتها هما سند لشخصياتهم ولنموهم وليس سجناً يحطم نفوسهم ويقيّد أفكارهم وحريتهم .

هذا وكثيراً ما تحدث ثورة المراهقين ضد المجتمع بعاداته وقيمَه ثمرة خبرات خاطئة عاشوها أثناء طفولتهم سواء فى البيت أو المدرسة أو الكنيسة . فالطفل الذى لا يختبر دفء الحب الداخلى العميق المتبادل بين والديه لا يستطيع أن يسترح لأسرته بل وأحياناً لا يسترح للكنيسة ولا للمجتمع كله ولا لله نفسه ، إذ ينظر إلى الكل من خلال عائلته الفاقدة للحب والحياة . هذه المشكلة يعانى منها أيضاً من لا يلمس أمومة الكنيسة الحانية التى تتجلى فى أبوة الكاهن وحبه الروحى الهادف لبنيان كل نفس عوض تمسكه بالسلطة وحب الرئاسة وإصدار الأوامر . كثيراً ما يترك المراهقون الإيمان فى العالم كله لا لسبب إلا لفقدانهم الحب الحقيقى فى حياة الوالدين أو الرعاة .

https://coptic-treasures.com/

إن تركنا جانباً مسئولية الأسرة والكنيسة والمجتمع عن ثورة بعض المراهقين ضد الحياة الاجتماعية والإيمانية السائدة ، نود من أبنائنا أن يدركوا عضويتهم فى الجماعة، فيأخذون قراراتهم التى تمس حياتهم ونمو شخصياتهم من خلال النظرة الحكيمة القادرة على بنائهم ونموهم فى كل جوانب الحياة . وهم بهذا يساهمون أيضاً فى نمو الجماعة وتقدمها ، عوض الثورة عليها بتصرفات تحطمهم وتهدم الجماعة .

لا تتجاهل روحك !

فى سن المراهقة إذ يمر الجسد بمرحلة حرجة خلالها تبلغ سرعة نمو الجسد أقصاها ، ومعها تتزايد العواطف والأحاسيس والشعور بالجنس ، ويشعر الإنسان بضرورة تأكيد شخصيته فى المجتمع والتمتع بالحرية الخ ... وسط هذه الدوامة ينسى الإنسان أحيانا روحه ذاتها أو إنسانه الداخلى .

لنمو شخصية الإنسان المستمر ، خاصة فى سن المراهقة ، يحتاج الأمر إلى الاهتمام بالنمو فى كل جوانب الحياة السابق الإشارة إليها ، الأمر الذى لن يتحقق بدون التجديد المستمر للحياة الداخلية ، بكونها الجذور الخفية التى تسند الحياة كلها من كل جوانبها .

لقد جاء ربنا يسوع المسيح إلينا لنقبله كمصدر تجديد مستمر فى داخلنا ، يمنحنا روحه القدوس لننال الطبيعة الجديدة والحياة المتجددة فى داخلنا .

يرى البعض أن الإنسان يحمل ثلاثة أبعاد لكيانه « his self » [٦] : الكيان الاجتماعى social self ، حيث يجد الإنسان كيانه خلال علاقاته بالغير ، نظرتهم إليه وآرائهم فى شخصه ، وسلوكهم تجاهه . الكيان المحيطى oceanic self ، أى ما تضم شخصيته من قدرات ومواهب كثيرة ومتنوعة . والكيان الجوهرى core self ، والذى يدعوه الرسول : « الإنسان الداخلى » .

يمكن للمراهق ــ خلال إرشاد ذوى الخبرة ــ أن يجتاز من الكيان الأول الخارجى ، أى من الانشغال بما يقوله الناس عنه إلى ما هو أهم وأعمق ، أى إلى الكيان المحيطى . حيث لا يلهيه مديح الغير ولا يحطمه ذمّهم ، بل يهتم كيف

https://coptic-treasures.com/

يضرم مواهبه ويستغل طاقاته لبنيان نفسه وتقدم الإنسانية . وقد دُعى بالكيان المحيطى لأنه يضم مواهب وطاقات وقدرات بلا حصر ، إن اكتشفها الإنسان يشعر أن أيامه كلها مقصرة للغاية لإضرام كل مواهبه ، وأيضاً كالمحيط عميقة للغاية فى داخله . أما ربنا يسوع المسيح فهو وحده أرسل لنا روحه القدوس ليدخل بنا إلى ما هو أعمق بكثير من الكيان المحيطى ، يدخل بنا إلى جوهر كياننا لنستنير داخلياً ونكتشف حقيقة إنساننا الداخلى inner man أو جوهر الكيان core self ، بكوننا أشخاصاً لنا رسالتنا وغايتنا على مستوى فائق . بهذا يدرك كل إنسان ــ خاصة فى مرحلة المراهقة ــ أنه ليس واحداً بين البلايين من البشر ، لكنه إنسان الله ، مدعو باسمه الشخصى لممارسة بنوّته لله والدخول معه فى صداقة شخصية ، لينعم بالميراث الأبدى فى حضن الآب السماوى .

هكذا فتح ربنا يسوع المسيح مجالاً جديداً للروحانية ، إذ يدخل بنا إلى كياننا لنمارس حق الحياة والتعامل مع الله كأشخاص لهم تقديرهم ، وذلك بالتجديد المستمر لحياتنا الداخلية وفكرنا ، عوض التوقف عند الممارسات التعبيرية الخارجية وحدها بلا روح . هذا لايعنى ممارسة العبادة الداخلية الروحية دون مشاركة الجسد ، بل بالحرى يصير كل كياننا بأبعاده متعبداً معاً خلال التجديد المستمر ، بهدف نموّنا دون مبالغة أو تطرف فى جانب على حساب الجوانب الأخرى .

هذه الحياة المتجددة الروحية لها إنعكاساتها الفعّالة فى نمو شخصية المراهق من كل الجوانب . فهى من جانب تسند البدن حيث يلتزم المؤمن بالاعتناء به فى اعتدال دون مبالغة بجانب ما للحياة الداخلية الصادقة من أثر حتى على سلامة البدن . لها أيضاً أثرها على سيكلوجية المراهق ، إذ تهبه سلاماً وبهجة وفرحاً كطعام حقيقى للنفس ، خلاله يتخلص المراهق من كل شعور بالنقص أو بالعزلة loneliness ، إذ يجد أن الخالق نفسه يهتم به شخصياً ، يرفعه إلى البنوّة ، ويهبه ثقة بالنفس وتقديراً للحياة الإنسانية . غنى عن البيان ما للروحانية المتفتحة الحكيمة من أثر فعّال على نضوج الفكر ، حيث تدفعه نحو البحث عن المعرفة السماوية والزمنية بروح الاتضاع . خلالها أيضاً يتذوق أبناؤنا الحياة الأسرية فى جو

https://coptic-treasures.com/

من عذوبة الحب الخفى فيرفع نظرتهم الداخلية نحو الزواج والأسرة والجنس ، ليجدوا شعبهم الداخلى فى البيت المسيحى المتفتح بالحب ، فلا يلجأون إلى الانحراف كوسيلة للهروب أو لنوال لذة منحرفة واشباع عواطفهم بطرق ملتوية .

خلال سنوات الخدمة القليلة التى عشتها لم أجد إنساناً استمر فى انحرافه مادامت أسرته مملؤة ببهجة الروحانية الحقة وليس بشكليات العبادة أو الخدمة بلا روح .

أخيراً أقول ما أحوجنا جميعاً ، خاصة بالنسبة للمراهقين ، أن نتقبل الحياة الروحية الملتهبة حباً ، القادرة على تقديم نمو وتوازن فى كل جوانب شخصياتنا .

---

(1) J. C. Wynn : Sexual ethics & Christian responsibility, 1976, p 102.

(2) Dr. James Dobson : Praparing for adolescence, 1984, p. 16 (The Agony of Inferiority).

(3) See John J. Hugo : St. Augustine on Nature, Sex & Marriage, part 2, ch 2.

(4) Rev. E. C. Messenger : The mystery of sex & marriage, p 22 ff.

(5) Tohn J. Hugo, p 79 ff.

(6) Young Adult Living, Paulist Paress, N. Y. 1980, p. 73 ff (Identity of self & growth, by Tohn McCall).

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٣
دعوني أنمو أنمو أنمو

المراهقة نمو وليس مشكلة

غالباً ما تصور مرحلة المراهقة كسن حرج ، وكطريق محفوف بالمخاطر ، فيها يصارع المراهق (أو المراهقة) داخلياً مع ما يشعر به من تغيرات فى بدنه ومشاعره وعواطفه من جهة الجنس الآخر . وفيها يجد الإنسان نفسه فى ثورة عنيفة ضد الأسرة وأحياناً ضد المجتمع والكنيسة ، تنبع عن رغبته فى معاملته كإنسان كامل النضوج ، له مطلق الحرية فى التصرف ، بينما يتطلع البالغون إليه كشخص فى دور النمو يحتاج إلى إرشاد مستمر ومساندة وأحياناً إلى الحزم معه . مع هذا فإن الحقيقة التى لا جدال فيها أن المراهقة هى مرحلة النمو فى قمة درجاته . النمو فى جميع الجوانب : البدنية ، السيكلوجية ، الفكرية ، العاطفية ، الجنسية ، الروحية الخ ... هى مرحلة التحرك السريع والمستمر ليودع الإنسان مرحلة الطفولة المتكئة على الغير تماماً لقبول دور البلوغ والنضوج ، فيمارس الإنسان حريته ويتعرف على دوره فى الحياة . هذا النمو مع ما يثيره من متاعب ومصاعب داخل حياة المراهقين أنفسهم وفى علاقاتهم بأسرهم وأحياناً بالمجتمع ، ليس بمشكلة بل هو فى جوهره « حياة نامية » تهب للإنسانية تقدمها المستمر .

لنصغ إليهم ونقدر قيمهم وأفكارهم

ليت كل والد ووالدة ، كل كاهن ومرشد ، يتطلعون إلى المراهقين ككنز الجماعة الحىّ ، كأناس يريدون الحياة النامية الحرة فيحتضنوهم بالحب المتزن غير القاتل ، يُنمّون فيهم شخصياتهم وإرادتهم بتعقل وروحانية .

هنا أود أن أوضح أمراً هاماً يمس تعاملنا مع المراهقين ، وهو حاجتهم إلى من يصغى إليهم بروح الحب والاهتمام والتقدير . هم أناس ربما لم يكمل نضوجهم بعد ، لكنهم فى دور النضوج ، يعتزون بشخصياتهم وحريتهم وقدراتهم ومواهبهم

https://coptic-treasures.com/

وامكانياتهم ، لايقبلون التعامل معهم بكونهم لازالوا أطفالاً يعتمدون على البالغين تماماً ، إنما يطلبون من يحبهم ويقدر نموهم . أقول فى صراحة ، هم فى حاجة إلى أناس بالغين حكماء ، ونحن فى حاجة إلى التعامل معهم ، فإن هذا يعطى لأعماقنا فرصة ممارسة الحياة الشابة الراغبة فى النمو غير المتوقف والتجديد المستمر، ينزع عنها روح الشيخوخة اليائسة ، كأننا نحن فى عوز إليهم لنمارس نمونا معهم ، نتفاعل معاً بروح الحب الجاد كأعضاء فى جسد المسيح الواحد . والمراهقون فى حاجة إلى بالغين حكماء يسندونهم لكى يحسنوا استغلال هذه المرحلة الثمينة والفريدة ليتمتعوا بالنضوج المستمر .

لا تتعجلوا نموّنا ... ولا تتجاهلوه !

يظن البعض أن النمو حالة يبلغها الإنسان دفعة واحدة يتوقف عندها ليعيش بقية عمره على ذات المستوى . هذا فى الواقع شعور كبرياء مريض يحطم الحياة ويقبر شخصية الإنسان .

هذا المفهوم الخاطىء للأسف يتبناه أحياناً الآباء أنفسهم ، فيلقون بالمسئولية كاملة على أبنائهم ، حاسبين إياهم أشخاصاً كاملى النضوج . أمام ثقل هذه المسئولية يهرب بعض المراهقين إلى الممارسات الجنسية الخاطئة بصورة أو بأخرى للتنفيس عن أنفسهم . أحياناً يشجع أو يتجاهل بعض الآباء تصرفات أبنائهم هذه ، ظانين أنها علامة بلوغهم النضوج .

فيما يلى بعض عبارات سجلها بعض المراهقين من الجنسين فى أمريكا[1] :

(يضغط كثير من الوالدين على الشخص الصغير دون أن يدركوا ذلك ، عندما يطالب والد شخصاً صغيراً أن يكون ناضجاً . إن ٩٩٪ من الوالدين لايفسرون ما يعنوه بالإنسان الناضج . لذلك يتقبل اليافع مفهوم زملائه عن النضوج ، بكونه اندماجاً فى الجنس . يحتاج المراهقون اليوم إلى والديهم ليشرحوا لهم الفارق بين النضوج وممارسة العلاقات الجنسية) .

(أشعر أحياناً أن كثيراً من المراهقين صاروا منشغلين بالجنس بسبب ضعف علاقتهم بالوالدين متى ضغط عليهم الوالدون بكثير من المسئوليات ، يشعرون

https://coptic-treasures.com/

بالحاجة إلى التنفيس عن هذه الضغوط بممارسة العلاقات الجنسية) .

(أظن أن الكثير من الوالدين يضغطون على أولادهم لكى ينمو سريعاً جداً ويتركونهم وحدهم دون تعليمهم أن الجنس قبل الزواج خطية) .

يقول أحد الآباء : (نحتاج نحن الآباء أن نعين أبناءنا المراهقين حتى يستطيعوا أن يوازنوا بين حياتهم كأبناء صغيرى السن وبين رغبتنا فى أن يعيشوا فى عالم البالغين . ليتنا لا نتعجل أبناءنا فى الوصول إلى البلوغ) .

كما يسيىء الآباء إلى أبنائهم حين يحسبونهم قد نموا تماماً فيلقون عليهم بأعباء فوق طاقاتهم قادرة أن تحطم نفسيتهم وحياتهم ، هكذا يسيىء أيضاً الآباء إليهم حين يتجاهلون نمو أبناءهم تماماً . كم يصعب على المراهقين أن يجدوا أحد البالغين يتحدث معهم بتعبير إجمالى « الأولاد The kids » يشعرون فى هذا إهانة وتحقيراً ، كل واحد منهم يشعر بأنه شخص له كيانه الخاص وقدراته وشخصيته المستقلة وليس مجرد واحد من بين الأولاد كما كان فى طفولته [٢] . فى هذه المرحلة يستصعب المراهق ــ من الجنسين ــ أن يطلب منه أحد الوالدين أن يحضر له كوب ماء أو ثيابه الخ ... خاصة أمام الغير ، ليس عن عدم محبة للوالدين أو عدم رغبة فى خدمتهما أو عن كبرياء أو كسل كما قد يُتهم ، ولكن رغبة منه فى تأكيد نضوجه ونموه أمام نفسه وأمام الغير بطريقته الخاصة . والدليل على هذا تجد الفتاة المراهقة التى تدّعى التعب أو ضيق الوقت فلا تستجيب لمساعدة والدتها ، هى بعينها تبحث عن مساعدة الغير والعمل بجدية ، لذا يحتاج أولادنا أن يدركوا تقديرنا لنموهم كنمو مستمر لايتوقف .

نُقدّر نموكم المستمر ... اقبلوا خبرات الغير !

هذا من جانب الآباء الذين تارة يتصورون أولادهم المراهقين قد نضجوا تماماً وأحياناً أنهم لازالوا أطفالاً ، أما بالنسبة للمراهقين أنفسهم فأحياناً يتصورون أنهم قادرون على البلوغ دفعة واحدة ليتوقفوا بعد ذلك . ولما كان النضوج عندهم يعنى الحرية أو التحرر من توجيه الغير ــ خاصة الوالدين ــ بكونه علامة على ثقتهم فى أنفسهم واكتفائهم الذاتى وأنهم قد تهيأوا تماماً ليكونوا رجالا

https://coptic-treasures.com/

well-adapted men أو نساءً . بهذا يحملون أفكاراً خيالية أو أطوبية utopian نحو النضوج والحرية [٣] . مثل هؤلاء يريدون أن يسلكوا حسب هواهم الشخصى وحكمهم الذاتى وحده فى كل الأمور دون تشاور مع الوالدين أو المرشدين ، ظانين أن هذا هو النضوج وهذه هى الحرية أن يحسبوا أنفسهم دون سواهم يدركون الأمور بطريقة سليمة . هذه النظرة النرجسية narrcissistic vision للنضوج والحرية (نرجس هو شاب أسطورى عشق صورته فصار يتأملها فى جدول ماء وبقى يتطلع إليها حتى مات) تقتل نمو المراهق وتحطم حياته .

ليت هؤلاء المراهقون يدركوا أن الحرية هى قلب النمو والنضوج ، لكن ليس بطريقة نرجسية بل خلال تقدير نمو الآخرين أيضاً وخبرات السابقين لهم ... وأنهم هم أيضاً ينمون تدريجياً ، خلال اتساع فكرهم لقبول البالغين فى حياتهم مع اجتيازهم المتاعب والمصاعب باستمرار لتهبهم خبرات جديدة ربما تؤكد خبرات السابقين وقد تزيد أيضاً عليها .

إذن النمو حركة مستمرة ينعم بها المراهقون خلال احتكاكهم بالغير وقبولهم طريق التعب والألم . وكما يقول الدكتور دوبسون فى كتابه « الاعداد للمراهقة » أن الجنين إذ يكتمل نموه يتحرك ليخرج من رحم أمه حيث كان فى موضع آمن ، كل مطالبه مستجابة طبيعياً دون عناء من جانبه . لكنه إذ يخرج يمسك الطبيب بقدميه ليصير الطفل فى موضع مقلوب حتى يصرخ فيطمئن أن رئتيه تعملان . هكذا يدخل الطفل العالم صارخاً ليمارس نموه اليومى خلال تجارب التعب ، مواجهاً العالم كما من موضع مقلوب . أما إن بقى فى رحم أمه الآمن فإن نموه يتوقف بل ويموت . هكذا يليق بالمراهقين أن يتركوا عالم الطفولة الدافىء والآمن ليواجهوا الحياة لا خلال طلب الحرية النرجسية وإنما بقبول الحرية الواقعية القادرة على مجابهة المصاعب المستمرة ، فتنمو شخصياتهم إن كانوا مسنودين بنعمة الله فيهم ، منتفعين بخبرات الغير أيضاً .

الإنسان فى مرحلة المراهقة ، كما فى كل مراحل حياته ، يحتاج إلى السيد المسيح كصديق شخصى له ، يسنده على النمو المستمر خلال المتاعب ، واهباً إياه الرجاء الذى لا يخيب ، روح النصرة والغلبة ، محققاً كلمات الرسول : « أيها الأحداث

https://coptic-treasures.com/

قد غلبتم الشرير » (١ يو ٢ : ١٣) .

بهذه الروح عاش الرسول بولس يطلب النمو الدائم فى المسيح يسوع ، إذ يقول : « أنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام » (فى ٣ : ١٣) ، واثقاً أن كل الأمور تعمل لنموه المستمر ، إذ يقول : « نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) .

استلم عجلة القيادة ... لاحظ العلامات !

تُشبّه المراهقة بسيارة يقودها الشخص ليعبر مسرعاً من مدينة الطفولة العاجزة إلى مدينة البلوغ الناضج ... إنها سيارة النمو المستمر ، لكن طريقها محفوف بالمخاطر ، قائدها يحتاج إلى علامات فى الطريق حتى لاينحرف فيهوى بسيارته .

لسنا نطلب انتزاعك عن عجلة القيادة ، ولا إلزامك والضغط عليك فى رحلة مراهقتك ، إنما توجيهك لتعرف إمكانية سيارتك ، استلام خريطة الطريق ، الكشف عن المخاطر ، تقديم علامات تسندك .

لعل أول علامة نقدمها للمراهقين لمساندتهم فى طريق نموهم هى : « **النمو حركة داخلية فى النفس** » .

ما يتسم به المراهقون من حركة مستمرة ونشاط يبدو فوق إمكانياتهم البدنية إنما هو علامة صحيحة عن رغبتهم الداخلية للتحرك نحو النضوج والشوق نحو النمو . إنما الخطورة هنا أن يتوقف المراهقون عند المظاهر الخارجية للنمو لإبراز رجولتهم أو أنوثتهم خلال بعض تصرفات خارجية دون الاهتمام بالحياة الداخلية ، ونمو شخصياتهم ؛ يتمثّل هذا فى الآتى :

أولا : لا تخجل من كلمة « لا »

يخجل المراهقون من كلمة « لا » فى حديثهم مع أصدقائهم وذلك بسبب رغبتهم فى **الاهتمام بمجاراة الغير conformity** والتمثّل ببعض الشباب دون تفكير من جانبهم . ففى بعض الاستفتاءات التى أجريت فى الولايات المتحدة الأمريكية بين بعض المراهقين لوحظ أن حوالى ٨٠٪ ممن يتعاطون المخدرات لم يستخدموها

https://coptic-treasures.com/

فى المرة الأولى فى حياتهم بقصد التجربة ولا عن اقتناع ، إنما تحت ضغط الأصدقاء، حتى لا يُتهموا بأنهم أطفال (ابن أمه أو ابن أبيه) أو أنهم سَذج بلا خبرة الخ ...

فيما يلى بعض تعليقات لمراهقين بخصوص ممارستهم للعلاقات الجنسية قبل الزواج [٤] :

(ليس من السهل القول « لا » تحت ضغط صديق) .

(يتحدث بعض المراهقين فى صراحة عن تخوفهم من النبذ من زملائهم إذا لم يشاركوهم فى ممارسة الجنس) .

(سبب آخر بخصوص الضغط الذى يمارسه الأصدقاء ، هو الخوف من دعوة المراهق أنه « بلا خبرة » . هذا اللقب بالنسبة للبعض يُعتبر أسوأ مايمكن أن يُنعتوا به ، إذ يعنى بقاءهم فى الطفولة) .

هكذا تحت ضغط الأصدقاء يسلك بعض المراهقين طريقاً قد لايقبلونه فكرياً، إنما من أجل حسبانهم ناضجين وبالغين وليسوا أطفالاً .

يقدم لنا الدكتور دوبسون [٥] مثلاً عملياً لضغط الأصدقاء على المراهقين الذى يحطم نموهم الداخلى ، إذ يقول لو أنك كنت فى سيارة مع أربعة شبان ذاهبين لقضاء فترة ترف fun ليلاً ، وأخرج الذى يقود السيارة زجاجة من جيبه ليبتلع حبة (من المخدرات) ، ثم بسرعة قدمها لمن بجواره فابتلع بدوره حبة ثم الثالث وهكذا حتى جاء دورك . ربما تمسك بالحبة متردداً ، فتجد أحد الأصحاب يضحك ساخراً : « ما هذا ياسيسى (للفكاهة به Come on, Sissy) ماهذا ؟ هل أنت خائف ؟ فى وسطنا « ابن أمه » ياصحاب ! إنه يخاف من والده لئلا يكتشف الأمر ؟ لم نكن نحسبك فرخة كبيرة (Big chicken) ! يالك من طفل (Baby face) جرّبها هذه المرة ! » هكذا قد يسخر واحد أو أكثر بكلمات جارحة للمراهق ، تختلف من بلد إلى آخر . عندئذ ترتجف يدك ، وتتزايد ضربات قلبك ، وتشعر بارتباك شديد ... وربما تحت هذا الضغط تبتلع « الحبة » لتكون هذه بداية لتدمير كل حياتك .

https://coptic-treasures.com/

فى أكثر من استفتاء سُئل مثل هؤلاء الشباب الذين يضغطون على زميلهم ليجاريهم فى تعاطى المخدرات أو ممارسة الجنس أو الانشغال باللهو والحفلات على حساب كل جوانب حياتهم الأخرى ، ما هى نظرتهم للصديق الذى يصرّ على القول : « لا » . وكانت أغلب الإجابات على أنهم وإن كانوا يسخرون منه للضغط عليه ، لكنهم يشعرون بالتقدير له ويحسون أنه قائد حىّ ، يقدر أن يوجّه حياته وحياة الآخرين .

١ ــ كلمة « لا » لا تعنى فقدان المراهق كيانه الشخصى ، بل على العكس تكشف عن قدرته على القيادة ، إذا تعنى أنه قوى الشخصية قادر أن يقود الآخرين لا أن يسحبه الغير على غير هواه [٦] .

لقد قدم لنا جوش مكدويل Josh McDowell [٧] ٣٧ طريقة ليقول المراهق « لا » لأصحابه عندما يطلبون منه ممارسة الجنس قبل الزواج ، قدمها من كتابات المراهقين أنفسهم ، نذكر منها بعض عباراتهم بتصرف مع إضافة شواهد من الكتاب المقدس بمعرفتنا .

١ ــ إذهب إلى الخالق الذى أوجدك ، فهو يعرف كيف تسلك حسنا (٢ بط ١ : ٣ ، ٤) .

٢ ــ أقم علاقة مع ربنا يسوع فينزع احساسك بالعزلة .

٣ ــ تعلم أن تقل « لا » فى اجتهاد وتغصّب (٢ بط ١ : ٥) .

٤ ــ تُب وأسلك طريق نعمة الله (١ كو ١٥ : ١٠) .

٥ ــ تأمل كلمة الله القائل : « تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » .

٦ ــ اطلب مشورة صالحة (خاصة من أب اعترافك) (أم ٦ : ٢٠) .

٧ ــ اهرب لنفسك كما فعل يوسف (تك ٣٩ : ٩) .

٨ ــ احترس من برامج التليفزيون الخاصة بالجنس .

٩ ــ « مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » (٢ كو ١٠ : ٥) ... لاتسمح للفكر أن يجول فيما يعثر .

https://coptic-treasures.com/

١٠ــ أوقف المواعيد المعثرة واللقاءات الهدامة مع الغير (مت١٨: ٨ الخ) .

١١ــ تجنب الصغائر فهى تقود للكبائر (نش ٢ : ١٥) .

١٢ــ راجع هدفك فى الحياة من حين إلى آخر ، مستشيراً الله نفسه (أع٩: ٦).

١٣ــ إسع لتكوين صداقات مع من يبنيك روحياً (جا ٤ : ١٢) .

١٤ــ لا تظن أنك قوى لئلا تسقط فى التجربة (١ كو ١٠ : ١٢) .

١٥ــ اهتم بتنمية مواهبك (٢ تى ١ : ٦) .

١٦ــ لتكن كلماتك وتصرفاتك حكيمة ومتزنة حتى لايتعثر الغير بسببك .

١٧ــ تجنب اللقاءات الفردية ، لأن من يقترب من نار الشهوات يحترق (أم ٦ : ٢٧، ٢٨) .

هذه الطرق العملية التى كتبها مراهقون يطلبون النمو يمكنها أن تسندك فى القول « لا » من أجل بنيانك المستمر ونمو شخصيتك فى كل جوانبها .

ثانياً : تفهَّم حقيقة الرجولة أو الأنوثة

بجانب ما لضغط الأصدقاء من أثر على المراهقين للانشغال بالمظاهر الخارجية عوض النمو الداخلى للنفس ، فإن رغبة المراهق الداخلية أن يحمل مظهر الاعتماد على نفسه واستقلال شخصيته عن والديه لها أثرها أيضاً . ليس شىء أقسى على نفسية المراهق (أو المراهقة) من أن يدعى ابن أمه أو ابن أبيه . فلا عجب إن انشغل المراهق لا بنمو شخصيته فى الداخل بل بأمور خارجية تبدو فى نظر البالغين أحياناً تافهة . فالشاب يرى فى سؤال أبيه عن سبب تأخيره فى الوصول إلى المنزل أو تأخره فى الدراسة أو التعرف على أصدقائه أو تدخل الأم فى اختيار موديل لملابس ابنتها أو تصفيف شعرها الخ ... إهانة كبرى يمّس رجولة الشاب أو أنوثة الفتاة ، ويعتبر المراهقون مثل هذه التصرفات مثابة تحطيم لشخصياتهم .

قدم الدكتور دوبسون مثلين واقعيين فى حياته الخاصة . الأول حين بدا يتراخى فى دراسته ولم يركز مع المدرسين حتى نزل مستواه ، جلست معه والدته وأخبرته أنها لن تعاقبه بحرمانه من الخروج إلى بعض الرحلات الترفيهية أو من أخذه مصروفه الخاص الخ ... إنما كل ما تعمله أنها ترافقه فى المدرسة لتراقب تصرفاته ، إن لم يَعُد

https://coptic-treasures.com/

إلى تفوقه الدراسى . لقد حسب هذا كارثة ، أو كما دعاها « انتحاراً اجتماعياً » ، خلاله يفقد شخصيته أمام التلاميذ زملائه ، لذا قرر فوراً أن يهتم بدراسته بطريقة أدهشت المدرسين والزملاء دون معرفتهم للسبب الحقيقى . أما المثل الثانى فهو أن والده حضر حفل نجاحه فجاء يصوره فيلماً سينمائياً (movie) وسط زملائه . لقد حسب ذلك اهانة إذ لا يقبل أن يكون الطفل « ابن أبيه » الذى يريد والده أن يلتقط له صوراً .

هذه المشاعر وأمثالها أمر طبيعى فى حياة المراهقين ، وهى علامة صحية على الرغبة فى التمتع بالنضوج والاستقلال إلى حد ما . لكن الخطورة أن تقف الرغبة عند المظاهر الاجتماعية الخارجية دون الدخول إلى أعماق النفس للتمتع بنمو الشخصية .

اكتشاف الإنسان لأعماقه الداخلية بروح الله الساكن فيه ، وادراكه لمركزه الجديد كابن لله ، وتعرفه على خطة الله من جهته يهبه اعتزازاً بكيانه « core self » وليس بالوقوف عند المظاهر الخارجية . يدرك المراهق أن نمو شخصيته لا يقف عند جمال جسده أو قوته الجسمانية ، أو تفوقه الدراسى أو غناه أو ملاطفته للغير خاصة للجنس الآخر ، إنما يتحقق بشبع نفسه وتعرفه على حقيقة أعماقه وفاعليته فى حياة الجماعة باتساع قلبه للكل . من يهتم بالمظهر الخارجى يبقى دائماً فى عوز وفراغ يستجدى عاطفة الغير أو مديحهم أو عطاءهم المادى ، أما من يهتم بالداخل فيملأ فراغه الداخلى بالله نفسه مالىء الكل ، فيفيض على الغير من ينابيع الحب الداخلى ، إذ يتحقق فيه قول السيد المسيح : « من آمن بى ... تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ » (يو ٧ : ٣٨) .

المراهق الذى ينعم بنمو داخلى يتفهم كلمات المرتل : « مجد ابنة الملك من الداخل » (مز ٤٥ : ١٣) ، عندئذ يدرك مع الرسول بولس سمو غاية الله منه ، فيقول : « اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة ، إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح نفسه حسب مسرة مشيئة» (أف ١ : ٤، ٦) . هكذا يشعر المراهق أنه موضع سرور الآب !

https://coptic-treasures.com/

أدرك إرميا وهو صبى دوره فى الحياة ، الذى تقبَّله من يدىْ الله نفسه ، إذ قيل له : « قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك ، جعلتك نبياً للشعوب ... لا تقل إنى ولد ... لأنى أنا معك لأنقذك يقول الرب» (إر ١ : ٥ ــ ٨) . هكذا تسلّم النبى رسالته وهو صغير السن ليمارس ما لم يستطيع الرجال القيام به . أعطى لحياته طعماً خاصاً وعذوبة بالرغم مما واجهه من متاعب فى الطريق . لقد تحمل المسئولية بكل مصاعبها فنمت شخصيته بتحقيق هدف سامٍ تقبله من يدىْ الله نفسه .

هذه دعوة موجهة لكل إنسان خاصة فى مرحلة المراهقة ــ أن يدخل إلى أعماقه ، ويكتشف أمجاد الله فيه ، ويدرك رسالته ، ومساندة النعمة الإلهية لتحقيقها ، فيقول باعتزاز : « أنا ما أنا ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة » (١ كو ١٥ : ١٠) .

ثالثاً : الجنس ... ليس تعويضاً ولا تنفيساً ولا لذة ذاتية !

يذكر Harvey G. Cox[٨] عاملين ظهرا فى العصر الحديث حوَّلا الجنس فى حياة المراهقين إلى حركة تعويض وتنفيس عوض أن يكون عاملاً على النمو ، وهما: عدم انشغال الإنسان فى الحياة السياسية ، وظهور الكمبيوتر بصورة دائمة التطور نزعت الكثير من العلاقات الإنسانية فى العمل . بلا شك فى الماضى القريب كان الإنسان بوجه عام يشعر بكيانه الإنسانى والاجتماعى خلال انشغاله بكل مايدور فى بلده من عمل سياسى وأيضاً فى عمله خلال العلاقات الإنسانية ، أما الآن فغالباً ما لايقوم الفرد بدور حيوى فى هذين الجانبين ، خاصة وأن تطور الكومبيوتر المستمر والسريع حوَّل العمل إلى الآلة ليصير الدور الإنسانى أقل بكثير مما كان عليه قبلاً . بهذا انتزعت كثير من العلاقات الإنسانية طوال يوم العمل الطويل ليجد الإنسان جهاز الكومبيوتر أسرع اليه من الإنسان وأدق فى تقديم كثير من المعلومات ومساندته على أخذ قراراته من واقع الأرقام ، ربما دون حاجة إلى التشاور مع آخرين . هذا الفراغ سحب البعض نحو الجنس بغير هدف جاد سوى الهروب والتنفيس والتعويض واشباع الفراغ الداخلى بصورة مؤقتة .

https://coptic-treasures.com/

يقدم Gibson Winter[٩] تعليلاً آخر أفقد الجنس دوره الجاد فى نمو شخصية الإنسان وتحويله إلى لذة فردية يريد الإنسان التمتع بها دون اعتبار للكيان الأسرى والجماعى ، ألا وهو اتسام العصر الحالى بالنزعة الفردية حتى فى العبادة . فنحن الآن فى عصر « الفرد » ، كل شخص يبحث عن حياته الخاصة وحريته ولذته ، بعد أن فقدت الروابط الأسرية والقِيَم الجماعية دورها الحيوى لدى الكثيرين .

كان للجنس قدسيته ، إذ يُمارس خلال الفكر الأسرى ، مرتبطاً بالشعور بالمسئولية العائلية فى الرب . أما الآن فصار الإنسان يطلب ما لِذاته فى فردية وأنانية . فلا نعجب إن رأينا كثيرين يحجمون عن الانجاب تماماً ، لا لشئ إلا لأنهم لايريدون تحمل مسئولية على حساب راحتهم وترفهم ... هذا الأمر صار له انعكاسه على النظرة للزواج ، فصار فى نظر بعض المراهقين جنساً جسدياً بحتاً يمكن التمتع به دون الالتزام بروابط الزواج ومسئولياته .

أتريد أن تنمو ؟ حِب !

إذ يتحرر الإنسان من الذات أو الأنا ego بروح الله الساكن فيه ، يتسع قلبه ليحمل الله محب البشر فيه ، فيجد كل إنسان راحته داخل هذا القلب . هذا هو النمو الداخلى الحقيقى ، نمو الشخصية باتساعها .

النمو فى جوهره هو تحوّل عن الرغبة فى أن يخدم الكل « الأنا » ، ويكرم الكل «الأنا» ، ويعطى الكل « الأنا » ، أى رغبة الإنسان أن يكون هو محور خدمة الكل وتكريمهم وعطائهم ؛ إلى الشوق الحقيقى للتحرر من الأنا ليهب ويعطى إن أمكن حتى نفسه his self . بمعنى آخر النمو هو رحلة حب حقيقى فيه يمارس الإنسان عمل السيد المسيح بكونه شريكاً فى الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٢٤) ، الواهب نفسه للغير مجاناً بنعمته . هذه الرحلة التى هى رحلة النفس self trip لايقبلها الإنسان الطبيعى ، بل يحسبها مستحيلة وخيالية ، لا تناسب الإنسان الساكن فى هذا العالم . لكن من تذوَّق تسليم قيادة أعماقه للسيد المسيح يجد نفسه بفرح وبهجة قلب يتمثَّل بفاديه ، مشتاقاً أن يقدم نفسه . عوض رحلة الذات ego trip الهادفة إلى تقوقعه حول « الأنا » لخدمتها ، ينعم برحلة النفس self trip بقيادة السيد المسيح نفسه وعمل روحه القدوس .

https://coptic-treasures.com/

حقاً ما أسهل أن يتصنع الإنسان البشاشة وتكريم الغير وأن يعطى من ماله وإمكانياته الخارجية ، فإنه حتى الأشرار يمكنهم تقديم ذلك خلال خدمتهم للذات، أما أن يمارس الإنسان عطاء النفس الداخلى فهو هبة يقدمها الله لسائليه.

النمو وتوازن الشخصية

فى المقال السابق تحدثنا عن شخصية الشاب أو الشابة المتكاملة ، لذا أكتفى هنا بتقديم بعض أمثلة تكشف عن مفهوم النمو الحقيقى كتوازن بين كل جوانب الشخصية :

١ ــ أحياناً يعانى بعض الشباب فى مصر من الضغط النفسى فى فترة ما قبل الامتحانات ، فيبدأ البعض بالمبالغة فى دراسة الكتاب المقدس والصلاة وقضاء فترات طويلة فى الكنيسة ، ليس رغبة فى النمو الروحى قدر ما هو هروب من الدراسة تحت ستار التدين . لذا يطالب أب الاعتراف مثل هؤلاء الالتزام بالدراسة كوزنة بين أيديهم جنباً إلى جنب مع جهادهم الروحى غير المنفصل عن جهادهم الدراسى .

٢ ــ المبالغة فى الأصوام بغير حكمة يمكن أن تضر الجسد كما تحطم الروحيات مثلها مثل اهمال الصوم والترف والنهم فى الأكل .

٣ ــ مبالغة الشاب فى الأكل والشرب بترف وتدليل بدون ضابط يفسد الحياة الروحية كما قد يضر البدن نفسه .

٤ ــ تركيز الشاب أو الشابة فى مرحلة المراهقة على موضوع اختيار شريكة أو شريك الحياة ، حتى يبتلع هذا الموضوع الفكر قبل نضوج الإنسان فكرياً وعاطفياً واجتماعياً وروحياً ، يدفع بالمراهق إلى الفشل فى الدراسة أو عدم تفوقه ، كما يصير عائقاً لنموه الروحى ، وأحياناً بسبب متاعب أسرية . هذا ماتؤكده الاحصاءيات فى أمريكا الشمالية إذ تنتهى ٥٠٪ من الزيجات فى سن مبكر بالطلاق أو الانفصال خلال السنوات الخمس الأولى من الزواج . فنجد العروسين اللذين كانا يظنان أنهما فى غاية السعادة خلال حبهما المشترك ، سرعان مايقفا أمام القاضى ليكيل كل منهما للآخر الاتهامات ، ويحسب كل منهما فى نفسه أنه

https://coptic-treasures.com/

كان مخدوعاً وأن الطرف الثانى لايستحق حبه .

من هذه الأمثلة نرى التزام المراهق الموازنة فى كل جوانب حياته لكى ينمو داخلياً .

النمو البدنى عطية إلهية ... يصاحبه مشاكل !

سرعة النمو البدنى فى مرحلة المراهقة هى عطية إلهية ، خلالها يودع الإنسان مرحلة الطفولة ليقتحم خبرة الحياة الناضجة الجديدة تدريجياً . غير أن هذه المرحلة يصاحبها الكثير من المشاكل والصعاب ، نذكر منها :

١ ــ ظهور الشعور بالنقص ، فالمراهقون حسّاسون جداً لنموهم البدنى ، يقارنون أنفسهم بزملائهم مع شيىء من التخوف ، فيظن الكثيرون أنهم غير مقبولى الشكل ، ينقصهم جمال الجسد . أحياناً ترى الفتاة أن نمو زميلاتها أكثر من نموها فتضطرب وتقلق على مستقبلها دون أن تدرك أن النمو يصيبه التعديل بعد فترة قصيرة . وقد تتخيل الفتاة أنها أكثر طولاً من غيرها فتظن أنها لاتجد الإنسان المناسب لها (أطول منها) فى حياتها الزوجية . وقد يظن المراهق أنه غير كامل النضوج خاصة من الجانب الجنسى فيرتبك ، أو أنه أقصر من زملائه أو أكثر بدانة ، فيكون موضع سخرية الغير .

يطالب علماء النفس المراهقين أن يدركوا أن لكل إنسان جماله الخاص ، حتى وإن بدى فيه عيب بدنى معيَّن ، فيبرز الفتى فى عينى نفسه ما وهبه الله من جمال سواء كان بدنياً أو قدرات خاصة بالذكاء أو الفن الخ ... كما يحتاج المراهقون إلى حكمة الوالدين ليؤكدوا لأبنائهم حبهم لهم وتقديرهم وافتخارهم بهم ، لا أن يسخروا بعيب معين فيهم ولو على سبيل المزاح .

أما من الجانب الروحى ، فإن التربية الروحية السليمة تعطى للمراهق أن يركز أنظاره بالأكثر على الجمال الداخلى ، حاسباً كل ما وهبه الله هو صالح ومبارك لبنيانه . عمل روح الله فى المراهق المساندة المستمرة للنمو والبنيان فى رجاء وبقوة ، وبدون يأس .

https://coptic-treasures.com/

٢ ــ أحياناً ينمو البعض بدنياً بسرعة تفوق الآخرين ، فيجد المراهق نفسه شاذاً بين زملائه الذين فى ذات عمره . لايعرف كيف يقيم صداقات معهم ، إذ يراهم كأطفال بالنسبة له ، وفى نفس الوقت يعجز عن إقامة صداقات مع من فى مثل حجمه ويكبرونه فى السن إذ يعاملونه كطفل بسبب صغر سنه وقدراته الفكرية . مثل هؤلاء يحتاجون إلى مساندة خاصة فى البيت والمدرسة والكنيسة لتعالج حالتهم بطريقة شخصية حتى لاتتحطم نفسياتهم .

٣ ــ يحتاج النمو البدنى إلى طاقة كبيرة ، لذا يميل المراهقون إلى الاهتمام بالأكل فيتهمون بالنَّهم والافراط فيه . هذا من جانب ، ومن جانب آخر يصحب النمو البدنى نشاط وحركة مستمرة ورغبة فى التلاقى مع الأصدقاء لفترات طويلة ، وفى نفس الوقت متى جاءوا إلى منزلهم يشعرون بالحاجة إلى الراحة والنوم فيُتهمون بالخمول والكسل وعدم التعاون مع الأسرة فى ممارسة الأعمال المنزلية .

٤ ــ غالباً ما يبدأ النمو فى حياة الفتاة قبل الفتى ، ويتحقق بمعدل أسرع ، ففى سن الثانية عشرة تبدو الفتاة « سيدة صغيرة » بينما يبدو الفتى « صبياً صغيراً » ، الأمر الذى يسبب نفوراً مؤقتاً بين الجنسين ، فيحجم كل جنس عن الاختلاط بالجنس الآخر ، ويكون لكل جنس عالمه الخاص . فالفتيات ينظرن إلى الفتيان كصبيان صغار ويتهمونهم بالعنف فى معاملاتهم ، بينما تحس الفتيات أنهن سيدات صغيرات رقيقات الطبع ... لكن بعد قليل ينمو الجنسان أكثر ، وتظهر العاطفة والمشاعر الجديدة لكل جنس نحو الآخر ، ويطلب كل شخص أن يكتشف عالم الجنس الآخر .

٥ ــ ظهور المتاعب النفسية الدفينة فى حياة بعض المراهقين تدفعهم للتنفيس عنها بالانهماك فى الأكل ، مما يجعلهم أكثر بدانة ويعرضهم لمتاعب نفسية جديدة .

هذه المشاكل وما على شاكلتها تتطلب مراعاة الوالدين والكهنة والمرشدين طريقة التعامل مع المراهقين بما يناسب طبيعتهم وظروفهم حتى يكسبونهم بالحب والتقدير . هذا أيضاً يتطلب من المراهقين ادراكهم حقيقة نموهم ، وتعرفهم على مفهوم النضوج والبلوغ والحرية . إنهم محتاجون إلى مساندة إلهية حتى ترافقهم

https://coptic-treasures.com/

نعمة الله ، لتبهم روح الاستنارة الداخلية ، وتذلل المصاعب فتجعل منها فرصاً للنمو الحقيقى ، وتوجههم نحو إدراك رسالتهم وتحقيقها ، فيشعر المراهقون بقدسية الحياة وجديتها مع الفرح والبهجة حتى وسط المتاعب ؛ يتلمسون صداقة الله مخلّص نفوسهم القريب إليهم بل هو فى داخلهم . بهذا ينشدون أغنية النصرة بقوة وفى رجاء ، قائلين : « أستطيع كل شيىء فى المسيح يسوع الذى يقوينى » .

أسئلة تكشف عن مدى نموك

يحتاج كل إنسان ــ خاصة فى مرحلة المراهقة ــ أن يختلى لا مع نفسه بل مع الله الساكن فيه ، ليكون صريحاً للغاية ، متساءلاً عن صدق نمو شخصيته ، مجيباً على مثل هذه الأسئلة :

١ ــ هل تطلب الحرية الكاملة فى البيت دون الرغبة فى تحمل المسئوليات بجدية؟

٢ ــ إن كنت تشعر بالنضوج ، فهل تتسرع فى الحكم على الأمور ، وتتذبذب فى الأمر ولو فى داخلك ؟ .

٣ ــ هل تجعل من نفسك الحكم الوحيد فى كل الأمور ؟ هل تلجأ إلى الله تصرخ إليه طالباً المشورة ؟ هل تتقبل مشورات وخبرات والديك وأب اعترافك ؟ هل تكتفى بسؤال من هم فى ذات عمرك ؟ .

٤ ــ عندما تواجه مشكلة ما هل تنفعل سريعاً ؟ .

٥ ــ هل تنقاد لمن هم فى ذات عمرك لتتمثّل بهم خشية نبذهم لك ؟ أم أنك قادر على أخذ قرارك من داخلك حتى ولو لم يسترح له كل زملائك ؟ .

٦ ــ أتريد أن تظهر كبطل أمام الغير ؟ أم تتطلب النمو الدائم القائم على مجابهة المصاعب والمشكلات بصدر رحب ، مستنداً على نعمة الله ؟ هل تتمتع بخبرات يومية كمصدر لنموك ؟ .

٧ ــ أتحب أن تكون موضع اهتمام الكل وعطائهم وتكريمهم خاصة أمام الجنس الآخر ؟ أم تشتاق أن تخدم الآخرين لأجل بنيان نفوسهم وخلاصهم ؟ .

٨ ــ هل تشتاق أن تعطى دون انتظار لمكافأة ؟ .

https://coptic-treasures.com/

٩ ــ هل تحب أم أنك تطلب ما هو للذتك الخاصة ؟ أتعرف تكلفة الحب وتدفعها ؟ .

١٠ــ هل تعرف أعماقك ؟ هل تراجع نفسك بخصوص اكتشاف هدفك ؟ .

أخيراً بعد أن تجيب على هذه الأسئلة ، إذ تشعر بالحاجة إلى النمو الصادق ، اصرخ إلى الله فهو سندك ، قريب إليك ، مشتاق إلى نموك ، يطلب صداقتك وخلاصك .

---

(1) Josh McDowell : What I wish my parents to know about my sexuality ! p. 58 - 59.

(2) Simen J. Thole : The ministry of Parents to Teen - ages, 1985, p. 17.

(3) Young Adult Living, Paulist Pres, N. Y. 1980, p. 11 (The cost of growing up, by Matthew O'Connell) .

(4) J. McDowell, p. 29 - 31.

(5) Dr. James Dobson : Preparing for adolescence, p. 52 f.

(6) Ibid p. 54 - 55.

(7) J. McDowell, ch. 25.

(8) J. C. Wynn : Sexual ethics & Christian responsibility, 1976, p. 29 f.

(9) Ibid, p. 38 f.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٤
المراهقة والجسد

لعل من أهم التساؤلات التى تثور فى ذهن الشباب المعاصر هى :

+ مادمنا نحمل جسداً ، فلماذا نكبت اشتياقاته وأحاسيسه ؟ .

+ هل يطلب مسيحنا والكنيسة حرمان الشباب من ضروريات الحياة الجسدية؟.

+ ماذا يضير مسيحنا والكنيسة والمجتمع من علاقات جسدية تتم برضى الطرفين ولا تسيىء إلى أحد ؟ .

+ ما هى نظرة مسيحنا للجسد وعواطفه وغرائزه ؟ .

+ أليس الشباب فى حاجة إلى خبرة الجنس حتى لا يفشلوا فى حياتهم الزوجية؟.

+ هل يمكن عملياً أن يعيش الشاب المعاصر فى طهارة إنجيلية ؟ .

أود أن أناقش هذه الأسئلة فى هذا المقال والمقالات التالية ، ولنبدأ الآن بالحديث عن الجسد ونظرتنا إليه وإلى اشتياقاته وأحاسيسه .

الجسد والحياة الإنسانية (١)

لم يخلق الله الإنسان نفساً مجردة ولا جسداً مجرداً ، إنما خلقه كائناً فريداً فى نوعه ، عجيباً فى إمكانياته ، يشارك الخليقة السماوية بنفسه أو روحه العاقلة التى لن يشبعها أمر زمنى إذ تطلب اللانهائيات ، وفى نفس الوقت له جسده كجزء لايتجزأ من كيانه الكلى له غرائزه وأحاسيسه ومتطلباته ، يود الشبع لا من الطعام فقط بل من لذات كثيرة . ومع هذا لايحمل الإنسان ثنائية كيانية ، أو ثنائية طبيعية ، بل له كيانه الإنسانى الواحد بالرغم مما للنفس من سمات تختلف تماماً عن سمات

https://coptic-treasures.com/

الروح . حين قيل إن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦) لم تُقصد النفس وحدها مجردة عن الجسد بل الكيان الإنسانى الواحد . يقول الأب غريغوريوس بالاماس متأثراً بالقديسين إيريناؤس وغريغوريوس أسقف نيصص : (يطلق اسم الإنسان لا على النفس ولا على الجسد بل على الإثنين معاً) .

الجسم ليس مسكناً للنفس ، تحتله إلى حين لتفارقه بلا عودة ، لكنه شريك معها فى كل شىء ، حتى فى الأمجاد السماوية ، وإن كان هذا الجسم يحمل فيما بعد طبيعة جديدة تليق بالأبدية ، هو شريك النفس فى الجهاد كما فى السقوط ، لذا يتقبل معها الأمجاد الأبدية أو الدنيوية . هذا ما أكده العلامة أثيناغوراس فى كتابه عن القيامة ، إذ يقول : (إن كانت طبيعة الإنسان ككل تحوى بوجه عام نفساً خالدة وجسداً لائقاً بالنفس فى الخلقة ، وإن كان ليس حسب طبيعة النفس وحدها أو طبيعة الجسد منفصلاً (عن النفس) عيّن الله مثل هذه الخليقة أو مثل هذه الحياة أو هذا الوجود الكلى ، إنما أقام أناساً مكونين من الإثنين ، يجتازون حياتهم الحاضرة خلال النفس والجسد ويبلغون نهاية واحدة عامة للإثنين ، فيكون لهما العنصران اللذان يتكونان منه عند الميلاد وأثناء الحياة ، يتبع هذا حتماً أن (الإنسان) كائن واحد يتكون من الاثنين ، يحمل خبرات النفس وخبرات الجسد ، يعمل ويحقق ما تتطلبه أحكام الحواس أو أحكام العقل ، فيبلغ هذا كله فى مجموعه نهاية واحدة ...) [٢] .

يقول أيضاً العلامة ترتليان : (حقاً لا يمكن للنفس أن تجتاز هذه الحياة وحدها ، فلا يمكننا أن نعزل حتى أفكارنا عن ارتباطها بالجسد ، مع أنها مجرد أفكار ... وما يتم فى القلب هو نشاط النفس فى الجسد ومع الجسد وخلال الجسد [٣]) .

لا يحمل الجسم انعكاسات النفس الداخلية فحسب ، إنما تعمل النفس مع الجسد متفاعلين معاً بلا انفصال ، لهذا لا نعجب إن دعى الكتاب المقدس الإنسان كله تارة « نفساً » ، وأخرى جسداً .

خلال هذا المنظار تتطلع الكنيسة إلى الإنسان فى كليته ــ نفساً وجسماً ــ كمقدس للرب ، فيه يحل الروح القدس خلال سرّى العماد والميرون لكى ينطلق

https://coptic-treasures.com/

الإنسان بكليته نحو التمتع بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع ، شاهداً لله بملكوته المعلن داخله .

ادراكنا لحقيقة جسمنا بكل طاقاته وقدراته مع التعرف على دوره فى الحياة الإنسانية أمر أساسى يمس نظرتنا للحياة وتطلعاتنا للعالم وممارستنا للحب وفهمنا للحياة الزوجية والعلاقات الأسرية والجنس .

الجسد بين التأله والبغضة

فى حديثنا عن « شخصية الشاب المتكاملة » ، رأينا وجود اتجاهين متطرفين من جهة النظرة للجسد ومتطلباته . هذان التطرفان يوجدان فى كل العصور ، وإن اختلف الأسلوب أو الشكل . يوجد من يؤلهون الجسد وينحنون أمامه فى استسلام كامل كأنه مركز عبادتهم وحياتهم وموضوع حبهم ، ويوجد من يكرهونه ويبغضونه ويصارعون ضده كعدو يلزم تحطيمه والخلاص منه .

فى القديم وُجد من ألهوا الجسد ، بل ووجدت ديانات تتعبد للأعضاء التناسلية للرجل Phallic religions أو للمرأة . فى أيام حزقيال النبى وجدت نساء وفتيات تقدمن إلى هياكل البعل ليمارسن الخطية مع القادمين إليها ، فى لهو وعبث ، حاسبين ذلك عملاً تعبدياً (حز ٢٠ : ٣٠) ، وعند اليونان وُجدت إلهة الجمال أفروديت . وفى عصر الرسل عاش البعض فى جو إباحى مفسد للحياة الإنسانية ككل ، حيث يسلم الإنسان شهوات جسده مركز القيادة ليعيش بجسده وفكره ونفسه لا همّ له سوى التمرغ فى الشهوات بلا شبع ، هؤلاء قيل عنهم : « آلهتهم بطونهم » (فى ٣ : ٩) ، أو قل « آلهتهم أجسادهم » . فما يطالب به بعض الشباب من ترك العنان لشهوات الجسد تحت ستار الحرية الشخصية ليس وليد العصر الحديث ، ولا بالأمر الجديد على البشرية ، إنما هو امتداد طبيعى لفكر عاشه الكثيرون عبر العصور ، تجاهلوا فيه تقديرهم للروح والفكر وكل الطاقات البشرية السامية ، لينحدروا بكل كيانهم الإنسانى منحنين لشهوات أجسادهم ، وكأن كل ما فيهم هو الجسد تقوده الغرائز بلا تقديس ولا ضابط .

من الجانب الآخر يوجد أيضاً فى كل عصر فريق مضاد يحمل فكراً لا يقل خطورة عن الفريق الأول ، ألا وهو تجاهل الإنسان لجسده ، فيظن فى نفسه أنه

https://coptic-treasures.com/

روحاً مجردة حُكم عليها بالحبس المؤقت فى الجسد . مثل هذا يعادى الجسد ويطلب تحطيمه ، خاصة الأعضاء الجنسية ، متطلعاً إليها كأعضاء دنسة وعنصر ظلمة أو فساد يريد الخلاص منها . من بين هؤلاء من بالغ حتى حسب الزواج فى علاقاته الجسدية أشبه بزنا مباح .

قدسية الجســـد

الجسم هو خليقة الله الصالحة ، لا يليق بنا أن نحتقره أو نقاومه كعدو نود الخلاص منه ، ولا نحسبه سجناً حكم على النفس أن تؤسر فيه كما ادعى أفلاطون. يتطلع الرسول بولس إلى أعضاء جسمه بقدسية ورهبة فيحسبها أعضاء المسيح (١ كو ٦ : ١٥) ، حاسباً الأعضاء التى يراها البعض بلا كرامة لها كرامة أفضل ، « والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل » (١ كو ١٢ : ٢٣) ، لا يليق بنا إفساد هذه الأعضاء أو استخدامها كآلات إثم للموت ، بل « آلات برّ لله » (رو ٦ : ١٣)

لقد وقفت الكنيسة تفند كل فكر غريب جاء به الهراطقة من الفلسفات القديمة ، خاصة الفارسية ، لمعاداة الجسم وحسبانه عنصر ظلمة ، فمن أقوال الآباء فى هذا الشأن :

+ لا يجب أن نخجل من أن نسمى ما لم يخجل الله من أن يخلقه .

القديس اكليمندس الاسكندرى

+ يجب أن لا تكون الطبيعة البشرية موضوع عار بل موضوع احترام .

العلامة ترتليان (٥)

+ الجسم هو من عند الله ، وما سمح أن يوجده هو جزء من عمله ... لاحظ كيف دُعى الإنسان « جسداً » بطريقة لائقة ... وأن غاية الله الخاصة بالإنسان ليست لصالح النفس وحدها بل للنفس مع الجسد .

العلامة ترتليان (٦)

+ الجسم الذى كان من البداية موضع فن الله ، سيوجد قادراً على التمتع بقوة الله والتمثل به .

القديس إيريناؤس (٧)

https://coptic-treasures.com/

+ لا تقبل القائلين بأن الجسد ليس من صنع الله ، لأن الذين يعتقدون أن الجسد غريب عن الله ، وأن النفس تسكن الجسد كما فى وعاء غريب ، يفسدونه بالزنا .

أى عيب يجدونه فى هذا الجسد العجيب ؟!

هل ينقصه الجمال ؟!

أى شىء فى تكوينه لم يُصنع بابداع ؟!...

لا تقل لى بأن هذا الجسد هو سبب الخطية . فلو كان الجسد سبب الخطية ، فلماذا لا يخطىء الميت ؟ ...

لايخطىء الجسد من ذاته ، إنما تخطىء النفس خلال الجسد ...

اشفق على جسدك بكونه هيكلاً للروح القدس (١ كو ٦ : ١٩) ، لاتدنسه بالزنا ، ولا تلوث ثوبك الجميل ؛ وإن كنت قد دنسته اغسله الآن بالتوبة ، اغتسل مادام الوقت يسمح بذلك .

القديس كيرلس الأورشليمى [٨]

إذن جسمنا ليس عدواً نقاومه ، وإنما كما يقول القديس أغسطينوس[٩] يلزمنا أن نحبه كما يحب الرجل امرأته والمسيح كنيسته ، معلقاً على كلمات الرسول بولس (أف ٥ : ٢٥ ــ ٢٨) هكذا : (يوصى المعلم الحقيقى الرجال أن يحبوا نساءهم على مثال حبهم لأجسادهم ، وفى نفس الوقت على مثال حب المسيح للكنيسة) .

هذا البدن بكل أعضائه هو خليقة الله الصالحة ، انحرف بشهواته عن غايته خلال انحراف إرادتنا بالخطية . وقد اهتم كلمة الله بتقديسه ، إذ حمل جسدنا بلا خجل لكى بملء الدالة نناجيه : (باركت طبيعتى فيك[١٠]) . يقول القديس اكليمندس الرومانى : (بالحب حملنا الرب إليه ! من أجل الحب حملنا ، فوهبنا ربنا يسوع المسيح دمه ... وهبنا جسده لجسدنا ، ونفسه لنفوسنا[١١]) . بنفس المعنى يقول القديس إيريناؤس : (هكذا يخلصنا الرب خلال دمه ، فيهبنا نفسه لنفوسنا ، وجسده لأجسادنا ، ساكباً روح الآب لأجل اتحاد الله مع الإنسان والشركة معه [١٢]) .

https://coptic-treasures.com/

الله الذى يحبك لم ينزع عنك جسدك الذى صار يمثل ثقلاً على نفسك ، لأننا أفسدناه بالخطية ، إنما أرسل الابن الوحيد ــ الخالق ــ لابساً الجسد الذى لك . جاء فى شبه جسد الخطية (رو ٨ : ٣) ، لكنه بلا خطية ... تقدمَ وجاهدَ باسمك ليهبك غلبة ونصرة وتقديساً إن لبست الرب واختفيت فيه وتجاوبت مع عمله . يقول القديس أمبروسيوس : (لقد كان ربنا يسوع المسيح يهدف بصومه وخلوته أن يشفينا من جاذبية الشهوة ، فهو لأجل الجميع قبل أن يجرب من إبليس حتى نعرف كيف ننتصر فيه).. ويقول البابا كيرلس الكبير : (انتصر المسيح على الشيطان ، وتوّج هامة الطبيعة البشرية باكليل المجد والظفر) .

فى السيد المسيح ، كلمة الله المتجسد ، صار لنا الغلبة والتقديس ؛ صارت أجسادنا مقدسة فيه ، إذ حُسبت أعضاءه (١ كو ٥ : ١٦) .

النظرة الآبائية للأعضاء الجسدية

رأينا كيف تطلع آباء الكنيسة الأولون إلى الجسد بكل أعضائه فى قدسية بكونه خليقة الله الصالحة . لذلك إذ هاجم الغنوسيون الجسد ــ خاصة الأعضاء الجنسية ــ كعنصر ظلمة ، اهتم الآباء بابراز النظرة الإنجيلية المقدسة ، موضحين اللَّبس الذى يسقط فيه البعض من تسمية الرسول بولس هذه الأعضاء «قبيحة»، إذ يقول : « والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل » (١ كو ١٢ : ١٣) ، إذ سبق فقال « إذ تُحسب » (١ كو ١٢ : ١٣) .... كأن هذا التعبير إنما هو التعبير الدارج ، إذ يحسبها الناس هكذا أنها قبيحة لكنها فى قدسيتها « لها جمال أفضل » .

+ يُظهر المسيح ــ بطريقة نافعة جداً ــ أنه لا يوجد فى جسم أمه شىء معيب بل ما هو طاهر [١٣] .

+ لايمكن لله أن يخلق شيئاً قبيحاً inhonestum بين أعضاء الجسم البشرية بأى طريق ، خاصة قبل الخطية [١٤] .

+ كون هذه الأعضاء مُكرَّمة honesta فى البداية أمر لانقاش فيه ... لكن الرسول يدعوها « قبيحة inhonesta » ... هكذا ماصنعها الله مكرمة

https://coptic-treasures.com/

يدعوها الرسول قبيحة إننى اتساءل عن السبب . إن لم يكن السبب هو الخطية فماذا يكون ؟ .

إنه الاستخدام الخاطىء ، إستخدام هذه الأعضاء بطريقة لاتخضع لقوانين ضبط النفس ، هو الدنس وليس الأعضاء نفسها . فإن هذه الأعضاء عينها تُحفظ بواسطة البتوليين والعذارى باستقامة فائقة ، بل وأيضاً بواسطة المتزوجين ، فإن الآباء والأمهات يستخدمونها فقط من أجل الانجاب ، فيكون الاستخدام الطبيعى لها ليس دنساً ، لأنها تخضع للعقل لا للشهوة [١٥] .

القديس أغسطينوس

+ حسناً يقول (القديس بولس) « إذ تُحسب » ، « نحسبها هكذا » مشيراً إلى أن هذا الوصف لايقوم على طبيعة الأشياء (الأعضاء) نفسها ، بل على الرأى السائد . إذ لايوجد فينا شىء قبيح ، ناظرين أنها عمل الله . هكذا أى شىء فينا يبدو أقل كرامة عن أعضائنا التناسلية ؟ ومع ذلك فلها كرامة أعظم . فإن الفقراء جداً ، حتى إن تركوا بقية الجسد عارياً لكنهم لايقدرون أن يتركوا هذه الأعضاء عارية ...

ويل للمسرفين الذين يلومون صنعة الله ! ...

لا تنسب الخطية للشىء نفسه (العضو) من أجل طبيعته ، إنما بسبب العصيان النابع عن الإرادة الإنسانية .

القديس يوحنا ذهبى الفم [١٦]

الجسم الإنسانى والشهوات الجسدية

إن كان الإنسان بجسده مع نفسه يمثل كياناً واحداً ، يحمل طبيعة واحدة هى « الطبيعة الإنسانية » دون أن يفقد الجسم طبيعته ولا النفس أيضاً تفقد طبيعتها، إذ يلتحما معاً فى طبيعة واحدة ، يعملان معاً بتناغم وتفاعل مشترك فى كل تصرف مادى ملموس أو حسّى أو عقلى خفى ، فلماذا يئن الرسول من جسده ، حاسباً إياه « جسد هذا الموت » (رو ٧ : ٢٤) الذى « يشتهى ضد الروح » (غلا ٥ : ١٧ ، ١ بط ٢ : ١١) ؟ .

https://coptic-treasures.com/

يلزمنا أن نميز بين الجسم soma الإنسانى كخليقة الله الصالحة وبين الجسد sarkis حينما يُعنى به الشهوات الجسدية التى تحطم قدسية الجسد والروح معاً ، إذ يستعبد الإنسان كل كيانه ــ نفسه وجسده وفكره وعواطفه وأحاسيسه وطاقاته ومواهبه ــ لأفكار شهوانية جسدية . هذا ما دفع الرسول بولس للتمييز بين الإنسان الجسدانى والإنسان الروحانى ، ليس بمعنى أن الأول جسد بدون روح والثانى روح بدون جسد ، إنما يقصد بالجسدانى الإنسان الذى أسر كيانه لشهوات الجسد فاستلمت قيادة حياته كلها حتى صار كمن هو بكليته جسداً. أما الروحانى فهو الذى يخضع لعمل روح الله القدوس ، فيُحسب روحانياً دون أن يخلع الجسد . يقول القديس أغسطينوس : (من ليس روحانياً حتى فى جسده يصير جسدانياً حتى فى روحه [١٧]) .

حينما يصير الإنسان جسدانياً لاتلقى باللوم على الجسد وحده ، لأن النفس تشارك الجسد خطأه ، إذ يقول السيد المسيح : « لأن من القلب (الإنسان الداخلى) تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف ، هذه التى تنجس الإنسان » (مت ١٥ : ١٩ ، ٢٠ . ويؤكد القديس أغسطينوس فى أكثر من موضع أن سبب السقوط هو انحراف الارادة عن مسيرها الصحيح [١٨] .

التغيرات الجسدية والمراهقة

عند حديثنا عن « المراهقة نمو وحياة » رأينا أن ما يصاحب هذه المرحلة من تغيرات جسدية وعواطف ومشاعر جديدة هو أمر صالح ، هِبة إلهية ليمارس الإنسان الحياة النامية المتحركة نحو النضوج ، متى سُلمت تحت قيادة روح الله .

لقد أشرت إلى بعض المشاكل النفسية التى تنجم أحياناً عن هذه التغيرات . ما أريد هنا توضيحه أن كثيراً من المراهقين ــ فى الشرق والغرب ــ يشعرون بقلق شديد واضطراب داخلى بسبب التغيرات التى تطرأ سريعاً بالنسبة لأجسامهم ، مع أن مايحدث معهم ــ بالنسبة للجنسين ــ يكشف عن ابداع الخالق وحكمته، إذ يهيىء المراهقين للدخول تدريجياً إلى النضوج والبلوغ حتى يستطيعون فيما بعد ممارسة الحياة الوالدية كآباء وأمهات .

https://coptic-treasures.com/

يصحب هذه التغيرات تفاعلات كيماوية جديدة فى الجسم تسبب نوعاً من المشاعر الجديدة فى حياة المراهق تجاه الجنس الآخر تتزايد لتصير وكأنها جزء من كيانه . هنا يبدأ الإنسان فى الشعور بفقدان بساطة نظرته للغير ونقاوة قلبه ، فيظن أن حياته قد تلوثت فجأة بالدنس ، مما يُسقطه فى الشعور بالذنب . مانؤكده هنا هو أن العواطف والمشاعر إن سُلمت فى يدىْ الله ، تهيىء الإنسان للحياة الزوجية المتزنة المملؤة قدسية ، كما تلهب قلبه بالحب لله ، فهى طاقات لازمة وضرورية سواء اختار الإنسان الحياة الزوجية المقدسة أو التكريس البتولى .

الجنس فى حقيقته ليس خطية ولا دنساً ، إن سار فى وضعه الحقيقى تحت قيادة روح الله واهب التقديس والحكمة والنمو . هذا ما سنتحدث عنه بمشيئة الرب فى المقالات التالية .

---

(١) للمؤلف : الحب ومفهومه ودرجاته ، فصل ٣ « الحب والجسد » .

(2) De Resurr. 15.

(3) De Resurr, Carnis 16.

(٤) مجموعة من المؤلفين : الجسد والعفة والحب ، منشورات النور ١٩٨٣ ، ص ٢٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(6) De Resurr. Carnis 5.

(7) Adv. Haer. 5 : 3 : 2.

(8) Catech. Lect. 4 : 22,23.

(٩) العفة ، فصل ١٩ ــ ٢٣ .

(10) Litury of St. Gregory the Theologian for the Coptic Church.

(11) Ep. 1 : 49.

(12) Adv. Naer. 5 : 1 : 1.

(13) De Genesi ad litteram 9 : 16.

(14) Contra Julianum 4 : 8.

(15) Contra Faustum 29.

(16) In Cor. PG 6 : 257 - 8.

(١٧) مجموعة من المؤلفين : الجسد والعفة والحب ، ص ٢١ .

(18) St. Augustine says (There would have been no evil deed unless there was an evil will prior to it. And what could begin this evil will but pride, which is the beginning of all sin ?!) De ivitate Dei, 14 : 13.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٥
الحب .. رحلة النفس

العطش إلى الحب

شغلت كلمة « الحب » قلب الإنسان منذ وجوده ، وستبقى تشغله مادام يوجد ، ولا أكون مبالغاً إن قلت أنها الأمر الوحيد الذى يرافقنا حتى بعد الموت ، إذ « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كو ١٣ : ٨) .

يبقى الإنسان يبحث عن الحب متعطشاً إليه ، يشتاق إلى حب الغير له وأن يسكب حبه على الغير . فالمؤمن المتعبد يطلب حتى متى بلغ أعلى درجات النسك الصادق والتوحد الأصيل أن يهيم ذائباً فى محبة الله ، مقدماً قلبه جمر نار متقداً حباً ! والزوج يتوق أن يحب زوجته ويكون موضوع حبها ، والأب والمعلم والإبن والأخ والصديق الكل يطلبون أن يحبوا ويُحبوُا . أقول حتى الشهوانيون والمجرمون وقساة القلب يحنون إلى الحب ويشتهونه ، حتى وإن لم يمارسوه .

هذا ويختلط الحب فى أذهان الكثيرين ، فلا يعرفون أن يميزوا بينه وبين الميل العاطفى أو الاجتماعى أو الشهوة ، بل وكثيراً ما يُخفون روح النفعية وحب الأنا ego تحت ستار الحب ، فيخدع الإنسان حتى نفسه ، معطياً صورة مقدسة لدوافع موجهة توجيهاً شريراً .

الحب أسمى من اللغات البشرية

ما أصعب أن تعطى تعريفاً للحب ، فهو فى حقيقته أعمق من أن تعبر عنه لغة بشرية ، ولا أن تترجمه مشاعر وعواطف ، لكنه حقيقة مُعاشه تمس كل تصرفات الإنسان الظاهرة والخفية . يمكننا أن نقول بأن الحب هو انفتاح القلب وإتساعه فلا يضيق بأحد ما ولا بشىء ما بل يحمل فى داخله الله نفسه وكل خليقته ، يتقبل بفرح كل بشر ، مشتاقاً أن يقدم نفسه his self للغير دون ترقب لمكافأة . هو أمر قدسى ، ثمرة اتحاد الإنسان مع الله « الحب » (١ يو ٤ : ٨)

https://coptic-treasures.com/

الذى يقدس النفس بكل طاقاتها والفكر بكل قدراته والجسد بأحاسيسه وغرائزه وعواطفه والإرادة الإنسانية ، فيصير الإنسان بكليته لهيب حب لاينطفىء .

أصر Leo Buscaglia أستاذ التعليم بجامعة كاليفورنيا على تدريس مادة «الحب» مفتتحا فصلاً دعاه « فصل الحب Love Class » رغم سخرية البعض بذلك . وبعد ثلاث سنوات قرر أنه لم يستطع أن يجد تعريفاً ، حاسباً أن كل تعريف إنما يضع حدوداً للشيء ، أما الحب فبلا حدود . لقد أعجب بكلمات أحد طلبته : (وجدت الحب مثل مرآة ، حينما أحب آخر ، يصير هو مرآتى وأنا مرآته ، كل يعكس على الآخر الحب فنرى لانهائية [٢]) . بمعنى آخر الحب أشبه بنور يضيء بين مرآتين متوازيتين كل تعكس النور على الأخرى لترى فى كل مرآة عدداً غير محدود من مصدر النور (كالشمعة أو المصباح مثلاً) .

يقول آخر : (الحب هو عمل عطاء النفس للغير) .

إذن ما هو الحب ؟ إن كنا نعجز عن تقديم تعريف له لكننا نقدم هنا بعض الجوانب التى تكشفه :

١ ــ الحب ... انفتاح للقلب بتدبير وحكمة

الحب هو انفتاح القلب واتساعه للغير ، وحينما نقول « الغير » لانعنى شخصاً بعينه بل إن أمكن كل أحد ، لأن القلب المفتوح يحمل طبيعة الحب من داخله ليفيض على الجميع ، لكن بحكمة واتزان ولياقة . هذا ما يؤكده القديس أغسطينوس الذى عاش عشرات السنوات الأولى من حياته بقلب انحرف بالحب ليكون فى صبوته قائداً للصبيان فى مغامرات السطو على حدائق جيرانه وفى شبابه سكب قلبه فى شهوته ليعيش مع سيدة فى النجاسة . لقد اختبر بعد ذلك عذوبة اتساع القلب بحكمة فقال بأن للحب تدبير أو نظام ؛ حبنا لله من كل القلب والفكر والنفس والقدرة ، وحب الوالدين من نوع آخر ، الأبناء من نوع ثالث ، والزوج أو الزوجة غير حب الأصدقاء والزملاء .

٢ ــ حب العَوز والحاجة

الحب هو تحرر من الذات ego . فالمحب هو من يستطيع ألا يتقوقع حول الأنا

https://coptic-treasures.com/

لينحصر فيما لنفعه المادى أو الأدبى أو العاطفى ، يطلب ما لِذاته تحت ستار الحب .

كثيرون يكشفون عن عواطفهم التى تبدو غاية فى الرقة ، ويبدو أنهم أسخياء فى العطاء ، لكنهم فى الواقع يعملون لحساب الأنا ego . أذكر على سبيل المثال الشاب الذى فى غربته يشعر بالعزلة القاتلة فيلتقى بفتاة ويعلن حبه لها ، مقدماً لها العاطفة بفيض وينفق من ماله الكثير ، لا لشىء إلا لأنه فى عوز إلى من يحطم عزلته ويشبع فراغ نفسه الداخلى ، مثل هذا أنانى فى عواطفه ومحبته . لهذا إن أقدم على الزواج منها سرعان ما تنكشف أعماقه وتشعر زوجته بأنانيته القاتلة ويتحول الحب إلى خصام ونزاع غالباً ما ينتهى بتحطيم الأسرة .

هذا ما يتكرر كثيراً بالنسبة للمراهقين ، إذ يشعر المراهق أحياناً أن أسرته تمثل سجناً يريد الافراج والهروب منه ، فيلتقى بمن يحمل ذات المشاعر ، ويظن الاثنان أنهما تلاقيا فى دائرة الحب ... لكنهما فى الواقع تلاقيا فى دائرة العوز والاحتياج ، كلٌ يطلب أنه يجد فى الآخر ما يعوضه عن مشاكله الأسرية ، فيضيفان إلى مشاكلهما مشكلة جديدة حين يرتبطا بعواطف على أساس غير سليم .

٣ ــ الحب ... رحلة داخلية لتقديم النفس

الحب هو رحلة الحياة كلها غايتها الدخول إلى النفس self ليتحقق الإنسان من حقيقة كيان النفس الداخلى core self ، ويتعرف على رسالته ، فلا يطلب شبعاً من الغير ولا يستعطف أحداً ليملأ فراغه الداخلى بكلمة مديح أو عاطفة أو تقديم خدمة الخ ... وإنما يطلب أن يشبع فى الداخل ليفيض هو على غيره . يقدم نفسه his "self" بحكمة ومعرفة ، متشبهاً بمخلصه واهب ذاته لمحبوبيه .

٤ ــ الحب ... سيمفونية الحياة

الحب هو تناغم الحياة الإنسانية معاً ، فيتفق سلوك المرء الظاهرى مع نبضات قلبه المقدس ورقة مشاعره المخلصة والتهاب عواطفه العميقة وجدية فكره والتزام إرادته بالعمل ... بمعنى آخر ، الحب يجعل من الإنسان قيثارة تحمل أوتاراً متباينة لتصدر سيمفونية حياة واحدة مسئولة وجادّة ، متكاملة ونامية فى كل الاتجاهات معاً .

https://coptic-treasures.com/

٥ ــ الحب ... إستنارة إلهية

الحب هو عمل روح الله نفسه فينا ، الذى وحده يستطيع أن يقودنا إلى أعماقنا ، وينير بصائرنا الداخلية لنكتشف أنفسنا ، ويجدد كياننا ، ويفتح قلوبنا للعطاء . فإن كان الله قد خلق الإنسان على مثاله لكى يحمل سمة الحب لكنه محتاج أن يتحد بالله الحب المطلق يفيض عليه هذه السمة فى أعماقه وينميها ويحفظها من الانحراف ، فى هذا يقول الآباء :

+ الله محبة وينبوع كل حب ، لذلك يقول يوحنا العظيم إن « المحبة من الله » ، « الله محبة » (١ يو ٤ : ٧ ، ٨) . لذلك جعل الخالق المحبة من سماتنا ، قائلا : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو ١٣ : ٣٥) . فإن لم توجد المحبة فينا نكون قد غيرنا الخاتم الذى به نتشكل بشكل الله .

القديس غريغوريوس النزينزى (٤)

+ من يود أن يتكلم عن الحب التزم أن يتكلم عن الله ذاته . فالمحبة المقدسة هى مشابهة الإنسان لله على قدر ما يستطيع البشر .

القديس يوحنا الدرجى (٥)

بهذا يمكننا من جانب أن نميز بين الحب المتسع والعاطفة التى تقف عند مستوى المشاعر الإنسانية الوجدانية لمشاركة الغير فى الآلام والأفراح ، ومن جانب آخر بينه وبين الشهوة التى تحصر الإنسان فى الأنا ليعيش للذته الخاصة ، يعشقها تحت ستار الحب ، فيقبر نفسه « self » فى ملذات الشهوة والتدليل البعيد عن الحق والمعرفة والالتزام الجاد .

إحذر رحلة الأنا

قلنا أن الإنسان غالباً ما يخدع نفسه أكثر من خداعه للغير ، إذ فيما هو منغمس فى أنانيته ، يخدم ذاته ، طالباً لذة جسده أو كرامته أو غناه يظن فى نفسه أنه مملوء محبة للغير باذل ومعطاء .

https://coptic-treasures.com/

لكى لا ننخدع يلزمنا أن نميز بين النفس core self والأنا ego . فالحب هو رحلة النفس self trip وليس رحلة الأنا ego trip . خلال الحب ننطلق إلى أعماقنا الداخلية لنكتشف جوهر كياننا ونتعرف على مركزنا كأبناء لله وعلى رسالتنا . نكتشف فى داخلنا « ملكوت الله » (لو ١٧ : ٢١) ، « ملكوت الحب » . يجد الله محب البشر يقيم مملكة حبه فى داخله ، فيتسع الداخل ليضم ــ إن أمكن ــ الكل بالحب الإلهى . هذه الرحلة الداخلية تحطم الأنا .

يمكننا أن نقدم علامتين تُحذِّران الإنسان من انحرافه إلى رحلة الأنا :

١ ــ إحذر أن تطلب صورتك فى الغير

الإنسان الذى فى حبه يريد أن يكون الكل صورة مطابقة له ، أى يريد أن يشكل كل من هم حوله حسب رغباته الخاصة الشخصية وميوله ، محبته هذه هى نكوص إلى النرجسية مملؤة أنانية وقاتلة . فالوالدان اللذان لايدخلان مع أبنائهما فى حوار محبة بفكر متسع ورغبة صادقة للاستماع إليهم بجدية واهتمام يحطمان شخصياتهم ، إذ يريدان من الأبناء الطاعة العمياء لأوامرهما ، إنهما يريدان أن يشكلا الأبناء حسب هواهما الشخصى فى أنانية . فالأب الذى كان يحلم أن ينال درجة علمية معينة أو يرقى إلى مركز اجتماعى معين وقد نجح أو فشل فى ذلك ، غالباً مايدفع ابنه (أو ابنته) دفعاً لنوال ما بلغ إليه أو فشل فى الحصول عليه دون مراعاة ما لهذا الابن (أو الابنة) من شخصيته أو ميوله أو مواهبه أو قدراته . فإن أصر الابن على الرفض حسبه عنيداً ومتمرداً لا يتقبل مشورة والده المملؤة حباً ، وإن تعثر عن البلوغ اتهمه الأب بالاستهتار أو الفشل أو الغباء ، مما يحطم نفسيته ويقتل شخصيته . يحدث ذات الأمر أحياناً مع الكاهن أو أب الاعتراف الذى إن أحب طريقاً معيناً كالحياة التأملية الرهبانية أو الحياة العاملة الكهنوتية أو التكريس بطريق أو آخر يدفع أولاده وبناته للطريق الذى يعشقه دون تقدير لمواهبهم وقدراتهم .

يتجلى هذا الأمر بقوة فى الحياة الزوجية ، إذ كثيراً مايطلب كل طرف أن يرى الآخر صورة مطابقة له فى كل شىء ، لا أن يكون مكملاً له ، فيحطم الواحد الآخر ، بل ويحطم نفسه معه .

https://coptic-treasures.com/

ما أروع الاختلاف والتباين خلال رحلة الحب ، كل منا يقبل الغير كما هو ، وإن التزم بتوجيهه إنما حسب ميول الغير ومواهبه . بالحب تتحول الاختلافات إلى تكامل وتناغم معاً له جمال خاص ، فيه لا يفقد إنسان شخصيته فى الغير .

أراد ليو باسكاجليا [٥] توضيح هذه الفكرة من خلال الطبيعة فأورد قصة رمزية يعرضها رجال التربية ، ملخصها أن طائراً وسمكة وقرداً وغزالاً قرروا إنشاء مدرسة فى غابة ، فأقاموا من أنفسهم مجلساً للتعليم لوضع المنهج . أصر الطائر على أن يتعلم الكل الطيران لأنه عمل نافع وجميل ، وأصرت السمكة على السباحة ، والأرانب على حفر الجحور burrowing والقرد على القفز بين الأشجار والغزال على الجرى . حصلت الطيور على درجة امتياز فى الطيران لكنها تعثرت فى بقية المواد ، وصارت هذه المواد تمثل مشكلة حقيقية بالنسبة لهم . فالطيور جميلة بطيرانها ، لكنها إن حاولت حفر جحور تنكسر مناقيرها وأجنحتها ، فتضيّع وقتها وتحطم نفسها .

هذه القصة الرمزية توضح عطية الله للخليقة ، خاصة للبشر ، فلكل إنسان مواهبه وقدراته تختلف عما للغير ، هذا لا يقلل أو يزيد من شأنه ، إنما يخلق نوعاً من التكامل والانسجام بين البشر .

هذا الروح إنجيلى عبّر عنه الرسول بولس بقوة ، إذ يقول : « أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ... أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد » ١ كو ١٢ .

٢ ــ إحذر العطاء المادى دون عطاء القلب والنفس

العلامة الثانية للحب الصادق هى اهتمام الإنسان أن يعطى من الداخل متناسقاً مع ما يعطيه فى الظاهر . كثير من الآباء يعطون أولادهم بسخاء لكن دون مراعاة مشاعر أولادهم كأن ينعتونهم بالغباء أو الكسل أو الاستهتار أو الفشل . هذه الاتهامات تحطم نفسية المراهقين حتى أن بعضهم يفضل ترك المنزل والحرمان من كل عون مادى من الوالدين من أجل حريتهم وكرامتهم التى هى أثمن من كل شىء . لنفس السبب نجد بعض الأزواج يتهمون زوجاتهم بالجفاف وعدم المحبة ، متعجبين أنهم يقدمون لهن كل الامكانيات المادية والحياة المترفة بفيض دون

https://coptic-treasures.com/

أن يجدوا مقابلاً لذلك من زوجاتهم ... ذلك لأن الزوجات لايعطين اهتماما لهذه العطايا متى رافقتها كلمة جارحة تقتل حياتهن . وأيضاً نجد بعض الزوجات يشتكين رجالهن ، لأنهم لا يقدرون تعبهن ومحبتهن . فالمرأة قد تقضى اليوم كله فى البيت لتنسيقه وتجميله وتقديم أنواعاً شهية من الطعام ، لكن يأتى الزوج ليجد زوجته مرهقة تماماً فقدت بشاشتها ولطفها . لا تدرك الزوجة أن رجلها يطلب قلب زوجته لا نظافة البيت وتنسيقه وتقديم أطعمة .

إذن البشرية كلها فى عوز إلى الحب الداخلى ، القلب المتسع ، عطاء النفس self-giving قبل العطاء المادى . أذكر فى زيارة لاحدى البلاد بالولايات المتحدة الأمريكية التقيت مع سيدة مصممة على الانفصال لأن زوجها لايهتم بها وببيته . وإذ عرفت أن زوجها فى نفس الأسبوع اشترى قطعة أرض باسمه واسمها معاً بمليون دولار ، سألتها : ألا تشعرين أن زوجك يحبك إذ يشترى هذه الأرض باسمك مشتركاً مع اسمه ؟ أجابت : « أريد قلبه لا المليون دولار ! » ، وكانت مصممة على الانفصال ، لأن الحب لايقدر بمال ! .

الإنسان فى عطش إلى حب الغير واهتمامه ، فقد جاء فى تمثيلية : « مدينتنا Our Town » أن فتاة تدعى إميلى ماتت ثم عادت إلى العالم لتجد نفسها فى يوم عيد ميلادها الثانى عشر . وجدت والدتها منهمكة فى عمل « كعكة عيد الميلاد»، ووالدها مشغولاً بمكتبه وأوراقه ، وأخاها مهتماً بمصالحه الخاصة... عادت الفتاة إلى الآلهة تقول : « أقصونى بعيداً عن العالم ، فقد نسيت المتاعب التى يعانيها المرء كإنسان بشرى ، إذ لا يوجد من يتطلع إلى آخر بعد»[٦] . حقاً لقد كانت الأم مهتمة أن تصنع كعكة عيد ميلاد إميلى ، لكن إميلى لاتريد الكعكة ، إنما تريد الأم نفسها أن تجلس معها وتسمع لها وتحاورها بالحب وتهتم بها وتكشف عن اعتزازها بها . لا تريد حفل عيد ميلاد بل تأكيد شخصيتها .

هنا يليق بنا أن نقف قليلاً لنرى معاملات رب المجد معنا ، كيف يسكب نفسه بالحب فينا ، يقدم ذاته مع عطاياه لنقتنيه ويقتنينا أشخاصاً لنا مواهبنا الخاصة . يريدنا أشخاصاً نحبه ويحبنا ، نحاوره ويحاورنا ، مؤكداً شخصياتنا كأحباء وأصدقاء . ينادينا باسمائنا كما فعل مع زكا (لو ١٩) ويدخل بيوتنا وقلوبنا .

https://coptic-treasures.com/

ليتنا نعرف كيف نتعامل مع أولادنا وأصدقائنا وزملائنا ومرؤسينا والغرباء عنا كما يتعامل السيد المسيح نفسه معنا ! .

الحب ... رحلة النفس self-trip

تحدثنا عن غاية الحب ألا وهو الدخول إلى أعماق النفس واكتشافها لتقديمها بفرح للغير.هذه الرحلة التى لن يستطيع الإنسان بلوغها دون مساندة روح الله القدوس، هى عمل داخلى دون تجاهل للواقع الخارجى . ففى الخارج يجابه المؤمن صعوبات وضيقات ويلتزم بتضحيات مستمرة ، لذا طريقها ضيق (لو ١٣ : ٢٤) ، لكنه مُبهج للنفس يهب سلاماً ، لأنه يمارس البذل كمشاركة مع السيد المسيح فى آلامه، حاسباً مايقدمه للغير ربحاً لا خسارة . بفرح اشتاق الرسول بولس أن يستعبد نفسه للغير لكى يربح الكثيرين حاسباً عبوديته للغير ليس ذلاً بل مجداً داخلياً ومشاركة للسيد المسيح فى أتعابه . مع كل تعب يتجلى مسيحنا المصلوب فى القلب ليجد المؤمن نفسه متألماً معه،فتتحول آلامه إلى تعزيات القيامة وبهجتها.

هذا المفهوم يهب النفس تحريراً داخلياً ، إذ يعيش الإنسان لكى يعطى ، ويبقى عطاؤه بفيض بلا توقف حتى وإن لم تملك يداه شيئاً ، لأنه يعطى حباً من الأعماق يتعطش إليه الكثيرون . يعيش بالحب حراً لا تقدر الامكانيات الخارجية أن توقف تياره ، ولا الزمن أن يحطّمه ، ولا تصرفات الغير أن تغلق قلبه . يعيش حراً بعطائه الداخلى ، يسكب نفسه خلال مسيحه الذبيح من أجل الكل . لذا بقوة يقول الرسول بولس : « كفقراء ونحن نغنى كثيرين . كأن لا شىء لنا ونحن نملك كل شىء » (٢ كو ٦ : ١٠) .

الحب رحلة النفس فى الطريق الضيق لكنه طريق عذب فيه حرية ، وأيضاً دائم التجديد . فالمحب الحقيقى يشتاق فى بذله أن يبلغ « إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤ : ١٣) ، يطلب كل يوم أن ينسى ما وراء ويمتد إلى ما هو قدام (فى٣ :١٣) ، حاسباً كل ما قدمه كلا شىء من أجل صدق رغبته فى التمتع بالشركة فى طبيعة الحب التى لمسيحنا . بهذا ينسى كل متاعب العالم وأحداثه المؤلمة ، متطلعاً إلى أعماقه ، ليجد مسيحه مالكاً فيه ، يفيض بالحب للكل . بهذه النظرة نعيش حياتنا كلها نمارس الحب خلال التجديد المستمر فى نظرتنا نحو

https://coptic-treasures.com/

الحياة والغير ، حتى ليبدو كل ما فى داخلنا وما حولنا جديداً كل يوم .

يمكننا القول أن سر ارتفاع نسبة الطلاق هو قيام الحب الزوجى لا على أساس اكتشاف الإنسان نفسه ليقدمها للآخر فى الرب ، بل على أسس خارجية . فمن يركز أنظاره فى اختيار شريكة الحياة (شريك حياتها) على جمال البدن أو قوته ، أو مركز الإنسان الأدبى أو العلمى أو الاجتماعى ، أو امكانياته المادية ، أو ملاطفته ، سرعان ما تتحول المحبة إلى بغضة بعد الزواج ، فلا يطيق الواحد الآخر ، لأن كل منهما يطلب ما لذاته حتى وإن حمل مظهر المعطاء والباذل ، فلا يجد شبعاً . أما إن قام الحب على رغبة صادقة وعملية لتقديم الإنسان نفسه للآخر فى الرب ، تتزايد هذه الرغبة وتنمو مع الزمن بالرغم من ظهور اختلافات فكرية ، إذ يقدم الواحد الآخر ويقدّره . لا تشيخ هذه المحبة ، بل تتجدد بروح الله فى عذوبة وبهجة حتى وسط المصاعب .

شهوة ... لا حب

أولاد الله الذين لا يتجاوبون مع روح الله ، روح الحب الإلهى ، الذى يتسلم الطاقات الإلهية ويقدسها وينميها ، تنحرف طاقاتهم لتطلب إلهاً آخر تتعبد له هو « الذات » ، تتجسم فى تصرفات جسدية خاطئة مع نفسه أو مع آخر . فلا نعجب أن نسمع عن فتى يحب فتاة حتى العبادة ــ حسب التعبير الدارج ، فنراها احتلت قلبه . يرى فيها كل الكمال وكل التعقل وكل الجمال وكل صلاح ، فيحسب الحياة بدونها مستحيلة . هكذا يُؤلِّه الشخص محبوبته حتى يكاد يعصمها من كل خطأ ، أو يبرر لها كل ما ترتكبه ، يرى فيها كل الشبع العقلى والعاطفى وأحياناً الجنسى . لكنه إن دقق يجد نفسه إنما يحب ذاته ، ويقيم ذاته إلها محققاً ذلك خلال محبوبته التى تعطيه شيئاً من الشبع المؤقت . والدليل على هذا أنه متى تعرّف على أخرى لتحتل قلبه يبغض الأولى ويمقتها ، حاسباً نفسه أنه كان مخدوعاً فيها .

لقد قدم لنا الكتاب المقدس أمثلة كثيرة لأناس انحرفوا بالحب الحق عن مصدره ــ الله ــ إلى الشهوة النابعة عن الأنا .

https://coptic-treasures.com/

١ ــ حب ينقلب إلى بغضة !

لقد ظن أمنون أنه يحب أخته ثامار ، فبسبب حبه وتعلقه بها مرض جداً ، مشتاقاً أن يدفع أى ثمن لممارسة علاقات جسدية معها . لكنه إذ حقق شهوته أبغضها « بغضة شديدة جداً حتى إن البغضة التى أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التى أحبها إياها » (٢ صم ١٣ : ١٥) . أى حب هذا الذى ينقلب إلى بغضة شديدة جداً ؟! .

٢ ــ حب يدفع إلى السجن !

قصة الشاب الطاهر يوسف وامرأة سيده فوطيفار توضح التمييز بين الحب والشهوة ، إذ يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

(قال أحدهم : كيف قبلت المرأة المصرية التى أحبت يوسف أن تضره ؟

السبب أنها أحبت حباً شيطانياً . ومع كل فهو لم يحبها بنفس حبها الشيطانى بل أحبها بالحب الذى طالبنا به الرسول بولس .

تأمل ما قالته : « إنه شتمنى وحسبنى زانية ، وأخطأ إلى زوجى ، وازدرى بكل من فى البيت ، وخانه أمام الله » . إن مثل هذه الكلمات تصدر عن شخص بعيد كل البعد عن أن يكون محباً ليوسف ، بل ولم تكن تحب حتى نفسها .

أما يوسف فإذ كان بالحقيقة يحبها حذرها من هذا كله ، ولكى يقنعها أنها مندفعة عرّفها طبيعتها بتقديمه النصيحة لها . لأنه لم يكتف بالابتعاد عنها بل قدم لها ارشاداً كافياً لإخماد لهيب شهوتها قائلاً ... « هوذا سيدى لايعرف معى ما فى البيت » (تك ٣٩ : ٨) . فأولاً ذكرها بزوجها لكى يخجلها .

لم يقل « زوجك » بل « سيدى » حتى يوقظ ضميرها لكى تعرف مركزها ومركز من تعشقه ، إنها سيدته ! لأنه إن كان زوجها سيداً له فهى سيدته . فكأنه يقول لها : « عار عليك أن تألفى عبداً ! تأملى زوجة مَن أنت ؟! ومن هو الذى تخطئين به ؟! وأمام من تقفين موقف الجحد والازدراء ؟! ... » .

https://coptic-treasures.com/

لقد وبخها باعتبارات بشرية بقوله : « لا يعرف معى ما فى البيت » . كأنه يقول لها : « إنه أعظم من أحسن إلى » ، فلا أصفع سيدى فى أعز ما لديه . لقد جعلنى السيد الثانى على هذا البيت ، « لم يمسك عنى شيئاً غيرك » ، وبهذا يرغب أن يسمو بعقلها بكل طريق حتى يقنعها فتخجل .

لم يقف يوسف عند هذا الحد بل أضاف ما يكفى لصدها قائلاً : « لأنكِ امرأته ، فكيف أصنع هذا الشر العظيم ؟! » .

على أى الأحوال لم تستفد شيئاً من إرشاده بل لازالت تبحث كيف تجتذبه لأن رغبتها هى إشباع عواطفها وليس حب يوسف . ويظهر عدم حبها له فى تدبير المكيدة واتهامها له وحملها شهادة زور ضده ، وكوحش مفترس قدمت ذاك الذى لم يخطىء وطرحته فى السجن أو بالحرى قد تنكرت من جانبها له وأدانته .

هل كان يوسف مثلها ؟ بل على العكس تماماً ، فإنه لم يشتكِ عليها ولا اتهمها بل ومن الحوادث التالية أظهر يوسف إرادته الصالحة وحبه لها ، فإنه حتى عندما شعر باضطراره إلى ذكر سبب سجنه وبقائه فيه لم يشأ أن يذكر القصة كاملة ، بل قال : « لأنى قد سُرقت من أرض العبرانيين وهنا أيضاً لم أفعل شيئاً حتى وضعونى فى السجن » .

إنه لم يشر قط إليها كزانية ...

فالإنسان عادة عندما يرتكب خطية لا يلوم نفسه على ما ارتكبه حتى لايوبخه أحد ، فأى إعجاب استحقه يوسف لأنه كان هكذا تقياً حتى أنه لم يذكر شهوات المرأة ولا أظهر خطيتها ، بل وحتى عندما ارتفع إلى العرش وصار حاكماً لم يتذكر الخطأ الذى صنعته به ولا قام بعتابها !! .

أنظر كيف راعى هذه المرأة ؟! أما عاطفتها هى فلم تكن حباً بل جنوناً ، لأنها لم تكن تحب يوسف بل تبحث عن اشباع شهواتها) .

(بالحقيقة الإنسان المحب هو الذى لايبحث إلا عن نفع محبوبه . فلو خالف المحب ذلك فإنه ولو صنع عشرات الآلاف من أعمال المحبة الصالحة . فإنه بالأكثر يكون أقسى من أى عدو) .

https://coptic-treasures.com/

٣ ــ حب يدفع إلى كسر الوصية

لقد شوّه آدم حبه لحواء حينما انحرف بالحب بعيداً عن الله . يقول أغسطينوس إن آدم لم يُغو إذ كان حكيماً وعاقلاً ، يعرف أن أكل الثمرة الممنوعة لايجعله إلهاً كما قالت حواء ، إذ يقول الرسول : « وآدم لم يُغو لكن المرأة أُغويت فى التعدى» (١ تى ٢ : ١٤) . إنما سقط آدم لأنه أحب امرأته جداً خارج دائرة الحب ، فطغت المحبة المنحرفة على قلبه ليُرضى زوجته مرتكباً ما يحطمه ويحطمها .

بنفس الصورة سقط سليمان الحكيم فى عبادة الأوثان بسبب المحبة المنحرفة لنساء وثنيات ، إذ يقول الكتاب المقدس : « وأحب الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات ... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ... وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءهُ أمَلْنَ قلبه وراء آلهةٍ أخرى » (١ مل ١١) . يعلق القديس أغسطينوس : « (كان يطيعهن لئلا يُحزن شهواته الملتهبة فيه ، كالمثل المتداول : « عبد الشهوة أذل من عبد الرق ») .

أحببت من أول لقاء !

مادمنا نتحدث عن الحب وتمييزه عن الشهوة ، يليق بنا أيضاً أن نميز بين الحب والافتتان Puppy (calf) love . كثيراً ما يلتقى إنسان بآخر من الجنس الثانى، فى مناسبة أو أخرى فيشعر بشىء من الراحة والانسجام ، ربما لأول لقاء أو من أول نظرة . هذا الانسجام ربما يتحقق بسبب جمال جسدى ، أو موهبة ممتازة فى الشخص الآخر ، أو لطف فى التعامل ، أو قدرة على خلق علاقات مع الغير أو تدين الخ ... هذا مايسمى بالافتتان ، حيث يفتتن الشخص بالطرف الثانى فى أول لقاء .

هذا السلوك غير ناضج وله خطورته من جهة الآتى :

١ ــ يتزوج الصورة لا الشخص !

غالباً ما يقبل الإنسان الطرف الآخر لا كشخص آخر ، إنما يحب صورته أو

https://coptic-treasures.com/

مواهبه أو مسلكاً معيناً من سلوكه ، إنه يتزوج الصورة أو الموهبة ليفاجأ فيما بعد أنه غير قادر على قبول الآخر كشخص . الحب الزوجى الحكيم يقوم على اكتشاف الإنسان لأعماق نفسه ودراسته أيضاً للآخر كشخص من كل جوانبه.

٢ ــ تجاهل التدخل الإلهى !

الحب الزوجى الحكيم لا يقوم على افتتانٍ بجانب معين على رجاء تغيير الجوانب الأخرى وتشكيلها فيما بعد ، وإنما يحتاج إلى تدخل إلهى بطلب مشورته . الله الذى يحقق الوحدة الزوجية ، واهباً العروسين « سر الزواج » كِسرْ حب زوجى ، هو المرشد الأول للإنسان فى اختيار شريك (أو شريكة) الحياة .

٣ ــ زيجات سريعة !

غالباً ما يخفى الافتتان جانباً أنانياً فى حياة الإنسان ، فالاختيار السريع خلال أول لقاء يعنى عطشاً فى الداخل تحقق دون روية ، لهذا إذ يقوم الزواج على أساس غير الحب الحقيقى ينتهى بالفشل . يقول الدكتور جيمس دبسون (من المعروف كحقيقة واقعية أن خمسين فى المئة من كل زيجات المراهقين تنتهى بالطلاق خلال الخمس سنوات الأولى ! يا لها من نسبة عالية مأساوية ! إنها تعنى أن نصف الشعب الذين كانوا يحسبون أنهم كانوا فى حب ، إذ كانوا معجبين ببعضهم البعض على مستوى عالٍ جداً ، سرعان ما يتحررون من وهمهم ، ويصيرون فى مرارة وبؤس وتحطيم ... كيف تحولت محبتهم المشتركة إلى كراهية وغضب وصراع بعد شهور قليلة ؟! [٨]) .

اتجاهات خاطئة تحت ستار « الحب »

مادمنا نتحدث عن تمييز الحب الحقيقى عن الشهوة وأيضاً عن الافتتان أو الحب الرومانتيكى romantic أى الخيالى الوهمى ، يليق بالمراهق أيضاً أن يتبصر لئلا ينحرف نحو اتجاهات خاطئة تحمل اسم « الحب » نذكر منها [٩] :

١ ــ حب السيطرة أو الاستحواز على الآخر

كثيراً ما يمارس المراهق « حب الذات » أو « حب السيطرة » تحت ستار

https://coptic-treasures.com/

الحب . فالمراهق غالباً ما ينشغل فى بدء حياته بالتعرف على قدرته على التاثير على الجنس الآخر ، فيجرب أقنعة ويمثل أدواراً فى ملبسه وتصرفاته ، مُبرزاً جمال بدنه أو قوته ، سرعة بديهته ، لطفه ورقته وأحياناً صرامته وحزمه ... إنه يستعرض ذاته على الجنس الآخر ، لأنه شديد الاعجاب بذاته ، يريد أن يؤكد اعجاب الجنس الآخر وتعلقه به. فهو يتطلع إلى الجنس الآخر على أنه مجرد مرآة تكشف له قوة شخصيته وجاذبيتها .

المراهق يريد تأكيد رجولته فسرعان ما يستحوذ على فتاة من المعجبات به ، يفرض نفوذه عليها ويحملها على التعلق به تارة بالرقة الشديدة والجرى وراءها وأخرى بتصنع العنف وتجاهلها، وفى كلتا الحالتين لايطلب ما لبنيانها ، إنما مايؤكد لنفسه قدرته على السيطرة ليصير معبوداً فى عينى نفسه . هذا ما يسبب المنازعات والمنافسات بين المراهقين للتباهى بالغلبة والنصرة بقصد جذب الأنظار إليهم .

بنفس الروح تمارس أحياناً الفتاة المراهقة ما تسميه الحب ، لكى تيقظ فى المراهق رغبته نحوها فتتحداه فى صميم غريزته ، وتسيطر عليه لا لرغبة جسدية تريد اشباعها وإنما بالأكثر للاستحواز عليه وتأكيد الأنا بين صواحباتها .

أذكر على سبيل المثال أن إحدى الفتيات فى سن المراهقة تعرّف عليها شاباً يقطن فى نفس منطقة سكنها ، وكان يلاحقها باستمرار مؤكداً لها أنه يحبها حتى العبادة ، وأنه مرتبط بها بكل قلبه وأحاسيسه ومشاعره ... وإذ روت لى الفتاة عن مدى اخلاص هذا الشاب وتعلقه الشديد بها بكونها الفريدة فى حياته ، سألتها عن اسمه ... وكانت المفاجأة لى أنه يقوم بذات الدور مع فتاتين أخرتين ... كل واحدة من الثلاثة ، فتيات تظن أنها الوحيدة فى حياته ... كان يخدع الكل لاشىء إلا ليمثل دور البطولة فى اصطياد الفتيات أمام نفسه وأمام أصدقائه .

٢ ــ فضول غرامى !

أحياناً يتكلف المراهقون العاطفة ويمثلون أدوار الحب فى مبالغة لا لشىء إلا بسبب فضولهم الغرامى ؛ كل يطلب أن يتعرف على الجنس الآخر كسرٍ مجهول لعله يعرف أن « الحب الغرامى » هو المفتاح الذى يدخل به إلى أسرار الجنس الآخر ويتعرف على عواطفه وأفكاره .

https://coptic-treasures.com/

٣ ــ الحب الهائم

يحمل البعض فى داخلهم صورة لشخص من الجنس الآخر يرسمها (أو ترسمها) المخيلة من واقع الخبرات القديمة مع مسحة من الخيال . وإذ يلتقى المراهق بآخر من الجنس الثانى سرعان ما يُضفى الصورة بكاملها عليه ، فيمارس الحب لا خلال الشخص الواقعى الذى يتعامل معه ، بل خلال الصورة التى فى مخيلته ، فيظنه الشخص الوحيد المناسب للارتباط به فى حياة زوجية سعيدة لكن إذ يرتبط الاثنان بالزواج تزول الصورة ويبقى الشخص قائماً أمامه يختلف تماماً عمن كان يتعامل معه قبلاً تحت ستار « الحب الهائم » .

٤ ــ تطلب صاحب خبرات

لعل من أخطر المشاكل التى نجابهها الآن فى الزيجات ، أن الفتاة تبحث عن فتى جرىء يظفر بها ويفوز بحبها ، فإذا ماوجدت هذا الفتى الجرىء صاحب الخبرات الطويلة فى اقتناص الفتيات تعجب به وتحسب رغبته فى الاستحواز عليها رجولة وقوة . تظن أنها الفتاة الوحيدة التى يحبها ليتزوجها مع أن كثيرات يطلبنه كزوج لكنه لايقبل . إنه يعلن لها توبته مصارحاً إياها أنه قد تعرّف على كثيرات لكن للتسلية أما هى فموضع احترامه وتقديره يطلبها كزوجة ؛ وربما يكون صادقاً فى أحاديثه معها . إنها تحبه لأجل صراحته ، وهو يحبها لأجل طهارتها وعفتها ، لكن إذ لم يتب من أجل خلاص نفسه وشوقه إلى الحياة الأبدية إنما لأجل إعجابه ببساطة الفتاة وطهارتها ، سرعان ما ينحرف أو يمارس العنف معها ويتحطم سلام الأسرة .

هذه أمثلة مبسطة تكشف كيف يخدع الإنسان نفسه ليسلك فى اتجاهات منحرفة ، ظاناً أنه فى طريق الحب .

https://coptic-treasures.com/

(١) للمؤلف : الحب مفهومه ودرجاته ، فصل ١ « حاجتنا إلى الحب » .

(2) Leo Buscaglia : Love, N.Y 1985, p. 12.

(3) Joseph & Lois Bird : The freedom of sexual love, Image books N.Y. 1970, p. 95. (Love is the act of giving one's self).

(٤) للمؤلف : الحب الأخوى ، ١٩٦٤ ، ص ٩ .

(4) Ibid, p. 10.

(5) Love, p. 21,22.

(6) Leo Buscaglia, p. 44.

(٧) للمؤلف : الحب مفهومه ودرجاته ، فصل : « الحب والشهوة » .

(8) Preparing for adolescence, p. 95.

(9) Dr. François Goust : En marche vers l'amour, Paris.

قام بترجمته حبيب باشا تحت اسم « تلمسات حب » ، فصل « توجيه الغرائز » ص ١٥ ــ ٢٠ آ

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٦
لا تشتريني بالمال إني إنسان

سريعوا الانفعال ... ثائرون

كثيراً ما يُوجه اتهامان ضد المراهقين : الأول ــ أنهم يحملون عواطف قوية وانفعالات عنيفة وفى نفس الوقت متذبذبة ، تارة تجدهم فى غاية العنف والشدة وأخرى فى منتهى اللطف والرقة . والثانى ــ أنهم متحاملون ضد الجيل السابق لهم متمثلاً فى الوالدين أو المرشدين ، يتمردون عليهم ولا يقبلون نصائحهم ، متطلعين إليهم كأشخاص جامدين خبراتهم قديمة لا تناسب العصر .

دموع لا تجف ... بسبب موت كلب !

يتطلع البعض إلى سرعة انفعال المراهقين كعلامة على قلة خبرتهم وعدم كمال نضوجهم . فالمراهقون غالباً ما ينفعلون لأمور هم أنفسهم يتطلعون إليها عند بلوغهم أنها تافهه ولا تستحق إعطائها اهتماماً ؛ متطرفون فى تخوفاتهم كما فى لهوهم وترفهم ، يضخمون الأمور عن حجمها الواقعى ، لذا كثيراً ما يأخذون قرارات سرعان ما يتراجعون فيها .

يقدم لنا الدكتور جيمس دوبسون مثلاً واقعياً فى حياته ، فيذكر لنا يوما عبر به يحسبه أكثر أيام مراهقته حزناً ، حينما جاءه والده إلى المدرسة وهو فى الثالثة عشره من عمره . أخذه فى سيارته بعد لحظات من الصمت الرهيب ، وقد بدت على ملامح الوالد أن أمراً خطيراً قد حدث . قطع الأب الصمت بقوله : « جيم ، يوجد خبر مؤلم بالنسبة لك ، لكننى أريدك أن تكون رجلاً فى تقبلك له » . سأله جيم : « هل والدتى بخير ؟ » أجابه بالإيجاب . ثم روى له أن كلبه Pippy قد مات . لم يحتمل جيمى الخبر إذ شعر أنه فقد ألصق صديق له . هنا يصوّر لنا الدكتور دوبسون كيف قضى يومه فى مرارة ، وكيف قام بدفنه فى حديقة المنزل بدموع ، ليختلى بنفسه يكتب مرثاة لمحبوبه بيبى[1] !

https://coptic-treasures.com/

هذه صورة متكررة تحدث فى حياة المراهقين بسبب سرعة نمو عاطفتهم فى هذه المرحلة . فكيف يواجه البالغون والمراهقون هذه السِمّة ؟ .

١ ــ العاطفة القوية هبة للتقديس ... لا للتحطيم

بلاشك فى هذه العاطفة القوية وما يتبعها من حماس وغيرة ، فى حقيقتها طاقات حّية وجبارة يتسلمها الإنسان فى أعماقه لينميها ويوجهها . يستطيع أن ينميها باتزان لتجعل منه إنساناً حكيماً ناضجاً ، ويمكنه أن يكبتها إلى حين فتغلق قلبه وتضيق الخناق على فكره وتحطم حيويته تماماً ، كما يمكنه أيضاً أن يترك لها العنان بلا ضابط ، فتفقده نضوجه ، وتجعله يمارس الطفولة المدللة بقية أيام حياته. بمعنى أنه يليق بالمراهقين الا يخافوا عواطفهم وانفعالاتهم وحماسهم وغيرتهم ، أو يهربوا منها ، لكنهم يتعرفون على تقديسها بروح الله القدوس لتكون معيناً لهم وسرْ نموهم فى كل جوانب حياتهم .

يطلب سليمان الحكيم من الشاب ألا يعيش فى كبت ، لكنه على العكس أن يعيش حياته فرحاً متهللاً بعطايا الله له ، لكن فى حكمة متطلعاً إلى يوم الرب العظيم لا كيوم رعب وخوف بل يوم مكافأة على أمانتنا فيما تسلمناه ، إذ يقول : « افرح أيها الشابُّ فى حداثتك ، ولْيسرّك قلبك فى أيام شبابك ، واسلك فى طرق قلبك وبمرأى عينيك ، واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة » (جا ١١ : ٩) .

العاطفة القوية مع الحماس والغيرة علامة من علامات السمو الروحى والصحة النفسية والحياة السوية ليس فقط عند المراهقين ، بل وفى حياة كل مسيحى . ماأجمل العبارة التى يرددها المتنيح القمص بيشوى كامل فى عظاته : « المسيحى لايعرف الشيخوخة » .

٢ ــ غيرة متقدة ... بلا اندفاع

يليق بالمراهق أن يتدرب على التميز بين الحماس أو الغيرة المقدسة والاندفاع . يقول نيافة الأنبا بيمين : (الشاب المندفع هو إنسان تحركه انفعالاته ، والانفعال طبع غريزى بدائى . فكل الدوافع الأولية ــ حسب تعبير علم النفس ــ لها

https://coptic-treasures.com/

مُثيراتها ولها انفعالاتها . والانفعال هنا هو الاستجابة للمثير ، هذا المستوى هو أقل المستويات وأضعفها ، لأنه يخلو من مميزات الإنسان المتحضر . الإنسان المتحضر يتسم بالموضوعية ، وعمق التفكير ، والرؤية وعدم التسرع فى اصدار الأحكام [٢]) .

لقد جاء ربنا يسوع المسيح إلينا بروحه الهادىء الوديع (إش٤٢ : ٢ ، مت١٢ : ٩) لكنه نار ملتهبة لا تستطيع كل مقاومة العالم ان تطفئها ، واهباً إيانا روحه لنحمل هذه السمة النارية فى الحق ، إذ يقول : « جئت لألقى ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟! » (لو ١٢ : ٤٩) . هذا الروح النارى كان يعمل فى الكنيسة فى العصر الرسولى ، حتى أن الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد والضيق الشديد « جالوا مبشرين بالكلمة » (أع ٨ : ٤) . لم يستطع الألم أن يطفىء نار غيرتهم المتقدة وحماسهم الروحى فى الرب ، لأن الروح القدس يجدد مثل النسر شبابهم (مز ١٠٣ : ٥) فلا ينطفئون .

فالحماس والغيرة والعاطفة ، هذه جميعها إن تقدست تصير للبنيان ، لكن إن أسىء استخدامها تتحول إلى غيرة مُرَّة وتحزب وتشويش ، الأمر الذى يحذرنا منه القديس يعقوب (يع ٣ : ١٣ ــ ١٧) .

٣ ــ توقع تغيّر حدة انفعالك أو احباطك !

يليق بالمراهقين فى حالة انفعالهم الشديد ألا يأخذوا قرارات سريعة بل ينتظروا قليلاً ، واضعين فى أذهانهم أن هذا الحال لن يدم ، وان انفعالهم سيهبط حتماً . بنفس الطريقة إن اصيبوا بحالة إحباط شديد ليتهم لا يخافوا ولا يرتبكوا مدركين أن ذلك يحدث إلى حين ليعودوا فترتفع نفسيتهم .

هذا التوقع ــ التغيير فى حدة الانفعال أو الاحباط ــ من جانب المراهقين أنفسهم يخفف من شدة التغيير ويعطيهم سلاماً فى الرب . وأيضاً من جانب البالغين تجعلهم لايتسرعون فى الحكم على المراهقين بل يترفقوا بهم ، مدركين حاجتهم إلى اللطف وطول الأناة . ليت كل إنسان عند تعامله مع المراهقين يذكر انه اجتاز ذات المرحلة يوماً ما ، وحمل ذات التذبذب فى الانفعالات والعواطف ، وكان فى عوز إلى أيدٍ تترفق به وقلوب متفتحة وأفكار متسعة وحكيمة تسنده .

https://coptic-treasures.com/

ليتنا ندرك ان ما يتسم به المراهق من انفعال هو أمر طبيعى ، نواجهه ببشاشة مملوءة حباً صادقاً ، بغير استخفاف .

٤ ــ لا تتسرع فى أخذ قراراتك ... العاطفة وحدها لا تكفى !

يليق بالمراهقين فى لحظات انفعالهم العاطفى أو السلوكى ألا يتسرعوا فى أخذ قراراتهم بل يتريثون قليلاً ليرجعوا إلى الله ، يدخلون معه فى حوار صريح خلال الصلاة وقراءة الكتاب المقدس بروح تعبُّدى تقوىّ ، بكون كلمة الله قائداً ومرشداً وسلاحاً روحياً . هذا وأن يرجعوا إلى أب الاعتراف والوالدين والمرشدين لينتفعوا بخبراتهم . وأن يسندوا انفعالاتهم وعواطفهم بالتفكير الجاد ، فالعاطفة وحدها لا تصلح للوصول إلى قرار نهائى ، لأنها متغيرة .

نختم حديثنا بكلمات الأب لاكتانتيوس عن العواطف أو الانفعلات البشرية :

(توجد ثلاثة انفعالات ــ أو قل هياج ــ تسبب اضطراباً لذهن الإنسان ، متى ضغطت على الإنسان ينسى كرامته ولايبالى بأمانة . إنها : الغضب الذى يطلب الانتقام ، والطمع الذى يتوق إلى الغنى ، والشهوة التى تهدف نحو اللذة . هذه الرذائل الثلاث يجب مقاومتها بشدة ؛ هذه الجذور الشريرة يجب اقتلاعها ليُسمح للفضائل أن تغرس مكانها .

يطلب الرواقيون انتزاع هذه الانفعالات تماماً ، بينما يطلب الارسطاطليون كبتها. الاثنان ليسا على صواب ، لأن الانفعالات لايمكن انتزاعها تماماً ، إذ هى مغروسة فينا بالطبيعة ، وهى توجد لأسباب صالحة أكيدة ؛ كما لايمكن كبتها لأنها لو كانت شريرة لكان البشر يسلكون بدونها حتى ولو ضبطت فى حدود معقولة . أما إذا كانت هذه الانفعالات صالحة فيجب استخدامها فى كمال طاقتها . الآن نحن نؤكد أنه يجب ألا تنتزع ولا أن يقلل منها . **فهىَ ليست شريرة فى ذاتها ، إنما زرعها الله فى الإنسان لهدف صالح** . ومع كونها صالحة بالطبيعة، إذ أعطيت لحماية الحياة ــ لكنها تصير شريرة بإساءة استخدامها . كالشجاعة إن استخدمت للدفاع عن الوطن تكون صالحة ، وإن استخدمت ضد الوطن تصير شريرة ، هكذا الانفعالات (العواطف) إن استخدمت لهدف صالح تصير فضائل ، ان أسىء استخدامها تتحول إلى رذائل) .

https://coptic-treasures.com/

محتاج إلى حبكما وعاطفتكما وتقديركما لى !

إن كان البالغون يشتكون من التهاب عواطف المراهقين وسرعة انفعالاتهم وتغيرها المستمر ، فإننا لانستطيع أن ننكر ما على البالغين ــ خاصة الوالدين ورجال الدين ــ من المسئولية ولو جزئياً فى التهاب عواطف المراهقين وانحرافها أيضاً . حرمان أولادنا من عاطفة الوالدين فى طفولتهم يفقدهم اتزانهم العاطفى فينشأون فى فراغ داخلى يريدون ملئه بوسيلة أو أخرى مهما كان الثمن .

الطفلة الصغيرة التى لا تشعر بحب أبيها وحنانه واهتمامه ، بالرغم مما يبذله من تعب لاشباع احتياجات الأسرة مادياً ورفع مستواها اجتماعياً ، مثل هذه الطفلة إذ تدخل فى بدء مرحلة المراهقة تشعر بهوّة عميقة تفصل بينها وبين والدها . فهى تتعطش إلى حب أبيها غير المشروط لكى تجد نفسها موضع حبه وتقديره واعتزازه ، الأمر الذى يبعث فى داخلها روح الثقة والتقدير الذاتى . هذه الفتاة تبحث عن هذا الحب فلا تجده ، وربما فى الثالثة عشرة من عمرها أو أقل إذ تجد شاباً ــ أياً كان هذا الشاب ــ يتفوّه بكلمات الاعجاب بها ترتمى فى أحضانه ، وربما تترك دراستها وتنسى كل قيمها الروحية والاجتماعية ، لا لتطلب ممارسات خاطئة ، وإنما لتؤكد لنفسها قبولها لدى الغير ، تود أن تجد حب والدها المفقود فى شاب مراهق من الجنس الآخر ، أو فى شخص قد يكبرها جداً فى السن . تود أن ترافقه وتلتصق به ، وعندما يطلب منها ممارسات خاطئة تدخل فى صراع مُرّ بين رغبة داخلية أكيدة للحب الأبوى المفقود ثمنه فقدان طهارتها وعفتها إرضاء لمن يشبع احتياجاتها ، أو الرفض وثمنه حرمان ! ... ربما تحت هذا الصراع تسقط وتبكى وتندم وتقرر قطع العلاقة تماماً مهما كان الثمن ، لكن كما قال أحد المراهقين أنه كان يرفض الجنس المنحرف ، لكن بممارسته كانت الرغبة فيه تتزايد مع ادراكه أنه غير مشبع ! هكذا نحن لاننكر مسئوليتنا أمام الله وأولادنا ، إننا إذ نحرمهم من الحب الأبوى والأمومى نلقى بهم فى انحرافات عاطفية يصعب علينا وعليهم فيما بعد معالجتها .

فيما يلى بعض عبارات كتبها مراهقون يطلبون عاطفة والديهم وحبهم[٤] :

https://coptic-treasures.com/

(بابا ، أحبك بكونك شخصاً . لا تشترِ حبى بالشيكات التى تقدمها شهرياً) .

(سقطت فى مصيدة البحث عن الحب فى الجنس ، بسبب حاجتى إلى الحب الذى لم تقدمه لى عائلتى) .

(المراهقون مثل كل إنسان ؛ لهم احتياجاتهم ورغباتهم ومخاوفهم . يحتاجون أن يشعروا أنهم محبوبون ، وأن يعبر عن هذا الحب . فإن لم تقم البيوت والعائلات بتقديم الحب والاهتمام فانهم ينحرفون ، إنهم يبحثون دائماً عن شخص يقدم الحب. إنهم محتاجون إلى من يشعرهم بأنهم مقبولون وأنهم فى أمان . فى حالات كثيرة تفشل العائلات اليوم عن اشباع احتياجات صغارهم) .

(أنا إنسان بالحق لا اتحدث كثيراً مع والدىَّ ، خاصة بابا . ماأريد بالحقيقة أن أقوله ، أننى أحبهما كثيراً . ومع هذا ربما لا أظهر هذا الحب لهما .

أيضاً ، أريد من ماما أن تقول لى : انى احبك ، أكثر مما تفعل بكثير . أنا اعرف أنها تحبنى ، لكننى اظن أن كل ابن (أو ابنة) يريد أن يسمع هذا) .

(ماما ، بابا ــ إننى محتاج أن تخبرانى اننى كنت فريداً ، وأنه كان لى وضعاً خاصاً (بالنسبة لكما) . محتاج أن تقدما لى الأدوات التى تسندنى لأعيش كإنسان ناضج فى عالم البالغين ... إننى محتاج من والدىَّ أن يقولا إننى كنت موفقاً (okay) . لقد فعلتما كل شىء لأجلى ، هذا هو أردأ شىء فعلتماه لى ... لماذا تحتقراننى هكذا ؟) .

(« أحبك I Love you » . هذه الكلمات الثلاث لم تستخدم قط فى بيتنا ، ولهذا أنا أعانى الكثير . إلى شهور قليلة كنت أخشى أنه لايوجد أحد يحبنى ، وما هو أردأ اننى ربما لا استطيع أن أحب أحداً . لكننى اكتشفت أن يسوع يحبنى جداً حتى مات على الصليب لأجلى . لقد عرفت أنه يوجد رجاء . الآن استطيع بحرية أن أقول : « اننى أحبك » وأعنيها من القلب) .

https://coptic-treasures.com/

(1) Dr. James Dobson : Preparing for Adolescence, p. 141 f.

(٢) نيافة الأنبا بيمين : قضايا شبابية واجتماعية ، ١٩٨٣ ، ص ١١٣ الخ .

((3) Lactantius : Epitome of the Divine Institutes, ch. 61 (Concerning human passions) trans. by Blakeney, S P C K 1950.

(4) J. McDowell : what I wish my parents knew about my sexuality, ch. 11.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٧

الجنس فوق العلاقات الجسدية

الجنس والكيان الإنسانى

تختلف كلمة « جنس » لدى الكثيرين ، فالبعض يراها كلمة معيبة دنيئة لايليق مناقشتها إذ يتصورونها فى حدود العلاقة الجنسية الجسدية البحتة ، أو يربطونها بالمناظر والصور المثيرة للشهوات الجنسية ، لكننا إن تطلعنا إليها من منظار مسيحى نجدها هكذا :

١ ــ الجنس يمثل جزءاً من الكيان الإنسانى الصالح الذى خلقه الله .

٢ ــ الجنس فى مفهومه الواسع يمثل رباط حب وعاطفة قوية تضم الزوجين معاً ليعيشا معاً فى وحدة لايشاركهما أحد فيها .

٣ ــ الجنس وسيلة اتساع قلب الإنسان ليمارس نمو شخصيته ونضوجها من كل الجوانب .

الجنس والحياة الفردوسية

إن عدنا إلى بدء الخليقة نسمع : « ذكراً وأنثى خلقهم » (تك ١ : ٢٧) ؛ كما يقول السيد المسيح « من البدء خلقهما ذكراً وأنثى » (مت ١٩ : ٤) . هذه الحقيقة البسيطة والأساسية تكشف عن فهمنا المسيحى للجنس بكونه خطة إلهية وليست من صنع الإنسان ؛ فقد أوجد البشرية منذ بدء الخليقة ليكونوا ذكوراً وإناثاً ، لإيجاد مجتمع بشرى « حسن جداً » (تك ١ : ٣١)[٢] .

لقد عاش أبوانا الأولان فى الفردوس « وكانا كلاهما عريانين آدم وحواء وهما لايخجلان » (تك ٢ : ٢٥) . هذه العبارة الكتابية تكشف لنا عن نظرتنا القدسية للجسد كله ــ مع الاختلاف بين جسدى الرجل والمرأة ــ بكونه عطية إلهية صالحة . هذه النظرة تعكس نظرة قدسية للحياة الإنسانية من كل جوانبها . لقد عاش أبوانا الأولان فى الفردوس قبل السقوط فى حياة زوجية فردوسية ، كل

https://coptic-treasures.com/

ما فى داخلهما وخارجهما يبهج قلبيهما . يرى البعض أنهما مارسا الحياة الزوجية على مستوى العلاقات الجسدية أيضاً ، معتمدين على العبارة : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » (تك ٢ : ٢٤) ؛ وأيضاً العبارة : « اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها » (تك ١ : ٢٨) . لكن هذه العلاقة لم تقم على اطفاء شهوة جسدية تحمل الطابع الأنانى ، بل على تقديم كل طرف ذاته بحياته الفكرية والنفسية والجسدية للآخر ؛ أى حملت علاقة حب باذل وليس إرضاءً لشهوة مؤقتة ، كما حملت روح الوحدة فى أكمل صورها الزوجية بالتصاق الأعماق الداخلية جنباً إلى جنب مع التصاق الجسد . لذا « قال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمى » (تك ٢ : ٢٤) .

خلال هذه النظرة الفردوسية نرى قدسية الجسد والعلاقات الجسدية بين الزوجين ، تتجلى فى الآتى :

١ ــ الشعور بالخجل ليس من عمل الله (تك ٢ : ١٥) ، إذ لايخجل الإنسان مما خلقه الله [٣] . لذلك جاءت الكلمة العبرية المقابلة لـ «ألبسهما» (تك ٣ : ٢١) هى « labash » وليس « hasah » . الكلمة الأولى تعنى «يزين» أو « يلبسهما ليجعلهما جذّابين » ، أما الثانية فتعنى « اخفاء عار ونزع عرى مخزٍ »[٤]. كلاهما يعنيان تغطية عرى ، لكن الاختلاف هو فى الغاية من التغطية .

حتى بعد السقوط ، إذ وهبنا ربنا يسوع الحياة الجديدة رد للحياة الزوجية قدسيتها حتى صارت فى المسيحية « سراً sacrament » ؛ يلتقى الزوجان معاً فى حجالهما ليتحدا معاً فى شركة حب من نوع لايشاركهما فيه أحد ، يتحدا معاً فى خصوصية تضمهما وحدهما فى علاقة حب فريد ، إذ يصيران « جسداً واحداً » .

٢ ــ كان كلاهما فى عوز إلى بعضهما البعض ، إذ قيل : « ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره » (تك ٢ : ١٨) . كانت حواء نظير آدم ، أى على قدم المساواة ، يحتاج إليها وهى تحتاج إليه بكونهما شخصية لهما كيانهما وتقديرهما المتبادل ، يكمل أحدهما الآخر ، يرافقا بعضهما البعض خلال شركة الحياة والحب .

https://coptic-treasures.com/

٣ ــ رأينا عند حديثنا عن « شخصية الشاب المتكاملة » أن العلاقة الجنسية التى تحققت بين أبوينا ــ فى نظر القديس أغسطينوس ــ كانت تحمل بهجة pleasure دون شهوة concupiscence ، هذه البهجة أكثر عذوبة مما يتمتع بها الإنسان الشهوانى عند ممارسته للجنس بطريقة منحرفة . وكأن الزوجين المسيحيين وهما يعيشان حتى علاقتهما الجسدية بروح الاعتدال يجدان بهجة وعذوبة خاصة لايجدها من يسىء إستخدام الجنس : يقول الكتاب :

« اشرب مياهاً من جبك ، ومياهاً جارية من بئرك ... ليكن ينبوعك مباركاً ، وافرح بامرأة شبابك » (أم ٥ : ١٨) .

« التذَّ عيشاً مع المرأة التى أحببتها كل أيام حياة باطلك التى أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك » (جا ٩ : ٩) .

الغريزة الجنسية فى حياة المؤمن

الغريزة الجنسية التى تعمل فينا هى جزء من كياننا ، ليست شراً نرغب فى التخلص منه ، ولا دنساً نحتقره ، ولا نجاسة نخزى منها ، بل هى من عمل الله صانع الخيرات وهبها لأجل ترابط البشر ووحدتهم ونموهم وسلامهم . فالإنسان ينمو ، وتنمو معه غريزته الجنسية كطاقة جبارة فى حياته ، كعطية يشكر الله عليها ، من خلالها تنضج حياته وتفكيره وسلوكه ، متى سُلمت بين يدىْ روح الله واهب العفة والطهارة .

لقد وجَّه فرويد Fraud الأنظار إلى اللبيدو Libido أى الطاقة الشهوانية كقائد عجلة الحياة الإنسانية ومحركها وواهب القوة لدفعها ، من ميلاد الإنسان إلى يوم وفاته ، غير أن كثيراً من أساتذة علم النفس الحديث لم يقبل هذه المبالغة. لقد قسمّ حياة الإنسان إلى مراحل مختلفة تقوم على أساس أن الإنسان طاقة جنسية ، وإن كان هذا التقسيم لم يعد مقبولاً تماماً لكننا نذكره لنستوضح علاقة الجنس بحياة الإنسان وللكشف عن إمكانية تقديس الحب خاصة فى مرحلتى المراهقة والبلوغ .

https://coptic-treasures.com/

١ ــ مرحلة الرضاعة (خلال السنة الأولى من الميلاد) ، يتركز اللبيدو Libido فى تحريك شفتيه للرضاعة ، فإذا ما لاطف أحد رضيعاً كأن يضع يده على وجنتيه بلطف تجد شفتيه تتحركان للرضاعة .

٢ ــ مرحلة الشرجية anal (من سنة إلى ثلاث سنوات) ، خلالها يتعلم الطفل كيف يمارس الافراز toilet trainig . فى هذه المرحلة يتمركز الإنسان حول جسده ، لذا تسمى « المرحلة النرجسية Narrissistic stage . كما قلنا أن نرجس هو شاب أسطورى عشق صورته ، فصار يتأملها فى جدول ماء وبقى ينظر إليها حتى مات . فى هذه المرحلة يعيش الإنسان عاشقاً « الأنا » ، فيرى العالم كله ينحنى لخدمته ، كل ما حوله هو ملكه حتى والديه وممتلكات الغير . إنه سجين « للأنا ego » .

للأسف كثيراً ما ينتكص الإنسان فى سن المراهقة وأحياناً البلوغ إلى المرحلة النرجسية يطلب أن يجد صورته هو فى الغير ، يريد أن يكون الكل حسب هواه .

٣ ــ فى نهاية المرحلة السابقة يدخل الطفل إلى مرحلة جديدة تسمى Phallic age حيث يتمركز اللبيدو فى الأعضاء التناسلية ، الأمر الذى يقلق أحياناً الوالدين ، إذ يجدونهم يلعبون فى أعضائهم فينتهروهم بطريقة خاطئة تبعث فيهم الشعور بالذنب والخوف ، وتدنيس النظرة للجسد كله خاصة الأعضاء التناسلية... هذه النظرة لها انعكاساتها على الإنسان ربما حتى فى حياته الزوجية فى المستقبل .

يليق بالوالدين ألا يشوّهوا نظرة أولادهم للجسد فى هذه المرحلة ومابعدها ، فلو أن طفلة فى الثامنة من عمرها تطلعت إلى أخيها الرضيع عارياً أو تساءلت عن بعض أعضاء جسده يتهمها الوالدان أنها طفلة بذيئة nasty وأنها تنطق بأمور معيبة دنسة بلا احتشام . مثل هذه السمات التى ينعت بها الوالدان أطفالهم الصغار تدفعهم للتفكير فى أن الخطية تعادل الجنس ، وأن كل ما يمس الجنس هو خطية .

٤ ــ المرحلة الأوديبية Odipal period (من الثالثة إلى حوالى السابعة من العمر) ، حيث يوجه الطفل عاطفته واهتماماته نحو الوالد من الجنس الآخر ، بينما

https://coptic-treasures.com/

يدخل فى صراع مع الوالد الثانى الذى من ذات جنسه. هذه هى مرحلة ماقبل الدراسة pre-school age ، حيث يصير الولد « رجل أمه الصغير » والبنت « ابنة أبيها المدللة » . يطلب الولد أمه وربما لايطيق والده إذ يريد أن يملكها بمفرده ، والبنت تطلب أباها وتغير من أمها ، لأنها تود أن تمتلكه .

للأسف أحياناً ينتكص بعض المراهقين والبالغين إلى المرحلة الأوديبية ، فيطلب الزوج من زوجته أن تكون اماً له ، والعكس بالنسبة للزوجة . يريد الزوج أن يملك زوجته كما ملك أمه من قبل فيكون موضوع تدليلها دون تحمل مسئولية ، وتريد الزوجة أن تمتلك زوجها كما ملكت أباها يعطيها التدليل دون التزام من جانبها .

٥ ــ مرحلة الكُمون latency period (من حوالى السابعة حتى بدء البلوغ ، حتى تضم المراهقة المبكرة) : فى هذه المرحلة يميل كل جنس إلى ذات جنسه كما سبق الحديث فى المقال الثالث . فى هذه المرحلة يريد الولد أن يلعب مع الأولاد ، والبنت مع البنات ، مع وجود حب استطلاع للتعرف على الجنس فى تخوف .

٦ ــ مرحلة المراهقة [٥] ، حيث يتغير هذا كله ، ليجد الإنسان نفسه فى موقف جديد : تغيرات فى نمو الجسد مع مشاعر وعواطف جديدة نحو الجنس الآخر . يشعر كأن العالم كله قد تغير ، وصار الجنس بالنسبة له يمثل الحياة .

هذا التغير المفاجىء غير المتوقع غالباً مايعكس على المراهق (أو المراهقة) شعوراً بالذنب . ففى القريب كان يعيش فى مرحلة أشبه بالطفولة البريئة ، يحمل جسداً هادئاً وحواساً ساكنة من جهة الجنس ونفساً بريئة لا تميز بين ذكر وأنثى ، والآن تحول كل شىء بالنسبة له ، فينتابه الخجل أمام نفسه وأمام الله ووالديه والمجتمع ويظن فى نفسه إنساناً شريراً لايستحق الحياة بعد مع المسيح .

أمام هذا الاحساس المرّ الذى يجتازه المراهق يلتجىء إلى وسيلة أو أخرى ، فقد يستتر تحت ظلال شجرة الانطوائية والانعزالية ليختفى عن نظرات الله والناس، فيحيا مجاهداً بطاقته الذاتية لضبط نفسه وكبت غرائزه وحرمان عواطفه ومعاداة جسده . وإذ هو لا يمارس الخطية بأعضائه الجسدية يحسبه الناس قديساً بريئاً ، بينما هو فى عينى نفسه مجرم أثيم يحمل فى أعماقه بركاناً ثائراً وصراعاً لاينتهى ،

https://coptic-treasures.com/

وغالباً مايفلت الزمام ليمارس النجاسة فى أعنف صورها ، فيهرب من ضميره بإنكار الإيمان وجحد العفة والطهارة .

من أجل هذا يقول القديس أغسطينوس [٦] أنه ليس كل من يضبط نفسه أو يمنع نفسه عن الشهوات أو يبحث عن العفة هو « عفيف » ، إذ كثيرون بحثوا عن العفة واقتنوا شيئاً آخر غير العفة . وقد يلتجىء الفتى إلى أصدقاء من ذات عمره يستجديهم معرفة الأمور الخاصة بالحياة الجنسية ، فيقدمون له معلومات مأخوذة عن كتب سوقية أو أفلام عاطفية أو خبرات خاطئة بعدما يعكسون عليها خيالهم الواسع . هكذا تأتى المعلومات مملؤة سموماً . هنا لا مفر من أن يسقط الفتى فى الاباحية والاستهتار ، إن لم يكن أمام المجتمع ففى أعماقه الداخلية .

هنا تبرز أهمية احتضان الكنيسة والبيت للمراهقين . فالمراهق الذى يدرك حنو أب اعترافه وانفتاح قلبه له ويحس بأبوة وأمومة والديه واتساع مداركهما للتفاهم معه، لا يلتجىء إلى زملائه فى تفهم الأمور الخاصة بحياته الجنسية التى لها كل الخطورة فى بنيانه أو تدميره .

الأب الروحى ــ بالتعاون مع الوالدين ــ يفتح قلبه للأبناء كى يفيضوا بكل مشاعرهم وأحاسيسهم ويسألوا عن كل ما قد يظنونه غريباً أو دنساً . بهذا ينطلق فى حكمة الروح القدس بطاقاتهم كأداة برّ لبنيان نفوسهم وكقوة جبارة للانطلاق نحو محبة الله والناس فى جهاد لاينقطع .

ما أحوج أولادنا وبناتنا ، بل ما أحوج كل إنسان لأن تسترخ نفسه تجاه جسده بكل طاقاته ليعلم مدى قدسيته وقيمته ، ويحس أن كل ما فيه ــ فى أصله ــ ليس دنساً، عندئذ يتمتع بذات مفهوم القديس أغسطينوس بأن الطاقات المستخدمة للشر فى دنس يمكن أن تتحول بالتوبة إلى طاقات حب ملتهب نحو الله والكنيسة وكل البشرية حتى بالنسبة للأعداء المقاومين .

النظرة الآبائية للجنس الآخر [٧]

فى الوقت الذى يعمل فيه العالم على تكريم المرأة ومساواتها بالرجل والإهتمام بكل حقوقها ، إذا بنا نجده أحياناً يجردها من إنسانيتها أو من كيانها البشرى

https://coptic-treasures.com/

(dehumanizes her) ، وذلك باستخدامها كوسيلة للإعلانات والتجارة وفى الأدب الإباحى porinography صار استخدام الجنس ، خاصة ابراز جسم المرأة بصورة مثيرة ، يعتبر جزءاً حيوياً فى فن الإعلان والدعاية ، الأمر الذى يرسب فى أذهان المراهقين أن المرأة جنساً بحتا ، مركزا على جمالها الجسدى لا على كيانها الإنسانى وشخصيتها من كل جوانبها المتعددة .

فى المسيحية ــ كما سبق فرأينا ــ الجنس أمر قدسى أوجده الله صانع الخيرات لنمو شخصية الإنسان ولبنيان الأسرة والجماعة ... فالتمايز بين الرجل والمرأة أساسه التكامل ، كل يحتاج إلى آخر ، لا لإشباع لذة ذاتية وإنما لتكامل العمل فى كل جوانبه ، سواء من الجانب الجسدى أو العاطفى أو النفسى أو الاجتماعى أو الأسرى الخ ... دون مفاضلة بينهما . لذا يقول الرسول بولس : « فى المسيح... ليس رجل وامرأة » (غلا ٣ : ٢٨) .

عندما تحدث **القديس اكليمندس الاسكندرى**[٨] عن التمييز بين الحب والشهوة مظهراً أنه حيث يوجد الحب الحقيقى تُطرد الشهوة ، طلب منا حين نتطلع إلى سيدة جميلة أن ترتفع أنظارنا إلى الله الخالق لنرى الجمال الأسمى الذى أوجد النفس البشرية الجميلة ...

ولقد نادى **القديس يوحنا الدرجى** بذات المبدأ فقال [٩] : إنه يعرف إنساناً حين يرى امرأة جميلة يرفع أنظاره إلى الله يمجده ويشكره من أجل حسن خلقته... وبهذا يرتفع ذهنه عن الملموسات والماديات ويسمو قلبه تجاه الخالق . وبهذا يصير المصدر الذى يسبب هلاكاً للبعض بركة لآخرين .

فإن كان الرب قد وهب المرأة جمالاً ... فهذا لا يعنى أنه قدمها للإنسان كأداة لتحقيق شهوته وإشباعها ... تلك النظرة التى تعوفها النفس البشرية ويستنكفها النساء أنفسهن ! فالمرأة أو الفتاة لا تقبل إلاّ أن تكون إنساناً موضع حب حقيقى وتقدير حقيقى تعين زوجها فى خلاص نفسه وتدبير بيته وتربية أولادهما كإنسانين يربطهما الروح القدس برباط الحب الحقيقى فى شخص المسيح ليعيشا بروح واحد وفكر واحد وغاية واحدة وإرادة متفقة ... خلال هذه الروح يعيشان فى حياة زوجية مباركة ويكون لهما أولاداً مباركين ...

https://coptic-treasures.com/

لقد اهتم الآباء بتأكيد عضوية الجنس النسائى فى جسد السيد المسيح ، ودورهن الفعّال فى الكنيسة لكى يرفعوا من قيمتهن فى نظر الرجال والشباب ليروا فيهن الخليقة الكاملة المستحقة لكل تقدير كأشخاص وليس كأجساد جميلة مجردة . يحدثنا القديس اكليمندس الإسكندرى [١٠] وغيره من الآباء عن نساء كاملات فقن الرجال وقمن بأدوار قيادية حية ، مثل يهوديت التى أنقذت مدينتها، وإستير التى خلصت شعبها ، وسوسنة التى غلبت القاضيين الشيخين بعفتها ، ومريم أخت موسى التى قادت حركة التسبيح .

التربية الروحية والجنس

يمكننا أن نضع بعض الخطوط الرئيسية فى التربية الروحية الخاصة بالجنس من واقع أحاديثنا السابقة :

١ ــ تقوم النظرة التربوية المسيحية السليمة للجنس على أساس كتابى (إنجيلى)، إذ يقدم لنا الكتاب المقدس البشرية « ذكراً وأنثى » فى وحدة متكاملة عجيبة . لقد أخذت المرأة من جنب الرجل الأول وهو نائم فى الفردوس ، وكأنه بدونها كان عاجزاً عن العمل ، يحتاج إلى من يعينه ويسنده ، ليحقق الاثنان غاية الله فى البشرية . يقول Otto Piper (خلال الزواج يستطيع الزوجان أن يحققا عملاً مشتركاً لخدمة الله . هذا ما يجعلهما عزيزين فى نظر بعضهما البعض بطريقة مستمرة وعميقة [١١]) .

هذه نظرة الكتاب المقدس للجنس ، سُجلت فى وقت كان العالم يغط فى الخرافات جنسية متطرفة وخطيرة كعبادة الأعضاء التناسلية وممارسة الدعارة كعمل خاص بقدسية المعابد .

٢ ــ الجنس ليس خطية فى ذاته إنما اساءة استخدامه والانحراف به عن غايته أو فساد الإرادة الإنسانية هو الخطية . الجنس عطية إلهية قدمها الخالق الصالح لحفظ الجنس البشرى ونمو شخصية الإنسان ، لذا يلزم تقديم مفاهيم سليمة له لأبنائنا خلال البيت حتى لا يلجأ إلى الشارع ويتفهمه بطريق خاطىء .

يولد الطفل مشتاقاً إلى المعرفة ، أقصد معرفة كل شىء ، ويبقى هذا الاشتياق

https://coptic-treasures.com/

يتزايد باستمرار مادام الإنسان يحمل أسراراً خاصة به لم يدركها بعد ، وأيضاً يطلب أن يتعرف على العالم المحيط به وما وراء هذا العالم . يحتك الطفل بكيانه ، فيسأل والديه أحياناً عن طريقة ميلاده وعن الفارق بين الولد والبنت وعن أسماء بعض أعضاء جسمه وعن الزواج الخ ... أمور تبدو محرجة للغاية لكن الطفل يسأل عنها لهدف المعرفة وحب الاستطلاع . كثير من هذه الأسئلة يجد الطفل الإجابة عليها تلقائياً فى المجتمعات الريفية الشرقية خلال الطبيعة إذ فى بساطة الطفولة يرى لقاء الذكور والإناث بين الحيوانات والطيور كما يشاهد ولادة الحيوانات، الأمور التى قد لايراها أطفال المدن .

ـــ لا يُحصر الجنس فى الممارسات الجسدية ، لكنه يحمل معنى أعمق ألا وهو « العلاقات » و « الاتصالات » . هذا لايعنى أن العلاقات الجسدية بين الزوجين ليست بذى قيمة ، إنما يعنى أن الاتحاد خلال الجسد يقدم معنى لوجود اتحاد داخلى بتقديم الانسان نفسه his self للآخر ، تقديم كل كيانه وشخصه . وكما يقول كوستى بندلى أن الجنس « يتأنسن » ويتعالى من صعيد « الشىء » المستخدم إلى « الشخص » . فلا يستخدم الإنسان الطرف الآخر تحت ستار الحب بذات الفهم كما يحب التفاحة ليستهلكها سعياً وراء اللذة الذاتية ، وإنما ليتقبل الآخر شخصاً يتبادل الواحد مع الآخر الحب والتفاهم والتقدير المتبادل للفكر والرأى حتى وإن اختلفا فى بعض وجهات النظر .

٤ ـــ المفهوم السابق للجنس يجعل منه مصدراً لنمو الشخصية الإنسانية وتكاملها . هذا ما يؤكده كل المهتمين بشئون الشباب ـــ خاصة فى مرحلة المراهقة ـــ نذكر على سبيل المثال ما جاء فى كتاب « Young Adult Living » :

(نأتى لنتعلم كيف نستخدم طاقاتنا فى الحب بطرق تسمح لنا نحن والذين نكونّ معهم علاقات أن ننمو ونخاطر ونقوّى قدراتنا الأخلاقية وجهدنا الإنسانى ونطورها ...

غاية النشاط الجنسى ليس الممارسات بل علاقات الحب والاهتمام (المتبادل)[١٣]) .

https://coptic-treasures.com/

(كل رحلة تنتهى ببلوغ الإنسان إلى بيته . أين هو البيت فى رحلة الحياة التى للنمو الشخصى ؟ البيت بالحقيقة : « نفسى » ، أنا بكليتى ، لا ما أنا عليه الآن بل وما أحلم أن أكون عليه مستقبلاً ... النمو يمس كل جوانبى : أى بدنى وعقلى وادراكى لنفسى وتقديرى الذاتى وتقييمى لشخصى وقدرتى على بلوغ مراكز معينة وأخذ قرارات واحتمالى للمثيرات والألم وموهبتى فى خلق علاقات مع الغير . هذه السمات وغيرها هى التى تكوّن شخصى الفريد الذى هو « أنا » ... بهذا لانتطلع إلى الجنس كمشكلة تحتاج إلى حلّ بل كقوة خلاّقة لنا [١٣]) .

إذن ، للجنس معنى واسع يعنى اتساع القلب بالحب يمارس الإنسان بروح الله العطاء ببذل نفسه عن الغير فى المسيح يسوع ، فى انفتاح قلب واتساع فكر وليس مجرد ممارسات جسدية بين الزوجين .

هذه النظرة المتسعة والداخلية للجنس أوضحها السيد المسيح ، إذ لم يحصره فى العلاقات الجسدية بل فيما هو عميق داخل النفس ، موصيا إيانا الا ننظر إلى امرأة لنشتهيها (مت ٥ : ٢٨) .

٥ ــ لسنا نتجاهل واقعنا الإنسانى كأشخاص لهم أجسادهم ، فإن كانت الممارسات الجنسية الجسدية دون بذل الإنسان وعطائه لن تدم بل وتشوه الحياة فى عينى الطرف الآخر ، ففى نفس الوقت يعبر الإنسان عن حبه وبذله بعطاء نفسه للغير بكل وسيلة دون تجاهل التعبير الجسدى . فالحب لايقف عند النيّة والفكر والكلمات لكنه أيضاً يمس الجسد . حب السيد المسيح لنا أُعلن خلال نزوله إلينا بالجسد ليقدمه ذبيحة حب لتقديسنا ، وحب الوالدين لأبنائهما يُعبر عنه بالقبلات والاحتضان ولمسات الحنان ... هكذا لكل حب ما يُعبّر عنه بالجسد ، حتى فى عبادتنا لله فإننا نعبده بالروح والحق دون تجاهل مشاركة الجسد فى العبادة . بهذا نفهم أن العلاقات الجسدية بين الزوجين هى تعبير مقدس عن الوحدانية الداخلية فى الرب .

٦ ــ تحدثنا عن المعرفة كأمر ضرورى بالنسبة لأبنائنا يلزم أن يقدمها البيت حتى لا تشوّه نظرتهم للجنس بالتعرف عليه من الشارع . لكن المعرفة وحدها عاجزة عن أن تقدّس الحياة الإنسانية وأن تمنع كل انحراف جنسى ، وإلا لكان

https://coptic-treasures.com/

طلبة كليات الطب أكثر الناس صحة بسبب معرفتهم الطبية . يحتاج الإنسان مع المعرفة مساندة إلهية داخلية تشبع الأعماق حتى لا يطلب الإنسان شبعه خلال الانحرافات ، مع ما للحياة الأسرية من دور فعّال فى تعميق معانى الجنس الصحيحة فى حياة الأبناء .

الزهد فى العلاقات الجسدية

ربما يتساءل البعض : مادام للجنس قدسيته فلماذا طلب الله الامتناع عن العلاقات الجسدية الزوجية فى بعض المناسبات مثل الاستعداد لإعلان الشريعة (خر ١٩ : ١٥) ، والاغتسال بعد الممارسة واعتبار الإنسان غير طاهر حتى المساء (لا ١٥ : ١٦) ؟ .

لماذا يطلب الرسول امتناع الزوجين (بموافقتهما) للتفرغ للعبادة (١ كو٧ : ٥) ؟ .

لماذا جاء فى قوانين الكنيسة أن يمتنعا فى الأيام الثلاثة الأولى من زواجهما[١٤] ؟ .

لماذا تمارس الكنيسة طقس تطهير المرأة Churching of women[١٥] بعد الولادة؟ .

لماذا يُطلب الامتناع عن العلاقات الزوجية الجسدية قبل التناول بيوم أو يومين[١٦] ؟ .

نجيب على ذلك بالآتى :

١ ــ بالنسبة لماورد فى العهد القديم فإن الكثير من الشرائع جاءت لتحمل معنى رمزى كما أيضاً جاءت لتحقيق أهداف صحية Hygienic aspect ، فالاغتسال بعد ممارسة العلاقات الجسدية الزوجية حملت معنى صحى ، ذلك كما قيل عن بعض الحيوانات والطيور أنها طاهرة والبعض أنها نجسة مع أن الكتاب يؤكد أن كل الخليقة صالحة ، وأن الله رأى كل شىء حسنا (تك ١) ، فهنا النجاسة يقصد بها الامتناع لأسباب صحية . كما قصد الرب منها منعهم عن الاشتراك مع الأمم فى تقديم ذبائح للآلهة الوثنية .

https://coptic-treasures.com/

٢ ــ منعهم من العلاقات فى الثلاثة الأيام الأولى من الزواج يحمل هدفين : الأولى تهيئة نفسية الطرفين للقاء بعد فترة مودة ولطف خاصة وأن العروسين غالبا مايكونا مرهقين جسدياً ونفسياً فى الفترة السابقة للزواج ، هذا ولتأكيد أن الزواج علاقة حب وليس متعة جسدية .

٣ ــ الامتناع لأجل الصوم والعبادة ، ليس لأن العلاقات الزوجية دنسة ، وإنما تُحسب كنوع من الافطار . الامتناع عنها تأكيد للإرادة القوية فى الرب لضبط النفس مثله مثل الامتناع عن الأطعمة المحللة لأجل الصوم .

ما يجب تأكيده أن هذه العلاقات ــ متى تمت فى وضعها الطبيعى ــ ليست نجاسة ولا خطية ، إنما تحسب نوعاً من الفطر ، لهذا كل امتناع عنها برضى الطرفين للتفرغ للعبادة ، إنما يمثل جهاداً روحياً من أجل نمو الإنسان . أما إذا تم الامتناع عنها بكونها دنساً فيحسب ذلك انحرافاً فى الفكر بل وفى الإيمان ، عودة إلى الغنوسية التى تدنس النظرة إلى الجسد والجنس ، وقد قام آباء الكنيسة فى الشرق والغرب بمقاومة مثل هذه الأفكار وتفنيدها .

هنا نؤكد أيضاً أن الكنيسة فى اعتزازها بالحياة البتولية والرهبانية لاتحط من شأن الزواج ، وإلا ما كانت تقيمه سراً مقدساً ، وما كان الرسول يشبه علاقتنا بالسيد المسيح بالحياة الزوجية . البتولية والرهبنة هما تفرغ الإنسان لممارسة العبادة أو الخدمة دون إنشغال بالحياة الزوجية والتزاماتها .

٤ ــ طقس تطهير المرأة لايمكن أن تعنى به الكنيسة أن عملية الولادة دنس، فإنه حتى فى العهد القديم ، كان مفسرو اليهود يرون أنه ربما تكون المرأة قد ارتكبت خطية عدم الاحتمال أثناء آلام الطلق [١٧] . لو كانت الولادة خطية لما تحولت إلى فرح وتعييد ، إذ قيل : « وقالت سارة قد صنع إلىّ الله ضحكاً ... وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق » (تك ٢١ : ٦ ، ٨) .

فى الطقس القبطى تعلن الكنيسة فرحها بميلاد كل طفل إذ تقيم صلاة خاصة فى اليوم الثامن من ميلاده ، تسمى « صلاة الحميم » فيه تشكر الله وتسبحه وتطلب نمو الطفل ومباركته بالرب .

https://coptic-treasures.com/

المربى والتربية الجنسية

١ ــ التربية الجنسية ليست معلومات وحقائق مجردة يقدمها الوالدان أو المدرسون أو غيرهم من المربين للمراهقين لكنها خبرة يتلمسها المراهق منذ طفولته خلال احتكاكه بوالديه . فالأسرة هى المدرسة الأولى التى تضع الأساس لكل المفاهيم الروحية والاجتماعية والانسانية والجنسية فى حياة الطفل . يستطيع الطفل أن يدرك ما فى قلبى الوالدين ، إن كانا يتبادلا الحب الحقيقى والتقدير المتبادل والاهتمام الداخلى نحو بعضهما البعض ، أم أن حياتهما الزوجية تتوقف عند حدود حجرتهما الخاصة . إن دفء الحب الزوجى هو المعلم الأول الفعّال فى تقديم حقائق التربية الجنسية السليمة فيدرك المراهقون معنى الحياة الزوجية المقدسة وامكانية تحقيقها عملياً . بدون هذا الحب يبحث المراهق خارج أسرته عن الحب فيخلط بينه وبين الشهوة واللهو الجنسى .

إن ديمومة الحب الزوجى بين الوالدين بالرغم مما تجابهه الأسرة من متاعب وصعوبات هو السند الحقيقى للمراهقين .

فيما يلى بعض تعليقات لمراهقين أوردها Josh McDowell[١٨] :

(ماما، بابا. أشكركما على بقائكما معاً فى السرَّاء والضرَّاء «thich & thin»... لقد علمتمانى الحب ما هو ؟ إنه تعهد ! أشكركما معاً) .

(شكراً ، إذ غرستما فىّ صورة صحية للنفس بحبكما لبعضكما البعض وحبكما لى كثيراً... الأمر الذى أعاننى بالحقيقة أن أحب الغير وأن أتطلع إلى الزواج . أشكركما على حفظكما للحب متجدداً وعاملاً كل يوم . بملاحظتى لزواجكما عبر كل هذه السنوات عانيت حقيقة حب الله) .

(بابا ، أشكرك من أجل بقائك معنا خلال الجحيم الذى كان فى بيتنا ، خلال مرض ماما وانهيارها وثورتنا نحن . إننى لم أعرف أحداً مثلك) .

(أشعر أننى مبارك بالله الذى جعلكما والدىّ . إنكما أفضل مثلين للوالدية ، وللحياة الزوجية وفوق الكل للحياة المسيحية . ليتنى أستطيع أن أتمم ما علمتانى إياه) .

https://coptic-treasures.com/

(أشكركما ، لأن حبكما لبعضكما البعض هو نموذج رائع لاخوتى ولى فى علاقاتنا المستقبلية) .

(أقدّر على وجه الخصوص حب والدى لوالدتى ولنا نحن الأبناء ــ فإن هذا يجعلنى أتحقق بأن الله لابد أن يكون بالحقيقة أباً عظيماً) .

من هذه التعليقات وأمثالها يتضح دور العلاقات المتبادلة بين الوالدين فى حياة المراهقين . إن قامت هذه العلاقات فى المسيح يسوع تحمل الحب الحقيقى والاحترام المتبادل ، يكتشف المراهقون « الحياة الجديدة فى المسيح » معلنة فى حياة والديهم لا خلال العبادة فحسب أو داخل الكنيسة ، أو أمام الزائرين ، لكنها حياة مُعاشة ليلاً ونهاراً ، لها انعكاساتها المفرحة فى كل تصرف . بهذا يخدم الوالدان المراهق ويجتذبانه إلى السيد المسيح ، متجاوباً مع روحه القدوس ، فينشأ عضوا حياً يقدس الحياة بكل جوانبها بما فيها الجنس والحياة الزوجية .

٢ ــ يليق بالمربى ــ الأب أو الأم أو المدرس ــ أن يقدم الحقائق الجنسية بأمانة وإخلاص وحق ، وفى نفس الوقت تُقدم بحكمة بما يناسب عمر الشخص وظروفه الخاصة وبيئته الخ ... فالإجابة التى تقدم لطفل فى السادسة من عمره عن سؤال معين تختلف عن تلك التى تقدم لمراهق عن ذات السؤال ؛ ولكن كلا الاجابتين يجب أن تمثلا الحقيقة دون خداع .

بمعنى آخر يلزم على المربى أن يعرف كيف يبسط ذات الحقائق ويقدمها لكل سن بما يناسبه ، وفى نفس الوقت يعرف ما هى حدود المعرفة التى يقدمها دون أن تثير فيه حب استطلاع نحو أمور تفوق ادراكه . هذا مع مراعاة ضرورة استخدام تعبيرات بطريقة قدسية تحفظ فكر المستمع نقياً وطاهراً وبسيطاً .

٣ ــ لما كانت هذه الحقائق تمس الحياة الإنسانية ذاتها لذا فإن عنصر الثقة فى المربى له فاعليته الكبرى وأثره على حياة أبنائنا . فإن اكتشفت المراهق فى بدء حياته أن والديه قد خدعاه فى تقديم بعض معلومات خاطئة أثناء طفولته . فلكى ينشأ المراهق فى تربية جنسية سليمة يلزم أن يكسب الوالدان ثقته وصداقته منذ طفولته، يتدربا كيف يحاورانه بروح الحب والاعتزاز دون استخفاف بآرائه .

https://coptic-treasures.com/

٤ ــ التربية الجنسية هى جانب من جوانب الحياة الإنسانية المتكاملة ، لذا ترتبط هذه التربية بحياة المربى الروحية . فكل مربٍ لايحمل فكراً روحياً بناءً يعجز عن تحقيق هدفه ، لأنه يقدم معلومات مجردة قد تكون حقائق صادقة لكنها بلا روح ولا حياة . إن كان المراهق يحتاج إلى نعمة إلهية لمساندته على الحياة المقدسة ، فدور المربى هو تقديم هذه النعمة المجانية متجلية فى حياته ، هذه التى يتحسسها المراهق ويتلامس معها ليعيشها هو أيضاً . المربى هو المثل العملى يراه المراهق ليتمثّل به عملياً .

٥ ــ يليق بالمربى أن يدرك حقيقة رسالته ، ألا وهو التوجيه والمساندة بالحب والصداقة ، لا السيطرة واصدار الأوامر . (علينا أن نعاون الفتى (أو الفتاة) فى قيادة زورقه قيادة حكيمة ، فليس لنا أن نأخذ عنه الدِفة والمجذاف ... علينا أن نساعده فى استيضاح وجهته ونعهد إليه بالخرائط والبوصلة ، ونلفت نظره إلى المعابر الخطرة ومواطن التهلكة [١٩]) .

إذ قام J. McDowell [٢٠] بتبويب بعض إجابات المراهقين قدم لنا عدة فصول رائعة من كلمات المراهقين أنفسهم تكشف عن حاجتهم لتوجه والديهم بالحب والحكمة ، جاء بعضها تحت عنواين :

+ « لتحبانني ! » (ماما ، بابا ، إنى محتاج أن أعرف أنكما تحباننى وتقبلانى).

+ « إصغيا لى ! » (فقط تكلما معى ... إصغيا إلىّ ... حاولا أن تفهمانى).

+ « لتثقا فىّ ! » (محتاج أن أعرف أنكما تثقان فىّ وتصدقاننى) .

+ « تحدثا معى مبكراً ! » (تحدثا معى مبكراً وبكثرة ، إخبرانى ما أنا محتاج أن أعرفه) .

https://coptic-treasures.com/

(1) Erwin J. Kolb : Parents guide to Christian conversation about sex, concardia Publishing House, St. Louis, 1967, ch, 1.

(2) Ibid.

(3) The missing dimension in sex, Ambassador college Press, Passadena, california 1971, p. 15.

(4) Ibid, 30.

(٥) للمؤلف : الحب : مفهومه ودرجاته ، فصل ٢ (الحب والدوافع) .

(6) Continance, 27.

(٧) للمؤلف : الحب : مفهومه ودرجاته ، فصل ٤ (الحب والشهوة) .

(8) Cf. Stromata 4 : 18.

(9) St. John Climacus : The Ladder.

(10) Cf. Stromata 4 : 19.

(11) Wynn : Sexual ethies & Christian responsibility, 1976, p. 103.

(12) Young Adult Living, Paulist Press, N.Y. 1980, p. 30.

(13) Ibid p. 31.

(14) See Rev. E. C. Messenger : The mystery of sex & marriage, London, p. 153.

(15) Ibid, 77.

(16) St. Jerome : Ep. (48) ad Pammackius.

(17) Messenger, p. 77.

(18) Josh McDowell : What I wish my parents knew about my sexuality, p. 70 f.

(19) Dr. François Goust : en Marche Vers l'Amour, Paris

تلمّسات حب ، إعداد حبيب باشا ، ص ١٣ ، ١٤ .

(20) Josh. McDowell, p. 77, 85, 91.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٨
المراهقون وقدسية الزواج

العلاقات الأسرية

إذ نتحدث مع المراهقين عن قدسية الجنس وجب علينا الإشارة إلى مفهوم الحياة الزوجية وما تشمله من علاقات متبادلة بين الزوجين على مستوى الجسد والفكر والروح . فبالنسبة للعلاقات الجسدية (الجنسية) يختلف الإنسان عن الحيوانات جميعها بكونه الكائن الوحيد الذى يعرف الحياة الزوجية وقدسيتها .

الحيوانات ــ خاصة الدنيئة ــ تمارس العلاقات الجنسية كعمل غريزى يحكمه الطبيعة ، ففى فصل معين من السنة أو أكثر يحدث فى الحيوان تغيُّر بيولوجى خلاله يلتقى الجنسان معاً ، حيث تستجيب الأنثى للذكر تلقائياً دون حاجة إلى تفكير . أما بالنسبة للإنسان فلا تتم العلاقات طبيعياً إنما خلال علاقات الحب والعاطفة ، تحكمها مفاهيم الزوجين الروحية والثقافية والاجتماعية . الجنس بالنسبة للزوجين أعمق من أن يكون مجرد تلاقٍ لجسدين ، هو حب وككل حب هو مرآة للحب الإلهى ، إن فُسّر بتعبيرات اللذة والشهوة فسد كيانه . فى الحياة الزوجية لا تتم العلاقة فى أوقات معينة من السنة غريزياً ، إنما يشتاق الزوج لزوجته خلال الفكر والعاطفة وتستجيب الزوجة ليس تلقائياً إنما خلال دلالات الحب والعاطفة .

لا تحتاج الحيوانات إلى أسرة تمارس علاقات المحبة المتبادلة ، لذا يُولد الحيوان خلال علاقة جسدية غريزية ، نراه فى دقائق من ولادته وربما فى ثوانٍ قام يمشى وبدأ يرضع دون أن يُعلّمه أحد . أما بالنسبة للإنسان فيبقى الرضيع قرابة عالم وربما أكثر ليتعلم المشى ، فهو حتاج إلى تعلم لكل شىء ، خلاله يتذوق اهتمام الأسرة وحبها فتنمو شخصيته سوية [١] . الطفل يولد ثمرة علاقة حب وعاطفة ويبقى محتاجاً للحب حتى ينضج ويصل إلى البلوغ ، بل أقول يبقى كل حياته متعطشاً إلى الحب .

https://coptic-treasures.com/

جماعة حب

يقدم لنا الكتاب المقدس صورة حية لأول زواج تمّ بعد خلقة الإنسان مباشرة، زواج رجل واحد من امرأة واحدة ، لينعما بوحدة الجسد والروح معاً . كان هذا الزواج يمثل جانباً مقدساً من الحياة الفردوسية الإنسانية ، يحمل فكر الحب الصادق القائم على المساندة والتعاون والوحدة وليس على أنانية الاستمتاع بلذة وقتية ذاتية .

خلق الله الإنسان على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) ، لينعم بشركة الحب الإلهى ، ينجذب كصورة نحو الأصل ليمارس دالة الحب مع الله ، يلتقى به ويناجيه، يسمع صوته ويتحدث معه فى صداقة فائقة وعجيبة. وأعطاه الله حواء ليعيش الاثنان فى جماعة حب community of love ، يتذوقا شركة الحب الإلهى ، لا على مستوى العلاقة الشخصية مع الله فحسب ، وإنما على مستوى العلاقة الجماعية أى شركة الحب بينهما فى الله ، ليمارسا حركة حب غير منقطع ، كلٌ يحب الآخر فى الله . لهذا نجد الكتاب المقدس يربط بين خلقة الإنسان على صورة الله وبين وجود تمايز وتكامل بين الجنسين ، إذ قيل : « خلق الله الإنسان على صورته ، علىَ صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم » (تك ١ : ٢٧) .

حتى بعد السقوط ، إذ أراد الله الكشف عن حبه لشعبه وطلب اتحادهم معه قدم الحياة الزوجية كظل لعلاقة الله بهم ، إذ حسبهم عروساً له (إش٥ : ١ــ٧؛ ٥٤ : ٤ــ٨ ؛ إر ٢ : ٢ ؛ ٢ : ٣٢ ؛ خر ١٦ : ٢٢) ، حاسباً ترك الإنسان له طلاقاً (هو ١ : ٢ ــ ٨) . بهذا رفع الله نظرة الإنسان إلى الحياة الزوجية .

تحدث السيد المسيح ــ مخلص العالم ــ عن الزواج وقدسيته كعودة للحياة الفردوسية قبل السقوط (مت ١٩ : ٤ ــ ١٦) ، مقدماً نفسه عريساً لشعبه (مر ٢ : ١٨ ــ ٢١) . وقد أعلن عن الحب كناموسه أو شريعته الخاصة (غلا٦ : ٢) ، الحب الذى فيه عطاء كامل للنفس complete self-giving ، إذ يقول فى ليلة صلبه : « ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه » (يو ١٥ : ١٣) .

https://coptic-treasures.com/

هكذا يكشف لنا الرب أن الحب الباذل للنفس يتحقق فى صورة رائعة خلال الزواج ، حينما يقدم كل طرف حياته للغير (أف ٥ : ٢١ ــ ٣٢) .

قدسية العلاقات الزوجية فى الفردوس

يفسر البعض الخطية التى ارتكبها آدم وحواء فى الفردوس ــ أى الأكل من شجرة معرفة الخير والشر ــ أنها إتمام العلاقة الجسدية بينهما ، إذ عرف كل منهما الآخر جسدياً . هذا التفسير لن نجده لدى كبار الكتاب المسيحيين الأوائل باستثناء القديس اكليمندس الاسكندرى وحده . هذا وقد أكد هذا القديس أن الشر لايكمن فى العمل الجنسى ذاته إنما فى ممارسته قبل النضوج[٢] ، فإن الأبوين الأولين اجتمعا قبل الأوان ، قبل نوالهما نعمة الزواج[٣] . هذا وعند أخذه بالتفسير لم يقبله كأمر قاطع أكيد ، إنما كأمر محتمل ، إذ قال « ربما »[٤] .

لقد أكد أيضاً القديس اكليمندس بأن التوالد البشرى أمر مخلوق ، من صنع القدير ، الذى بالتأكيد لن ينزل بالنفس من حال أفضل إلى ما هو أسوأ[٥] ، لقد كان حريصاً كل الحرص أن يصون قانونية العمل الزوجى نفسه[٦] .

كانت الوصية هى أن يثمروا ويكثروا ويملأوا الأرض ، وقد حاول بعض الآباء مثل القديس أغسطينوس أن يميز بين العلاقات الجسدية بينهما قبل وبعد السقوط. إذ رأى أنه قبل السقوط وجدت بهجة كبهجة الإنسان المعتدل بطعامه أو العفيف بعفته ، هذه البهجة لاتفقد الإنسان ضبطه لإرادته ولاتسبب انحرافاً أو فساداً لها . أما بعد السقوط فوجد الإنسان فيها شهوة يصعب ضبطها بالفعل ، لذا فالخطية ــ فى نظر القديس أغسطينوس ــ لا فى ممارسة الجنس ــ وإنما فى فساد الإرادة التى تُحدر الإنسان لممارسته بطريقة غير سليمة .

يعلل البعض شعور الأبوين الأولين بالخجل بعد السقوط بوجود خبرة ثورة للشهوة الجنسية تناقض العقل ، لايمكن ضبطها ، إذ فقدا عطاياهما الفائقة preternatural gifts ، خاصة الحصانة immunity ضد الشهوة أو الرغبة غير المضبوطة[٧] .

https://coptic-treasures.com/

الحب فى الزواج أو البتولية

لا تحصر العلاقات الزوجية فى الممارسات الجسدية وحدها ، بل تبقى هذه الأخيرة تمثل جزءً متكاملاً مع بقية جوانب الحياة ، فهى تحمل معنى الوحدة بين الزوجين لا على مستوى الجسد وحده ، وإنما على مستوى الفكر والعاطفة وبذل الذات ، أى تقديم الإنسان نفسه his self للآخر . بهذا يُعلن الحب فى العلاقات الجسدية الزوجية لا كتقديم خدمة للآخر أو إرضاء له ولا كاشباع لذة ذاتية للإنسان (يتقوقع حول الأنا) وإنما كاتساع قلب خلاله يمارس الإنسان عطاء النفس self-giving بهجة قلب . بهذا المفهوم المشترك لدى الطرفين يقوم الزواج كسرّ حب صادق وإلا تحطم .

بهذه النظرة الحية نتفهم العلاقات الزوجية بما تتضمنه من علاقات جسدية ، إنها ليست تحطيما لعذراوية النفس وطهارتها . لهذا يرى القديس أغسطينوس أن الزوجين لا يفقدان بتوليتهما (الروحية) وعفتهما مادامت الشهوات المنحرفة لا تسيطر عليهما ، إنما يسلكان بطريقة طبيعية ليحقق الزواج هدفه (الإنجاب) ، حتى إن تم الجماع أو الإنجاب [٨] .

لسنا ننكر ما لبتولية الجسد من أثر على بتولية النفس ، وذلك كما للصوم الروحى الحىّ من أثر على انسحاق النفس ، إن قدمت هذه الممارسات (بتولية الجسد والصوم الخ ...) بفكر روحى متفتح وحياة حكيمة جادة مع اتساع القلب بالحب لله والناس .

ما يلزم تأكيده هنا أن العلاقات الزوجية ليست فقداناً لفضيلة البتولية الداخلية ، مادام الإنسان لا يعيشها خلال لذة الجسد وتأكيد الأنا وإنما خلال الحب العملى والبذل وعطاء النفس . هذه الحياة التى لن يتفهمها الإنسان كما ينبغى أو يمارسها إلا بمساندة النعمة الإلهية المجانية ، ليعيشا معاً بروح الله القدوس فى المسيح يسوع رأس الكل ، يصيرا واحداً معه ، مختبرين أبوة الله المحتضنة للبيت ككنيسة صغيرة ، لذا يدعى الزواج سراً Sacramental .

https://coptic-treasures.com/

الزواج هو « وحدة الحب » على صعيد الإنسان بكليته ، يسند بتولية النفس ويؤكدها ، لأن المتزوج (والمتزوجة) يحتاج إلى الاتحاد مع الله « الحب الحقيقى » لكى يملك فى داخله الحب ويتفهمه ويعيشه ويقتنع به وينمو فيه ويقدمه . بمعنى آخر نمو علاقتنا مع الله يهبنا الحب لنعيشه سواء فى الحياة البتولية أو الزوجية نعيشه فى قدسية ، فلا ننظر إلى العلاقات الزوجية كأمور معيبة أو دنسة كما يتصورها البعض ، لأنها فى الواقع تحمل أعماقاً داخلية ترتفع فوق حدود الجسد .

هنا أود أن أوضح أن انغماس بعض المراهقين فى الجنس خلال لذة الجسد ، فى انحراف وإباحية ، يفسد نظرتهم حتى للحياة الزوجية ، فيرونها فى كليتها جنساً بالمعنى الجسدى الضيق . مثل هؤلاء غالباً ما يفشلون حتى فى حياتهم الزوجية ، إذ يركزون على « الجنس » عند اختيارهم لشريك (أو شريكة) الحياة . عوض أن ينفتح القلب بالحب ويستنير بروح الله ليتعرف الإنسان على جوهر نفسه core self حتى يقدمها للغير ، ويدرك أيضاً ما للآخر ليلتقيا معاً على صعيد عطاء النفس الباذل ووحدة الروح والفكر مع الجسد ، يعطى الإنسان أيضاً ماينا سب الآخر وما يليق به ؛ نجده منشغلاً باشباع لذاته الذاتية .

نستطيع أن نلخص نظرة الكنيسة الأولى للحياة الزوجية فى علاقتها بالحياة البتولية فى الآتى :

١ ــ امتاز آباء الكنيسة بروح الاعتدال متى امتدحوا الحياة البتولية إذ لم يتجاهلوا قدسية الزواج وكرامته ؛ ومتى تحدثوا عن قدسية الزواج أبرزوا بهاء، البتولية أيضاً . ففى القرن الثالث إذ كتب الأب ميثوديوس أسقف أولمبيا « وليمة العشرة عذارى » فى مدح البتولية كان حريصاً أن يستنكر كل إدانة للزواج . فمن كلماته: (يبدو لى واضحاً من الكتب المقدسة أن كلمة الله عندما أدخل البتولية إلى العالم لم يُلغِ الزواج تماماً ... مادام الله لايزال يخلق كل يوم الإنسان حتى يومنا هذا خلال الاتحاد الزوجى ، أفلا يُحسب هذا تهوراً أن ندين التوالد البشرى الذى لايتردد الخالق القدير نفسه عن أن يشترك فيه بيديه اللتين بلا دنس ؟! ... مرة أخرى ، أى غباء هذا أن نمنع الاتحادات الزوجية مادمنا ننظر إلى وجود شهداء وقديسين وقديسات فى المستقبل بعدنا ؟! [٩]) .

https://coptic-treasures.com/

قدسية الكنيسة للزواج وللأعضاء التناسلية تبرز فى منع من يخصى نفسه عن قبول أية درجة كهنوتية ، حتى إن كان قد نذر البتولية . وقد بدأ الخلاف بين البابا الاسكندرى ديمتريوس والعلامة أوريجانوس يدب بسبب قبول الأخير الكهنوت بعدما خصى نفسه[١٠] .

٢ ــ وجد أيضاً تطرف آخر لدى الهراطقة وذلك بجحدهم البتولية عند مديحهم للحياة الزوجية ، كما حدث فى مقالات اكليمندس المزورة[١١] . لذا أكّد الآباء سمو الحياة البتولية حتى أثناء حديثهم عن قدسية الزواج .

نختم حديثنا هنا عن قدسية الزواج بالكلمات التى كتبها القديس يوحنا ذهبى الفم الراهب والبتول :

(كيف يصيران جسداً واحداً ؟ كأن قطعة من أنقى جزء من الذهب تمتزج بذهب آخر ، هكذا بالحقيقة تتقبل المرأة أغنى جزء لتلتحم كما فى بهجة فيحدث انتعاش وتدليل ، وتقوم بالمشاركة معه لإنجاب كائن بشرى . هكذا يكون الطفل جسراً خلاله يصير الثلاثة واحداً ... أنا أعرف أن البعض يخجلون مما أقوله ، ذلك بسبب نجاستهم ودنسهم ... لماذا نخجل مما هو مكرَّم ... إنكم تدينون الله الذى سَنَّ هذه الأمور[١٢]) .

(بالتأكيد لو كان الزواج مُداناً لما كان القديس بولس يدعو المسيح والكنيسة عريساً وعروساً[١٣]) .

مادمت أكتب للمراهقين الأحباء وليس للمتزوجين فإننى لا أود الدخول فى تفاصيل خاصة بالحياة الزوجية إنما أكتفى بعد الحديث عن قدسية الزواج أن أشير إلى مفهوم الرجولة والأنوثة فى الحياة الزوجية ، حتى يُبنى الفكر الخاص بالزواج على أساس سليم .

https://coptic-treasures.com/

(1) Ambassador College Press : The missing dimension in sex, Passadena, California 1971, p. 61.
(2) Stromata 3 : 18.
(3) Ibid 3 : 15.
(4) Ibid 3 : 15, 94.
(5) Rev. E. C. Messenger : The mystary of sex & marriage, P. 46.
(6) Ibid 47.
(7) Ibid 50, 54.
(8) De Civitate Dei 14 : 26.
(9) Banquet of ten virging, Oration 2.
(10) Fr. Malaty : Introduction to the Coptic Orthodox Church, Ottawa 1987, p. 32.
(11) Clementine Homilies 3 : 68.
(12) In Colos. hom 12.
(13) In Eph. hom 20.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

٩
الرجولة والأنوثة في الحياة الزوجية

بين الرجولة والأنوثة

فى الوقت الذى فيه تزايد الإحساس العام بأن ما يمارسه الإنسان من علاقات جنسية قبل الزواج هو حق طبيعى له ، فانحرف كثير من المراهقين إلى نوع من الإباحية والاستهتار فى ممارسة الجنس تحت ستار « الحب » ، نجد اتجاهاً متزايداً نحو تجاهل التباين الجنسى تحت ستار « المساواة بين الرجل والمرأة » . هذان الاتجاهان يسيران معاً كثمرة طبيعية لفقدان الجنس قدسيته .

إن كان الله قد رفع من شأن الإنسان بكل وسيلة ، فخلقه على صورته ومثاله ، وحينما جدد طبيعته أقامه ابناً له كى ينعم بشركة الحياة الإلهية والمجد الأبدى ، فإن الله أعطى الجنسين حق المساواة فى الطبيعة كما فى الكرامة ، مع بقاء التمايز بينهما لتحقيق تكامل الحياة الإنسانية ، حتى نعتز بالكيان الإنسانى بكل جوانبه منها الجنس كسرّ عجيب فى الحياة الإنسانية . يعتز الرجل برجولته وتعتز المرأة بأنوثتها ، ويدرك الإثنان تقديرهما المتبادل .

الاختلاف بين الجنسين هو عطية إلهية صالحة ، إذ يقول الكتاب : « ذكراً وأنثى خلقهم... ورأى الله كل ماعمله فإذا هو حسن جداً »(تك ١ : ٢٧ ، ٣١) . هذا الاختلاف لايقوم على المستوى البيولوجى البحت لكنه أيضاً يقوم على مستوى سيكلوجى واجتماعى وروحى ، فيكمل أحدهما الآخر فى كل الجوانب[١] .

هذا ما دفع البعض إلى رفض تعبير « الجنس المضاد the opposite sex » عند التعبير عن الجنس الثانى أثناء الحديث عن جنس ما ، حاسبين ذلك تعبيراً مغلوطاً misnomer . إنهم يفضلون تعبير « الجنس الآخر the other sex » أو « الجنس المكمل complementry sex » ، كل منهما يجد فى الآخر مايملأ احتياجاته مادامافى الرب ، فيصيرا جسداً متكاملاً . لذا « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بأمرأته » (مت ١٩ : ٤ ، ٥ ؛ أف ٥ : ٣١) .

https://coptic-treasures.com/

لكى يعتز الإنسان بجنسه وفى نفس الوقت يقدِّر الجنس الآخر ويحترمه ، يليق به أن يتعرف على مفهوم الرجولة والأنوثة ، فالمراهقون الذكور يلزمهم أن يدركوا ماهى الرجولة وأيضاً ما هى الأنوثة وهكذا بالنسبة للإناث ، حتى ينمو الكل فى طريق النضوج دون انحراف ، مدركاً الجنس الآخر فى نضوجه السليم . يرى البعض أن سرّ الانحرافات الجنسية بكل صورها وسر فشل الحياة الزوجية أن كثيراً من الأزواج ليسوا رجالاً (ليس بالمفهوم البيولوجى) ولا الزوجات نساءً ، إذ لايعرف الأزواج ما تعنيه الرجولة فى الحياة الزوجية ولا النساء ما تعنيه الأنوثة ، كما لايعرف كل جنس ما يطلبه الجنس الآخر منه .

الرجولة فى الحياة الزوجية

١ ــ غالباً ما تعنى « الرجولة » فى ذهن الرجال « القيادة » بمفهومها الدكتاتورى العنيف ، أى اعطاء أوامر واصدار قرارات نهائية .

يؤكد الكتاب المقدس أن « الرجل رأس المرأة » (أف ٥ : ، فماذا تعنى الرأس ؟ .

الرجل هو الرأس الذى يكرِّس كل طاقاته وامكانياته لخدمة الجسد ، لأجل سلامته وبنيانه ونموه المستمر . الرجولة هى القيادة الحكيمة الملتزمة التى تنحنى لتحمل المسئولية لا لتنتشاخ بروح العجرفة والسيطرة . الرأس الذى فى واقعه لايوجد بدون الجسد ، يحمل مسئولية الجسد ، لا لتقديم الاحتياجات المادية للأسرة فحسب ، ولا لتقديم العاطفة المُشبعة لقلب الأسرة حناناً ، وإنما أولا هى عطاء النفس self-giving ، فيهب الإنسان نفسه للغير فى الرب بفرح وبهجة قلب. بهذا تتحول الرجولة أو قل القيادة إلى حب باذل مِعْطاء لا إلى تقديم خدمات أو منح مادية أو عاطفية .

الرأس لا يعنى السلطة والحق فى اصدار قرارات نهائية[٣] ، بل بالحرى قبول مسئوليات ، قيادة حب وبذل كالرأس السيد المسيح الذى أعطانا ذاته ، باذلاً حياته من أجل عروسه .

https://coptic-treasures.com/

الرجل رأس الأسرة ، الذى يجاهد من أجلها لا ليكون طاغية ودكتاتوراً ، وإنما باذلاً حياته بفرح .

القيادة الحكيمة فى الرب ، هى التى تحمل نظرة مستقبلية مملوءة رجاء[٤] ، تعكس على الأسرة كلها روح الفرح والبهجة . كثيرون يظنون أن الأم . بما وُهبت من عاطفة أمومة ورقة الأنوثة . هى المسئولة الأولى عن سعادة الأسرة وبهجتها . هذا حق ، لكن الرجل كقائد حقيقى له دوره الفعّال أن يبث روح الرجاء والثقة والطمأنينة فى حياة الزوجة ، والتى بدورها تترجم هذا كله إلى حنان ورقة تملأ البيت فرحاً .

هذا المفهوم للقيادة الملتزمة واهبة الفرح تؤكده الوصية ، فى الطقس القبطى الموجهة للعريس ، إذ جاء فيها : (يجب عليك أيها الابن المبارك ... المؤيد بنعمة الروح القدس أن تتسلم زوجتك فى هذه الساعة المباركة بنية خالصة ونفس طاهرة وقلب سليم ، وأن تجتهد فيما يعود لصالحها ، وتكون حنوناً عليها ، وتسرع إلى مايسر قلبها [٥]) .

٢ ــ يعزو بعض الأزواج بؤس الحياة الزوجية إلى عدم تجاوب الزوجات معهن جسدياً ، بالرغم مما يقدمونه من حب مترجم خلال التعب والجهاد لتحقيق حياة متيسرة لهن ، هؤلاء لايدركون أن الزوجة لن تسلم جسدها بالحب لزوجها إلا إذا شعرت أنه يحميه ويحمى كل حياتها بالبذل والحب [٦] ، إنا تريده قائداً مملوءاً حباً ، ملتزماً وعاملاً .

تنصب شكوى الكثيرات من النساء اللواتى يطلبن الانفصال أو الطلاق فى شعورهن أنهن بلا أزواج ، ليس لهن رجالاً يثقن فيهم ويعتمدون عليهم . فالزوجة تطلب الشعور بالطمأنينة والثقة ، تستمد قوتهامنه كعمود حتّى تتكىء عليه فى الرب .

لسنا نجهل أن بعض الزوجات يشتكين من ذلك ، لكنهن فى نفس الوقت لايرون ذلك ، إذ يصارعن مع أزواجهن على انتزاع المسئولية والقيادة بروح الغطرسة، دون ترك الفرصة للأزواج للقيادة بروح البذل . الزوجة قادرة أن تقيم

https://coptic-treasures.com/

هذه الثقة الكاملة فى زوجها عندما تمارس دورها بحق كامرأة ، تعطيه فرصة تحمل المسئولية [٧] .

الأنوثة والحياة الزوجية

١ ــ إن كان الزوج يمثل « الرأس » الذى لايمكن فصله عن الجسد ، هو فى عوزٍ إلى الجسد كما أن الجسد فى عوزٍ إليه ، هكذا الزوجة هى « قلب » الأسرة ، « كل القلب » . الأسرة فى عوز إلى الرأس المدبر بروح يتحمل المسئولية والبذل، كما تحتاج على نفس المستوى إلى القلب الذى يحتضن الكل . الزوجة تحتاج إلى رجلها لتثق فيه خلال بذله ذاته لأجلها ، تحتاج لا عن عجز أو ضعف إنما لتعاونه فيما هو محتاج إليه ، إذ تقدم له « الحب » . كأن الاحتياج متنوع ومتكامل ومشترك .

٢ ــ كما يُساء فهم الرجولة إذ يصورونها وكأنها « تسلط » ، هكذا أيضاً يُساء أحياناً فهم الخضوع بالنسبة للزوجة ، فيحسبها البعض إذلالاً ومهانة . لهذا أوضح الرسول بولس أن الخضوع هنا « مجيد » إذ يحمل صورة خضوع الكنيسة للسيد المسيح الذى أسلم نفسه لأجلها كى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة (أف ٥ : ٢٥، ٢٦) . فالزوجة التى تشعر فى رجلها أنه يبذل نفسه لأجلها ، ترد له الحب بالحب ، وتقابل ثقل مسئولياته بخضوع المحبة .

ما أروع كلمات القديس يوحنا الذهبى الفم فى هذا الشأن [٨] :

(« أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق فى الرب » (كو ٣ : ١٨) ... لم يقل « اخضعن من أجل الرب » بل قال : « فى الرب » ، بقوله هذا يزينهن لايزين رجالهن .

لم يقل أن يطيعونهم طاعة السادة ، ولا طاعة بحسب الطبيعة فقط ، وإنما طاعة « فى الرب » ...

المحبة من اختصاص الرجال ، وأما الخضوع فمن اختصاص النساء . فاذا قدّم كل إنسان ما يلتزم به تثبت كل الأمور . فالرجل بحبه للمرأة تصير هى مُحبة له، والمرأة بطاعتها للرجل يصير وديعاً نحوها .

https://coptic-treasures.com/

لا تنتفخى لأن الرجل يحبك ... لقد جعله الله يحبك لكى تطيعيه فى خضوع بسهولة . لا تخافى من خضوعك ، لأن الخضوع للمحب ليس فيه صعوبة...).

(لكى لا يحتقر الزوج الزوجة أنظر كيف كرَّمها وضمها إليه بالإتحاد معه...

ولكى لا تتكبر عليه إذ أعطاها له معينة ، صنعها من جنبه ، مظهراً أنها جزء من جسده) .

٣ ــ عندما تحدثنا عن « الجنس » قلنا أن العالم وهو يسير بخطوات نحو تقديم الكثير من الحقوق للمرأة فى مجالات كثيرة ، إذا بوسائل الإعلان أحياناً تشوه عالم « المرأة » ، فتستخدم جمالها الجسدى وسيلة للدعاية والاعلانات ، الأمر الذى يبث فى ذهن بعض المراهقين أن المرأة فى جوهرها جنس بحت ، يحسبونها دُمية أو ألعوبة وجُدت لمتعة الرجل ؛ بهذا لايتطلعون إليها كإنسان لها شخصها الكامل fully human person . يتطلع البعض أيضاً إليها مجرد أداة للإنجاب Children producing machine .

من الجانب الآخر كثير من النساء ، خاصة الأمهات ــ يشوهن صورة الرجل أو الشاب فى أذهان بناتهن[٩] ، إذ يصورن لهن الرجال كأناس لامطلب لهم سوى الجنس وبطريقة منحرفة ، الأمر الذى يجعل بعض الفتيات تنشأن على كراهية الرجل وعدم الثقة فيه حتى بالنسبة للأزواج .

خلال خبرة الطفولة الخاطئة تظن بعض الفتيات أن الرجال بطبعهم فاسدون جسدياً ؛ تظن الفتاة أن كل مايطلبه منها رجلها هو جسدها ، فتقدمه له كعطاء من جانبها أو هبة تمنحها له ، الأمر الذى يحطم العلاقات الزوجية .

بعض الأمهات يشوهن جنسهن فى نظر بناتهن ، فيمتلئن احساساً بالنقص ويحزنَّ لأنهن وُلدن إناثاً [١٠] . يليق بالأم أن توضح لبناتها عملياً أن الأسرة فى حاجة إلى الرأس الواحد (الرجل) والقلب الواحد (المرأة) ، كل منهما يكمل الآخر ، ويحقق وجود الآخر . فالمرأة تصير امرأة بالمعنى الكامل للأنوثة خلال الرجل ، لأنها إذ تعطيه لا جسدها فحسب بل نفسها her self ، تعطيه كل القلب فى الرب ، فتحقق لنفسها صدق أنوثتها التى تشبعها فى الداخل . بالحب

https://coptic-treasures.com/

تصير هى نفسها هو ، ويصير الاثنان واحداً ، فتحقق كيانها كامرأة . حتى بالنسبة للبتول أو الراهبة ، فإنها إذ تختبر الحب الروحى والبذل من أجل عريسها تحقق أنوثتها الروحية وعذوبة الحب الكامل المسكوب فى العريس .

ليت الجميع يدرك صنع الله الصالح الذى وهبنا أن نوجد ذكوراً وإناثاً لنحقق الحياة الانسانية المتكاملة دون انحراف ، فإن عدم ادراكنا للرجولة والأنوثة يفسد الحياة الزوجية كما يسبب إنحرافات أخلاقية نتحدث عنها بمشيئة الرب تحت عنوان : « الانحرافات الجنسية » .

---

(1) Erwin J. Kolb : Parents' guide to Christian conversation about sex, Concordia Publishing House, St. Louis 1967, 14.

(2) Ibid.

(3) Joseph & Lois Bird : The freedom of sexual love, Image borks, 1967, p. 63.

(4) Ibid p. 65.

(5) The Coptic Offices, the mystery of marriage.

(6) Bird, p. 64.

(7) Ibid 145.

(8) F.R. Malaty : The brotherly love, 1964, p. 258-259 (in Arabic).

(9) Bird, p 71.

(10) Ibid, p. 78.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

١٠
العفة للإنجيلية و الشباب المعاصر

١ ــ هل يمكن للشاب المعاصر أن يحيا عفيفاً حسبما يطالبنا الإنجيل ؟ أو بمعنى آخر : هل وصية العفة التى قُدمت فى القرن الأول لاتزال تناسب شباب القرن العشرين ؟ هل هى وصية تناسب الجميع أم تخص فئة معينة ؟ .

٢ ــ ما هى نظرة مسيحنا للطهارة والعفة ؟ .

٣ ــ هل يطلب مسيحنا حرمان الشباب من ضروريات الحياة الجسدية ؟ .

+ + +

وصية مستحيلة وعذبة

وصية الإنجيل الخاصة بالعفة تبدو مستحيلة ، بينما يراها البعض عذبة وممتعة ، فهل هى وصية خاصة بجماعة معينة وليست للجميع ؟ .

منذ سنوات قليلة فى جلسة ودّية إذ كان أحد الأساقفة من الشباب يجلس مع بعض المسئولين ، تطرق الحديث إلى الأسقف وشروطه ، فذهل البعض عندما سمع أن الأسقف يُختار من بين الرهبان وأنه يعيش بتولاً كل أيام حياته ... وكان السؤال : هل يمكن لإنسان أن يعيش كل حياته بلا زواج ؟ .

هذا منطق الكثيرين فى العصر الحاضر أنه يستحيل على الإنسان أن يعيش دون علاقات جسدية وعاطفية مع الجنس الآخر ، فهذه جميعها فى نظرهم أمراً طبيعياً لا تختلف عن بقية التزامات الجسد مثل الأكل والشرب والنوم والاستحمام... إنها ضرورة من أجلها يوجد الزواج .

أذكر منذ سنوات بعد نهاية اجتماع للشباب فى كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج جاءنى شاب يعترف لأول مرة فى حياته ، فى اعترافه قال : « هل تظن أنه يوجد شاب عفيف بين كل هؤلاء الشباب (وكانوا حوالى ٥٠٠ شاباً) ؟

https://coptic-treasures.com/

يستحيل يوجد شاب واحد طاهر ! إن أردت تجدهم بعد الاجتماع يقضون الليل فى أماكن الدنس ... » . هكذا كان هؤلاء الشبان فى نظره يقومون بدور تمثيلى ، يحضرون الاجتماع كما لقوم عادة لتهدئة ضمائرهم ، لكنهم يخرجون من الكنيسة ليمارسوا العلاقات الخاطئة كأمر طبيعى حتمى فى حياة الإنسان . مرت أسابيع قليلة ثم عاد إلىّ الشاب بعينه يعترف ، وكان من بين كلماته لى : «إنى أتعجب كيف كنت أعيش فى الوحل . يُهيأ لى أنه لايستطيع أحد أن يعيش فى العلاقات الجسدية الخاطئة كثيراً ، لأنها « مقرفة » ! إنى أظن الآن أنه لايوجد فعلاً بين هذا الشباب من يلقى بنفسه فى هذا الوحل » .

من هذه القصة الواقعية التى تتكرر كثيراً نكتشف أن الانسان عند سقوطه يرى السقوط أمراً حتمياً طبيعياً ، ويظن أن الكل يشاركونه هذا الضعف الناجم عن الطبيعة الإنسانية وظروف العصر . وعندما يختبر الإنسان ذاته العفة فى عذوبتها يجدها ممتعة ومبهجة للنفس ، فيأنف من الدنس ويحسب العفة هى قانون طبيعة الإنسان الحىّ .

لانعجب إذن إن رأينا تحت ضغط الضعف الإنسانى أكثر من مليون فتاة من الصف الثانوى بأمريكا يحملن كل سنة ، وكما يقول دكتور دوبسون إن كثيرات منهن اضطررن إلى ترك الدراسة أو فقدن تفوقهن الدراسى والعلمى . وأن تُعتبر العلاقات الجنسية قبل الزواج فى نظر الغالبية أمراً حتمياً ، حتى أن من لايمارس هذه العلاقات يُتهم أحياناً بالشذوذ الجنسى أو العجز الجنسى أو بالطفولة التى بلا خبرة ...

تحت مثل هذه الظروف هل يستطيع الإنسان المعاصر ــ خاصة فى البلاد الغربية ــ أن يعيش عفيفاً ؟ .

لايمكننا أن ننكر أن العفة التى يقدمها الإنجيل المقدس تبدو صعبة بل ومستحيلة فى نظر الشباب المعاصر ، إذ نجد الوصية صريحة : « كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » (مت ٥ : ٢٨) ، بينما منطق الكثيرين أنه أمر طبيعى أن يمارس الإنسان العلاقات ذاتها قبل الزواج ! هذه الوصية المستحيلة

https://coptic-treasures.com/

ـ فى نظر الكثيرين ـ تصير طبيعية بل وعذبة فى حياة المؤمن إن أدرك الحقائق التالية :

(ا) مفهوم العفة فى المسيحية .
(ب) الله واهب العفة .
(جـ) امكانيات الإنسان الجديد .
(د) ارتفاع القلب إلى السماويات .
(هـ) الوقاية المستمرة من السقوط .

\+ + +

(ا) مفهوم العفة فى المسيحية [1]

١ ـ عفة النضوج لا العجز !

١ ـ يميز القديس أغسطينوس بين عفة الشاب الناضج المجاهد وطهارة الطفل العاجز . فالشاب يجاهد ويصارع من أجل العفة ، قد يسقط ليقوم ، قد يُجرح فى جهاده الروحى لكنه لا ييأس قط ؛ فكل جهاد حتى وإن صحبه أحياناً سقوط فهو علامة نضوج وحيوية وحب .

للأسف كثير من الشباب ييأس عند أول ضعف أو سقوط ، حاسبين أن العفة أمر مستحيل ؛ خلال اليأس ينهار من سقوط إلى سقوط ، ليخسر المعركة الروحية تماماً .

سبق أن رأينا الغريزة الجنسية كطاقة قوية يثيرها البعض ويلهبها فى اتجاه مضاد لعملها . كما يمكنه كبتها إلى حين حتى يفلت الزمام فتحطمه ، أما أولاد الله فبالروح القدس يعلون بها ويرتفعون لبنيانهم الروحى . لكن كثيرين يحسبون أن بعملية اعلاء الغريزة للحب بالعمل والبذل الحقيقى بروح الرب لايعود الإنسان يتعرض لحرب الفكر أو النظر ... الحق يا عزيزى أن الروح القدس يهب شبعاً للنفس بكل طاقاتها والجسد بغرائزه حتى يفيض الإنسان على الغير بالحب الطاهر بلا دنس ، يود الإنسان أن يموت من أجل جميع اخوته واخواته لا ليشبع غرائزه ولا بقصد البلوغ إلى لذة جسدية ، بل بحب بلا حدود بلا تمييز ما استطاع ...

https://coptic-treasures.com/

لكن الروح القدس لاينزع عن المؤمن الحرب مع الفكر الشرير حتى لا يُحرم من التمتع بالنصرة والغلبة ليصير له إكليل أبدى .

فمن حق الجسد أن يهاجم بشهواته ، وبامكانية الروح تُمتص هذه الثورة وتستوعب وتُصبغ بالصبغة الجديدة وتُوجَّه لطاقات حب وبذل غير محدودين ، فينطلق الشاب بنفس القوة الأولى وبنفس الثورة الأولى فى طاقة أعظم وأقوى بصورة جديدة وتتعدى حدود الجسد ، تنطلق بكل الكيان الداخلى والخارجى للصلاة والخدمة والدراسة والأمانة فى الحياة .

الروح الإلهى يصيّر عينك بسيطة ، فيكون جسدك كله نيّراً ، فإن تعرضت العين لمنظر ما لايسترخى الجسد بطاقاته تائقاً التمرغ فى وحل اللذة الجسدية ، بل يقوم الروح بالستر على العين فيطلب الإنسان أن يستر الله عليه ، وعلى صاحب المنظر ليكونا مقدسين فى الرب .

هذه هى عفة النضوج ، حيث لا تعود إلى عفة الطفولة الطبيعية التى لاتخطىء جنسياً بالطبيعة البشرية ، بل تتقبل حياة الطفولة البريئة الناضجة خلال عمل الروح القدس المقترن بالصليب ،كسكين يبتر فينا ما هو ليس حق أو ليس عفة واهباً لنا قدرة للحرب والجهاد .

عفة الرجولة الروحية هذه ، فيها يحارب المؤمن بالصليب فلا يجد فى الأفكار المهاجمة فرصلا للاستكانة بل غنيمة يقتنيها ، خلالها يُنقل المؤمن ويرتقى من فصل إلى فصل أعلى ، لينال بركات روحية أسمى عندما يصمد فى الحرب بأمانة حتى وإن جرح خلالها ببعض الجراحات .

قد تتعرض يا عزيزى لما حدث مع يوسف الشاب ، حين قُدمت له الخطية فى أخدع صورها ... سيدته الآمرة الناهية تجبره وتتوسل إليه وتضغط عليه وهو بلامعين ، ليس له أهل ولا كنيسة ولا كتاب مقدس ولا مرشد ... لكن الرب الذى يسنده ستر على عينيه فرأى الفرصة سانحة للنصرة والغلبة بالله القدير .

إذن .فالطفل الصغير أو الشاب العاجز جنسياً لايعتبر فى حياته عفيفاً بالمعنى الصحيح للعفة لمجرد أمتناعه عن الممارسة الجنسية إنما عفته هى عفة العجز

https://coptic-treasures.com/

لاالجهاد . أما الشاب (أو الشابة) الذى يصارع فى جهاده ليتقبل حب الله فيه ويتفاعل معه ، فإنه وإن سقط ، لكن سقوطه ليس دليل نجاسته أو عدم طهارته . فالعفة لا تكمن فى مجرد عدم السقوط بل فى حب الله وكراهية الخطية وجهاده ضدها حتى الدم .

الصديق يسقط سبع مرات ويقوم ... لا عن استهتار أو بلادة ، ولكن فى حرب وجهاد مع صلوات مستمرة واشتياق للعفة .

فالشاب الذى وهبت له غرائز ، يحاربه الإنسان العتيق ــ شهوات الجسد ــ وتحاربه مغريات العالم ويصارع مع شيطان الزنا ... هذا الشاب المسكين إن تسلح بنعمة الله وجاهد فى صلوات واعترافات وتناول من الأسرار المقدسة ... حتى وإن هاجمه الفكر مرة ومرات ، وإن سقط ، طالما فى ألم وحزن وصراخ وتأوهات ، بغير استسلام أو يأس ، ولا فى استهتار أو تراخ ... بل فى حزم مع نفسه وطلب النعمة يجاهد ... مثل هذا الشاب يكلل باكليل العفة ... عفة الجهاد والغلبة لا العجز .

٢ ــ العفة ... حب وشبع !

يليق بنا أن نميز بين العفة فى مفهومها الإيجابى عنها فى المفهوم السلبى .

يظن البعض أن العفة مجرد امتناع عن الزنا ، أو عدم ممارسة لبعض العادات والممارسات المنحرفة المثيرة للشهوة أو للذة الجنسية أو هى مجرد قمع للعين عن أن تنظر ، أو لبقية الحواس كى لا تتفاعل مع أحاسيس عاطفية جنسية ؛ أو هى مجرد هروب من أماكن أو أشخاص أو أوضاع مثيرة ، أو عدم انشغال الفكر والقلب بالعواطف والأحاسيس والأفكار الخاصة بالجنس . هذه كلها نواحٍ سلبية للعفة ، من يقف عندها عبثاً يتخبط فى اقتنائها ، بل تصير العفة بالنسبة له جبلاً شامخاً لا تعلو عليه رجل إنسان ، أو هى حياة من وحى الخيال لايسلكها ولا يتذوقها إنسان ما .

هذه المفاهيم السلبية حطمت كثيرين فى جهادهم ، وأفقدتهم تذوق العفة وعذوبتها .

أما العفة من الجانب الإيجابى فهى امكانية داخلية ، هبة الله للإنسان ؛ بمعنى

https://coptic-treasures.com/

أنها التصاق الله بالإنسان ، حب وعشق له ، ليغتنى القلب بالحب ، وتمتلىء النفس من دسم نعمته ، فيفيض بالحب على الغير ليعطى بفرح دون أن يطلب مالذاته . العفة ليست كبتا واغلاقاً على العواطف والأحاسيس والغرائز ، إنما هى شبع وفيض ، هى انطلاقة قوية بهذه جميعها فى موضعها السليم واتجاهها الحقيقى .

يميز المؤمن بين العفة المسيحية الإيجابية التى هى عملية إيجابية فيها يكون الإنسان حذراً لكن بلا اشمئزاز من الجنس ، أما الكبت فهو عملية سلبية ، هروب من الواقع ، تسوده مركزية الأنا بطريقة متسترة .

العفة المسيحية ليست شكلاً من التابو Tabou أى من التحريم الخرافى الذى يفقد الإنسان بهجته وسلامه إنما هى انطلاق بالحب المفرح للنفس . العفة هى موقف لايمس الجانب الجنسى وحده ، إنما هو موقف للكيان الإنسانى كله ، فيه يتجه الإنسان نحو الشركة والعطاء ، كما أكد **القديس أكليمندس الاسكندرى** .

(ب) الله واهب العفة

عاش أغسطينوس عشرات السنين يتمرغ فى الخطية ، وكان يظن أن الطهارة أمر مستحيل ، لكنه إذ سمع عن القديس أنطونيوس القبطى رجع إلى نفسه وأدرك أن الله قادر أن يهب العفة . لقد وجد فى السيد المسيح ــ كلمة الله ــ خبزه وماءه (يو ٦ : ٣٥) ، راعيه وحياته (يو ١٠ : ١١ ؛ ١١ : ٢٥) ، صديقه وعريس نفسه المشبع لكل فراغه الداخلى . انطلق اليه يصارحه بكل ما فى قلبه مشتكيا نفسه لأنه أفسد عطايا الله الصالحة ... فمن كلماته :

(إلهى ... إن كان بدونك لم يُخلق شىء ، فإنه بالبعد عنك نصير بالخطية عدماً (فاسدين) !! .

يا لشقاوتى ! ... لقد سادت علىّ الظلمة ؛ ومع أنك أنت النور إلا أننى حجبت وجهى عنك !! .

يا لشقائى ! ... لقد أصابتنى جراحات كثيرة ومع أنك أنت المعزى واهب السلام غير أننى ابتعدت عنك !! .

https://coptic-treasures.com/

يا لشقائى ... لقد انتابتنى حماقات جمة ، ومع أنك أنت هو الحق ، غير أننى لم أطلب المشورة منك !! .

يا لشقائى ... لقد تعددت طرق ضلالى ، ومع أنك أنت هو الطريق ، إلا أننى أبتعدت عنك !! .

يا لشقائى ... فالموت يحطمنى بضربات كثيرة ، ومع أنك أنت الحياة ، لكننى لم أكن معك أبداً !! .

يا لشقائى ... فإننى أسقط فى الشر والعدم كثيراً ، ومع أنك أنت هو الكلمة الذى به كان كل شىء إلا أننى انفصلت عنك ، يا من بدونك لم يكن لى وجود[٢]) .

مسكين هو الانسان ، فإن شهوة الجسد تسحبه تحت أى ستار ، تستعبده فينسى كرامته ونموه وخلوده من أجل لذة مؤقتة ، يعلم تماماً انها لاتُشبع أعماقه ، تصيره تراباً (تك ٣ : ١٩) ، لذا جاء السيد المسيح السماوى ليجتذبه إليه ويقيمه سماءً ، يجعل منه مقدساً للروح القدس ، ويقيم فى داخله ملكوت فرحه السماوى .

بلسان البشرية العاجزة يصرخ الرسول بولس : « ويحى أنا الإنسان الشقى » (رو ٧ : ٢٤) ، إذ يشعر ما للأرضيات والشهوات الجسدية من جاذبية ، تستعبد الإنسان فينحنى أمامها ممارساً ما لايقبله بفكره وعقله . لذا يقول : « لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فإياه أفعل ... أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى » (رو ٧ : ١٥ ، ٢٤) . حقاً إن للشهوة سلطانها ، خلالها يرتكب الإنسان ما لايستريح له فكره ، ويأنف من أن يراه أحد أو حتى يذكر العمل فى ذهنه ! هذا ما دفع مسيحنا أن ينزل إلى عالمنا ويحمل طبيعتنا ليرتفع بنا كما مع تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل تابور . هناك ننعم ببهائه ومجده ، فيصغر العالم جداً فى أعيننا ، وتنفتح قلوبنا بالحب نحو ذاك الذى يسحبنا إلى مجده بروحه القدوس ، فنقول مع القديس بطرس : « جيد يارب أن نكون ههنا » (مر ٩ : ٥) .

https://coptic-treasures.com/

نحن لا ننكر ما للشهوة من سلطان لكننا نؤمن بمسيحنا الحيّ واهب السلطان لنعيش بالحقيقة أحراراً (يو ٨ : ٣٦) ، يقيمنا ملوكا وكهنة لله (رؤ ١ : ٦) ، فيرد لإنسانيتنا كرامتها ، ويهب إرادتنا قوته ، ويجعل من أرضنا سماءً ، فندخل ملكوت فرحه عربونا للأبدية ... بهذا نحيا به مقدسين كما أنه قدوس .

(جـ) إمكانيات الإنسان الجديد

فى وسط حرّ الظهيرة الشديد دخل عجوز سكير إلى حانة فى فندق قديم بإحدى جزر البحر الجنوبى South Sea Islands ،وبدأ يسأل رجال الحانة ليشترى كأس خمر ، فرفض الجميع . أخيراً ، من باب السخرية ، قال له شاب بحّار : « أبيعك كأس خمر أيها العجوز إن عدت إلى المائدة ، وانحنيت بيديك وركبتيك على الأرض ، ومشيت كالكلب نحو البار ، وعويت تطلب أن تشرب [٣] » . تحت ضغط الرغبة فى السكر قبل الشيخ أن يقوم بهذا الدور الهزلى وسط سخرية الحاضرين ، فانحط بإنسانيته ليمارس تحركات وصوت حيوان من أجل كأس خمر ! لعلها صورة مؤلمة للإنسان متى استعبدته شهوة .

يروى لنا التاريخ عن أنطونيو الجبار الذى نسى كرامته ولم يفكر فى عرشه ولا شعبه وانطلق وراء محبوبته كليوباترا الجميلة الهاربة يلاحقها ، فلم يستحوذ عليها ، وفقد كل شىء .

تكررت القصة مع الفنان الشهير فان جوخ الذى تعلق بإحدى فتيات الملاهى ، سحرته بجمالها حتى ذاب كيانه فى فتنتها الطاغية ، فأسرف فى عواطفه وماله حتى قطع إحدى أذنيه ليهديها إليها كطلبها ، ثم دخل مستشفى الأمراض العقلية لتنتهى حياته بالانتحار عام ١٨٩٠ [٤] .

هذه حالات تبدو مجسمة وفردية لكنها تصور لنا بؤس الإنسان حين تسحبه شهوة الجسد أو تذله محبة الأرضيات ، فيفقد كرامته ونموه وأحياناً حياته .

منذ عشرة سنوات كتب فيليب كيين Philip Keane عن التزايد المستمر فى ممارسة العلاقات الجنسية قبل الزواج وخارج حدود الزواج بصورة رهيبة ، إذ قال :

(يوجد رأى منتشر بصورة واسعة أن نسبة العلاقات الجنسية قبل الزواج والتى

https://coptic-treasures.com/

تتعدى الزواج تتزايد بصورة ضخمة فى السنوات العشرة الأخيرة أو نحو ذلك . القصص الخاصة بحرم الجامعات وحفلات مقايضة الزوجات الخ ... تعزز هذا الرأى . الإحصائيات التى بين أيدينا تظهر أن نسبة العلاقات ما قبل الزواج فى الولايات المتحدة ترتفع تدريجياً خلال هذا القرن خاصة فى السنوات الأخيرة . التغير الكبير فى ممارسة العلاقات الجنسية ما قبل الزواج فى الولايات المتحدة فى هذا القرن شملت النساء ، بسبب ارتفاع نسبة الذكور الأمريكان فى القرن العشرين فى ممارستهم للعلاقات الجنسية قبل الزواج (فى أغلب الأبحاث تقدر مابين ٨٠، ٩٠ فى المئة) . من بين النساء الأمريكيات اللواتى ولدن قبل سنة ١٩٠٠ لم يمَارس العلاقات قبل الزواج سوى ١٤٪ منهن . اللواتى ولدن حوالى سنة ١٩٢٥ مارس العلاقات حوالى ٣٦٪ ، من بين هؤلاء النساء اللواتى ولدن أثناء الحرب العالمية الثانية يوجد ٦٥٪ منهن مارس هذه العلاقات ، وقد بلغ الرقم ٨١٪ بين الفتيات الصغيرات فى السن .

أحد الجوانب التى تلفت النظر أن عدد النساء اللواتى يمارسن العلاقات ماقبل الزواج صار إلى حد ما يماثل ذات عدد الرجال الذين يمارسون ذات الفعل ، هذا يعنى أن هذه العلاقات الجنسية ما قبل الزواج بدت أكثر قبولاً كأمور شخصية أكثر مما كان عليه الأمر فى بداية هذا القرن ، عندما كان الرجال يمارسون هذه العلاقات مع عدد أقل من النساء اللواتى يمكنهم الحصول عليهن ، غالباً مايكن من الداعرات ...

أما بالنسبة للعلاقات خارج الزواج فمن الصعوبة تقديم صورة كاملة عنها ، لأن الاحصائيات الخاصة بها لايمكن الحصول عليها بنفس الامكانية الخاصة بالعلاقات ما قبل الزواج ...

بحسب إحصائيات Kinsey هذه العلاقات تصل إلى ٥٠٪ بين الرجال و ٢٦٪ بين النساء ، وقد لاحظ أن بين المتدينين الورعين النسبة أقل بكثير جداً من ذلك[٥]) .

هذه الصورة التى قدمت إلينا ربما تدفع الإنسان إلى اليأس ، لكن المؤمن يدرك الامكانيات الجديدة التى أعطيت له ليمارس العفة بفرح ومتعة .

https://coptic-treasures.com/

يؤكد لنا السيد المسيح أن من يرتبط بالفكر الجسدانى يصير بكل حياته جسدانياً ، أما المولود من الروح ، ويرتبط قلبه وفكره بالروحيات فيصير إنساناً روحانياً (يو ٣ : ٦) . إنه يحمل جسداً لايختلف عن أجساد بقية البشر ، له غرائزه الطبيعية واحتياجاته واشتياقاته ، لكنه إذ قبل الولادة الجديدة فى مياه المعمودية وتجاوب مع روح الله القدوس الساكن فيه يصير كأنه بكليته روح ، فيتناغم الجسد مع النفس ، ليتجاوب الإنسان كله مع الرأس يسوع المسيح ، يحمل فكر المسيح وأحاسيسه ومشاعره . هذا هو الإنسان الجديد (أف ٢ : ١٥ ؛ ٤ : ٢٤) ، « الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كو ٣ : ١٠) ، يتجدد يوماً فيوماً (٢ كو ٤ : ١٦) .

استحالة تنفيذ وصية العفة تنبع عن تجاهلنا للإمكانيات الإلهية الموهوبة لنا . فالرسول بولس الذى كان يصرخ ويئن من جسده المائت (رو ٧ : ٢٤) المقاوم بشهواته ضد اشتياقات الروح (غل ٥ : ١٧) ، إذ أدرك العطايا الإلهية ، تمتع بالحياة الجديدة المقامة فى المسيح ، مقدماً لنا خبرته الواقعية : « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » (فى ٤ : ١٣) .

يميز الرسول بولس بين الإنسان الجسدانى ، الذى يترك عجلة القيادة فى يدى شهوات الجسد لتحرك كل غرائزه وأفكاره حتى نفسه تنحنى لها فى مذلة واستكانة . والإنسان الطبيعى الذى يبذل كل الجهد للسمو بنفسه لكن طبيعته تغلبه ، والإنسان الروحى الذى يختفى بالإيمان فى السيد المسيح ليعمل الرب بروحه فيه فيفرح ويتهلل بالغلبة والنصرة .

عزيزى الشاب ، ليتك عوض التطلع إلى الخطايا والشهوات بما تحمله من ثقل على النفس ، ركِّز نظرك على إمكانيات الله التى وُهبت لك فتمتلىء رجاءً . وكما قال أحد آباء البرية للقديس يوحنا كاسيان بأنه عوض الجلوس بجوار الأماكن النتنة ، نتنسَّم رائحة المسيح الذكية [٦] .

(د) ارتفاع القلب إلى السمويات

قلنا أن الحياة المسيحية لا تعرف العفة بالمفهوم السلبى ، إذ لاتقبل الحرمان

https://coptic-treasures.com/

والكبت ، وإنما تسمو بالإنسان ليطلب السمويات فتعوف النفس الأمور الدنيئة . بمعنى آخر بدلاً من استهلاك طاقتنا فى مقاومة الشهوة الشريرة وتحطيم أذرعنا وجهادنا لنتقبل عمل روح الله فينا الذى وحده يقدر أن يرفع الإنسان كما بجناحى حمامة لينطلق من قوة إلى قوة (مز ٨٤:٨) ، ويرتفع من مجد إلى مجد (٢ كو ٣:١٨) ، ويتمتع بنعمة فوق نعمة (يو ١ : ١٦) . هكذا تنشغل كل طاقات الإنسان الداخلية بالمجد السماوى الداخلى (مز ٤٥ : ١٣) ، لتنعم بخبرات سماوية جديدة كل يوم تسندها وتقدسها عوض الارتباك بمتاعب الشهوة المحطِّمة للنفس.

لايكفى أن نرفض حركات الجسد ولا أن تعصى أعضاء جسدنا شهوة الجسد، لكن يليق بالأكثر أن تنطلق النفس إلى اشتياقات سماوية تبتلع كل لذة أرضية جسدانية ، وكما يقول **القديس أغسطينوس** :

+ كيف تموت هذه الحركات إلاّ بعدم موافقة ذهننا لها ، وعدم خضوع أعضاء جسدنا لها كآلات ، وبالأكثر بالتطلع إلى العفة باهتمام شديد ، مرتفعين بفكرنا ذاته ــ الذى تهاجمه حركات الجسد بطريقة معينة ــ إلى أفكار مبهجة خاصة بالأمور السماوية .

بهذا لا يرتبط البشر بالحركات بل يتحررون منها .

وهذا نبلغه إن كنا نصغى إصغاء « مفيداً » بمساعدة الرب الذى وهبنا وصيته خلال رسوله القائل « اطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس ... » .

القديس أغسطينوس (٧)

من أجل هذا نجد شبابكا بل ورجالاً وشيوخاً حين يسقطون فى شهوة ... أن تضايقت نفوسهم جداً يسقطون فى اليأس أو فى الضجر الممل ، الأمر الذى يزيد من سقوطهم فى الشهوة أكثر ، وقدر ما يحزنون على سقوطهم لايتمتعون بالعفة .

هنا يبرز عمل أب الاعتراف وهو الانطلاق بهؤلاء الناس إلى الجانب الإيجابى السماوى : محبة الله والشركة ، وأن يطمئن قلوبهم أن لله قادر أن ينزع عنهم الحرب .

https://coptic-treasures.com/

يحتاج الساقط من هذا النوع إلى أب مترفق ، وأن يحس بأبوة الله فلا يكف عن الصلاة بغير ضجر أو قنوط ... وسرعان مايجد نعمة الله قد ارتفعت به ونقلته إلى الحب الحقيقى .

أما إن سمع تأنيباً شديداً وقرأ عن بشاعة الخطية وآثارها وارتجف قلبه منها وعقد العزم على تركها ... فإنه سرعان ما ينحط فيها إلى درجات أعمق وأشر وأقسى ...

هكذا عاش آباؤنا الأولون حتى النساك والمتوحدين منهم يملأون قلوب الساقطين بالرجاء ويترفقون بهم ويقدمون لهم الجانب الإيجابى أولاً حتى متى امتلأ القلب بحب الله والسماء صار طاهراً وعفيفاً .

+ عظيم هو ذاك الذى يقهر النار الناشئة عن اللذات الأرضية بواسطة التأمل فى مباهج السماء ! .

+ الإنسان الطاهر هو من يطرد الحب بالحب ، ويخمد النار المادية بالنار الروحية .

+ الإنسان الطاهر ليس من يضبط جسده الترابى ليكون بغير دنس بل ذاك الذى يخضع أعضاءه لروحه تماماً .

القديس يوحنا الدرجى[٨]

+ ليكن عظيماً فى قلبك ذلك الحب الذى يوّحدك بالله ، لئلا يسبيك الحب الذى علّته فاسدة .

القديس يوحنا سابا
(الشيخ الروحانى)

(هـ) الوقاية المستمرة من السقوط[٩]

مادمنا نحمل هذا الجسد ، فإننا معرضون فى أى لحظة لهجوم من حركات الشهوة التى لها هذا الحق دون أن تسيطر علينا اللهم إلاّ بهوانا ورضانا أو لتراخ وتهاون ...

مادمنا فى هذه الحياة لانكون بعد قد بلغنا الكمال . لكن ليس لحركات

https://coptic-treasures.com/

الشهوة قوة فينا بل تزحف لعلها تخدعنا فنقبلها أو تهول لنا شدة الحرب فنستسلم أو تخدعنا مدعية أننا فقدنا عفتنا لمجرد حربها معنا فنيأس .

وكما يقول **القديس أغسطينوس** :

(بالرغم من أنه لايوجد بعد الكمال الذى فيه لاتتصارع العفة مع الرذيلة إنما إلى الآن لايزال « الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد » (غلا٥ : ١٧) ، إنما يكفينا ألاّ نوافق الشرور التى نشعر بها .

لأنها بموافقتنا لها يخرج من فم القلب مايدنس الإنسان . وبرفضنا لها خلال العفة لايضرنا شر شهوة الجسد التى تحارب شهوة الروح .

+ توجد فينا شهوة شريرة ، لكن بعدم موافقتنا لها لانعيش أشراراً .

توجد فينا شهوة الخطية ، وبعدم اطاعتنا لها لا نكمل الشر ، لكن وجودها يعنى أننا لم نكمل الخير بعد .

والشهوات الشريرة تجد لها موضعاً فينا حيث توجد اللذات غير المشروعة ولكننا لا نكمل هذه الشهوات عندما نقاومها بالذهن خادمين ناموس الله (رو ٧ : ٢٥)[١٠] .

فى المعمودية صُلبت شهوة الجسد ، إذ صُلب إنساننا العتيق وصار لنا الإنسان الجديد الذى بطبعه يحب القداسة التى للمسيح ويسلك فيها طبيعياً .

وكما يقول الرسول : « إن إنساننا العتيق قد صُلب ليبطل جسد الخطية كى لانعود نستعبد للخطية » لكن إن خنع الإنسان أو تهاون وقبل حركات الإنسان القديم المصلوب يسقط تحت سلطان شهوة الجسد . لهذا يحذرنا الرسول «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية (أى لا توافقوها) . إذاً لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى لا تطيعوها فى شهواته . ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله (رو ٦ : ١٢ ــ ١٤) .

أيها العزيز . هذا هو إيماننا أننا فعلاً « قد دُفنا معه بالمعمودية للموت عالمين أن إنساننا العتيق قد صُلب ليبطل جسد الخطية كى لانعود نُستعبد أيضاً للخطية » (رو ٦ : ٦) .

https://coptic-treasures.com/

+ يبجل البعض الخصيان بالطبيعة ... لكن أعظم منهم الذين يستشهدون بقطع أفكارهم الشريرة كما بسكين .

القديس يوحنا الدرجى (١١)

+ هذا هو عملنا الحالى مادامت حياتنا تحت النعمة مستترة ، وهو ألاّ نُملِّك الخطية أو شهوة الخطية فى جسدنا ، لكن إن كنا نطيع شهوتها تملك علينا .

لهذا فإن شهوة الخطية فينا لكننا لا نسمح لها أن تملك علينا ، ورغبتها موجودة لكن يلزم ألا نطيعها حتى لا تسيطر علينا .

القديس أغسطينوس (١٢)

---

(١) للمؤلف : الحب : مفهومه ودرجاته ، فصل ٤ « الحب والشهوة » .
: إليك يا أخى الشاب .

(٢) للمؤلف : يا أخى الشاب .

(3) Paulist Press : Young Adult Living, N.Y. 1980, p. 76.

(٤) مجلة اكتوبر بتاريخ ١٧/٥/١٩٨٧ ، مقال : لماذا يفقد الفنانون والنجوم رغبتهم فى الحياة ؟ ، ص ٢٣ .

(5) Philip Keane : Sexual morality, a Catholic perspective, N.Y. 1977, 101-102.

(6) Cassian : Conference.

(7) Continence, p. 60 (in arabic) trans. by Fr. I. Malaty.

(8) The Ladder 15 : 11, 3, 10.

(٩) للمؤلف : الحب : مفهومه ودرجاته ، فصل ٤ « الحب والشهوة » .

(10) Continence 7,8.

(11) The Ladder 15 : 21.

(12) Continence 7.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

١١

تقديس الفكر والحياة الانجيلية

العفة للجميع

العفة ليست قاصرة على فئة دون أخرى ، وليست خاصة بالمتوحدين أو الرهبان الذين فى الدير ... بل يشترك فيها المتزوجون الصالحون والشباب المجاهد ...

هى حياة مقدمة للجميع يمكن أن يتذوقها الشاب المجاهد فى صراعه مع الشهوات فيتلمس يد الله القوية التى تنشله ، ويختبرها المتزوج الصالح ، فيرى ربنا يسوع عريس نفسه الوحيد ، ويرى فى عروسه ليس مجرد أداة لإشباع شهوة جسدية وقتية بل الإناء الطاهر المقدس ، الشريك معه فى الاتحاد بجسد الرب المقدس . ويختبرها الراهب فيسكر بحياة الحب الإلهى .

أولا ـــ الفكر وتقديسه

أننى أرغب فى اقتناء فكر مقدس ، لكننى عبثاً أحاول حتى مجرد التخلص من الأفكار الشريرة الدنسة ، إذ تتسلل فى داخلى أو تنبع من داخلى بغير إرادتى . أحاول التخلص منها فلا أستطيع ، بل تسيطر علىّ فى أثناء نومى وتراخى جسدى بل وأحياناً فى أثناء عملى وفى يقظتى ... فماذا أفعل ؟ .

١ ـــ أول كل شيء ، لا تيأس البتة ، فالأفكار الدنسة لابد أن تجد هوى فى نفسك طالما أنت ساكن فى هذا الجسد . يشتهى الجسد ضد الروح والروح يشتهى ضد الجسد وكلاهما يقاوم أحدهما الآخر (غلا ٥ : ١٧) . ولكن إنسان الله الذى عزم أن يسير فى طريق المسيح لايقبل هذه الأفكار ويستسلم لها بل يطردها فى الحال ولايتفاوض معها بالمرة . هذا معنى قول معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيموثاؤس « أما الشهوات الشبابية فأهرب منها » (٢ تى ٢ : ٢٢) . أسلم الطرق ـــ إذن ـــ هو الهروب . أما إذا استسلمت للفكر ولو إلى دقائق ، ففى اليوم التالى تحتاج إلى جهاد أكثر للتخلص من ذات الفكر لأنه كالضيف الثقيل الذى إذا دخل لايخرج بسهولة . إذا استسلمت للفكر فإنه يوماً بعد آخر

https://coptic-treasures.com/

يصير له جذور فى داخل القلب ، وتكون قد سلمته عجلة قيادة نفسك ! .

متى استسلم الإنسان لفكر ما يعطيه الحق فى الظهور مرة ومرات ، لأنه يطبع صور منه فى اللاشعور يصعب انتزاعها .

ما نقوله عن الفكر نكرره بخصوص الحواس ، فكل حاسة تدخل إلى خبرة خاطئة تصير هذه الخبرة رصيداً فى الأعماق ، تستخدم من وقت إلى آخر لسقوط الإنسان وإستسلامه . هذا ما دفع أحد المراهقين أن يقول فى مرارة : (ألا ترى أنك متى بدأت أن تمارس جنساً مرة تجد نفسك لا تريد التوقف ؟ ماتفعله يتزايد أكثر فأكثر فأكثر) .

إذن الهروب قوة ، خلالها يقطع الإنسان عن نفسه سلسلة خبرات فكرية وحسية قد لا تنتهى . ليقل الإنسان فى نفسه « لا » فى المسيح يسوع ، متذكراً أن الخطية خاطئة جداً ، وأن قتلاها أقوياء .

أذكر فى بدء حياتى الكهنوتية أنه جاءنى شيخ وقور يعترف بأنه قد زنى ، فحسبت أنه يتحدث عن فكر عابر حسبه زنا ، ولما أصر أنه ارتكب الخطية حسبت أنه سقط فى بعض لمسات خاطئة أو ما يشبهها ، لكنه أوضح لى أنه ارتكب ذات الفعل . إنتابنى فى داخلى رعب ، متسائلاً أمام نفسى : كيف يسقط شيخ وقور فى هذه الخطية ؟ وإذ التقيت بالمتنيح القمص ميخائيل إبراهيم ، قال لى : « لقد سمح الله لك بهذه الخبرة فى بدء حياتك الكهنوتية لسببين : الأول ــ لتدرك ضعف الإنسان ــ مهما كان سنه ــ لذا يجب الترفق بهم ، خاصة الشباب . والثانى ــ لكى تكون حذراً مع نفسك ، فإننا مادمنا فى الجسد، مهما كانت خبرتنا السابقة فى طهارة أو كان عمرنا أو عملنا (ككاهن) يجب ألا نأتمن الجسد .

مرة أخرى أراد الله أن يعلمنى درساً عن الهروب ، فقد جاءتنى فتاة فى العشرينيات تعترف بمرارة أنها ارتكبت الخطية مع إنسان يبلغ حوالى السبعين من عمره . قالت لى : « لقد أرسلنى لكى أعترف لأنه يخجل من مقابلتك . إنه يقول لك : « يُصاب البعض بالحصبة فى شيخوختهم » . لقد عنى بهذا أنه لم يسقط فى الخطية وهو شاب ، لكنه خلال الإهمال سقط فى شيخوخته .

https://coptic-treasures.com/

لنهرب إذن من كل عثرة مادمنا فى الجسد مهما كان مركزنا ، أو خبرتنا الماضية ، أو عمرنا ، حتى لايتدنس الفكر .

الآن ، إن كنت بالفعل قد استسلمت للأفكار الدنسة وقد صار لها سلطان عليك لا تيأس ولكن إحذر من أن تعقّد الأمر بقبولك أفكار أخرى جديدة بإرادتك ، أما عن الأفكار المسيطرة ، فإنك محتاج أن تقاومها بشجاعة ، عالماً أن الله القدوس يرى تواضعك ويقبلك ويحصى كل تضحية صغيرة تبذلها من أجل أن تحفظ فكرك طاهراً ، « لأن هذه هى إرادة الله قداستكم ، أن تمتنعوا عن الزنا » (١ تس ٤ : ٣) .

فى البداية قد يكون تدريب توقع الموت وانتظار يوم الدينونة المفاجىء مفيداً لأن الفكر المستهتر قد لا تجذبه المحبة فيردعه الخوف الممزوج بالثقة إلى أن يتذوق المحبة .

٢ ــ وقد لا يأتى الفكر شهوانياً من البداية ، بل غالباً ما يبدأ بصورة مخادعة ، كأن يستسلم الإنسان طويلاً لأحلام يقظة تبدو أنها صالحة ، فيفكر طويلا فى مستقبله ويضع أمانٍ وأحلام ، غالباً ما تنتهى به إلى الخروج عن الواقع ليحيا فى جو من الخيال الممزوج بمشاعر شهوانية داخلية ! .

٣ ــ من العوامل التى تدفع البعض إلى الأفكار الدنسة هو القلق وعدم الاتكال على الله . لهذا لا عجب أن رأينا كثيرين يشكون من سيطرة الأفكار الدنسة عليهم فى فترة ما قبل الامتحانات رغم انشغالهم الكثير بالدراسة ؛ لكن القلق يدفع إلى الأفكار الدنسة ابتغاء اللذة والهروب من الواقع . لهذا فإن الصلاة من أجل أن يعطيك الرب سلاماً وفرحاً فى الداخل واتكالاً عليه ، هو علاج قوى ضد مثل هذه الأفكار .

٤ ــ يقول المثل العامى : « عقل الكسلان معمل للشيطان » الفكر بطبيعته عامل فينا ، يعمل إما للبنيان أو للهدم ، إما للخير أو للشر .

راحة الفكر ، ليس فى توقفه عن العمل ، لأن الفكر فى وضعه الطبيعى لايمكن أن يأخذ أجازة عن العمل . إنما فى فترة خمول الجسد أو نومه يجترّ الفكر حصيلة ما قدمته له من غذاء فى وقت عملك .

https://coptic-treasures.com/

الشاب الذى ينهمك كثيراً فى الترف واللهو وأماكن الاثارة وجلسات المستهزئين لايتوقع أن يكون فكره مقدساً فى وقت خمول جسده أو أثناء نومه حيث تضعف إرادته . أما الشاب الذى قدم لنفسه غذاءً روحياً (لا من الخارج فقط فى صورة رياضية بل من كل قلبه) غالباً ما يتوقع فكراً مقدساً فى تلك الفترات .

لهذا فإن القراءة الروحية وحفظ المزامير وترديدها وقراءة سير القديسين وأقوالهم، هذا كله يفيدك إذ تخزن لنفسك ما ينفعك فى وقت جوعك .

٥ ــ لا تنس أن الألحان الكنسية والترانيم الروحية والتغنى بالمزامير هذا كله يدفع بفكرك نحو التقديس والتلامس مع ربنا يسوع .

ليعطك الرب وضعفى فكراً طاهراً مقدساً ينشغل بربنا يسوع ويحتقر كل الأفكار العتيقة التى مضت .

ثانياً : تقديس الحواس

يقول الشيخ الروحانى (القديس يوحنا سابا) ، عن تقديس الحواس :

(أيها الأخ المشتاق برغبة حارة أن تكون فى الله وأن تتصل بذاك القدوس الذى لايعرف خطية ، اسمعنى بحب واغفر لضعفى) .

(رتب حواسك أيها الأخ واحذر لها ، إذ منها يدخل موت الإنسان الخفى... إمنع نظرك عن التطلع إلى جمال الإنسان الفانى وذلك بالنظر إلى الله . وامنع أذنك عن الاستماع إلى كل سماع ردىء وذلك بالاستماع إلى أسرار القدير ! واحذر استنشاق الروائح الكريهة ... مستبدلاً بذلك رائحة المسيح الذكية ! واغلق فمك بالحذر الكلى ... واحفظ فمك ....متحدثاً مع الله متكلماً مع الخالق ! والحاسة الخامسة وأعنى بها اللمس فسلمها إلى الحافظ الساهر ، واطلب العفة فى كل حركاتك ولمساتك ليحرسك الرب من الأفكار النجسة !) .

(كل من يشاء الآن أن يحفظ نفسه وضميره من الأعمال الشريرة فليحفظ هذه الحواس ، وليسلمها فى يد الله الأمين معين الضعفاء) .

عزيزى ... لقد أنعم الله عليك بالحواس التى بدونها تفقد حيويتك كانسان

https://coptic-treasures.com/

يحس ويشعر . والحواس فيك تختلف عنها فى أى كائن أرضى حىّ آخر ، لأن الله قد خصك بإرادة تقوم بالدور الأكبر فى توجيه حواسك .

يمكنك إن أردت أن تنطلق بهذه الحواس الخمس لتعمل كطاقات قوية تدفع بنفسك نحو التمتع بالشركة مع ربنا ، ونستطيع أيضاً إن أردت أو استسلمت أن تهوى بها إلى أعماق النجاسة فتتمرغ نفسك فى الدنس وتظن أن الطهارة ليست لبشر لهم مثل هذه الحواس .

ما أريد أن أؤكده لك ، أنك كشاب إن كنت متعباً جنسياً ، ليس لك قدرة للسيطرة على عينيك وأذنيك وبقية حواسك ، فاعلم أن العيب ليس فى وجود هذه الحواس بل فى توجيهها والانطلاق بها لتعمل فى وضعها الصحيح .

+ لكن كيف أوجه حواسى لتعمل للخير وحياتى كلها متقدة بالشهوة ؟! .

أولاً : لست أطالبك باغلاق حواسك ولا كبت عملها فيك ، بل على العكس أود أن تنطلق بها بعدما يتقدس الداخل فتصير الحواس مقدسة تدفع بك نحو النمو الروحى . الذى يقدس الحواس هو الروح القدس الذى هو ليس ببعيد عنك بل فى داخلك يسكن فيك ؛ لكن أنت لا تتجاوب معه ! .

فالحاجة إذاً هى أن تتعامل مع الروح القدس بأن تجاهد فى الصلاة طالباً أن يملأ قلبك ويضىء حواسك . وقد علمتنا الكنيسة أن نصلى يومياً قائلين فى صلاة الساعة الثالثة : « روحك القدوس يارب الذى أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى الساعة الثالثة هذا لا تنزعه منا أيها الصالح لكن جدده فى أحشائنا » .

يشبّه القديس يوحنا ذهبى الفم نفس الإنسان (الطفل) بمدينة[٢] ، أبوابها هى الحواس ، خلالها يدخل المواطنون ويخرجون ، بمعنى أنه خلالها تفسد الأفكار أو تسير حسناً [٣] . مزلاج هذه الأبواب هو صليب الرب المزين بحجارة كريمة وذهب[٤] . هذه الأبواب للرب ، خلالها يدخل البر (مز ١١٧ (١١٨) : ٢٠ ... [٥]

ويقول القديس أنطونيوس :

https://coptic-treasures.com/

(الروح القدس يساعد الإنسان على تنفيذ الوصايا التى تعلمها ، ويرشده لطرد الشهوات النابعة عن النفس ذاتها مستقلة عن الجسد ، أو الشهوات التى لحقت بها عن طريق الجسد .

والروح القدس يعلِّم الإنسان أن يحفظ جسده كله ــ من الرأس إلى القدمين ــ فى تناسق .

فيحفظ العينين لتنظرا بنقاوة ! .

ويحفظ الأذنين لتصغيا فى سلام ... ولا تتلذذا بالأحاديث عن الآخرين والافتراءات وذم الغير ! .

ويحفظ اللسان لينطق بالصلاح فقط معطياً وزناً لكل كلمة فلا يسمح لحديث نجس أو شهوانى أن يختلط بحديثه ! .

ويحفظ اليدين لتتحركا طبيعياً ، فترتفعان للصلاة ولصنع الرحمة والكرم ! .

ويحفظ المعدة ليكون لها حدوداً مناسبة للأكل والشرب وذلك حسب القدر الكافى لقوت الجسد . فلا يترك الشهوة أو النهم ينحرفان بها فتتعدى حدودها ! .

ويحفظ القدمين لتسلكا حسب إرادة الله بهدف القيام بأعمال صالحة . بهذا يكون الجسد كله قد أعتاد كل عمل صالح وصار خاضعاً لسلطان الروح القدس فيتغير شيئاً فشيئاً حيث يشارك ــ إلى حد ما ــ فى النهاية صفات الجسد الروحى الذى يناله فى القيامة العادلة [٦]) .

إختبار : احفظ قطع الساعة الثالثة واصرخ بها سرياً أو بأجزاء منها وخاصة فى فترات ما بين الحصص والمحاضرات .

ثانياً ــ الجهاد فى تقديس الحواس

إن كان الروح القدس هو الذى يقوم بالتقديس لكن يؤكد القديس انطونيوس فى نفس الرسالة قائلا : (ان الجهاد للحصول على النقاوة الكاملة يتطلب جهاد النفس والجسد معاً فى أعمال التوبة بتناسق وتساوٍ [٧]) .

https://coptic-treasures.com/

والرسول بولس أيضاً يقول : « لم تقاوموا بعد حتى الدم » (عب ١٢ : ٤) فالروح القدس يعمل فينا بقدر ما نتجاوب معه بالعمل والجهاد ، وقد قلنا أن أول أعمال الجهاد هو الصلاة وطلب حياة الملء الدائم من الروح ، هذا مع جهادنا فى حفظ حواسنا بعيداً عما يعثرها والانطلاق بها لتشبع بما هو مقدس للرب .

١ ــ فمن جهة النظر : يعتبره القديس أغسطينوس أول حلقة من حلقات السقوط وإليك بعض ارشادات عملية بخصوص النظرات الشريرة :

(ا) اهرب من المكان الذى تشعر فيه بالضعف (جنسياً) أمام شخصية معينة ، ولو كان السبب هو ضعفك الداخلى وليس ذلك الإنسان . وهروبك هذا ليس بجبن بل فيه شجاعة إذ تقاوم عاطفة قوية فى داخلك . لاتقف عند هذا الجانب السلبى بل اهتم أن تتوب وتصلى وتتمتع بربنا يسوع حتى تصير عيناك بسيطة فلا تعثر بأحد .

(ب) لا تجول بعينيك باحثاً عن المناظر المثيرة ... متذكراً أن النبى داود صاحب المزامير بنظرة واحدة مستهترة انحرف إلى الخطية .

(جـ) لا تجعل نظرتك فاحصة تنقل إليك الشهوة متذكراً أن من هم أمامك اخوتك واخواتك . وكما قال القديس باخوميوس للفتاة التى حاولت اغرائه وهو صبى : « هل عيناى عينى كلب حتى أضاجع اختى ؟! » .

(د) لا تخدع نفسك بأنك تتأمل الجمال فى ذاته ، لأن الجمال هو الخير المطلق ؛ فاحذر لأن الشهوة مختفية فيه وأنت لا تعلم ! .

(هـ) إن أحسست بنظراتك أنها غير طبيعية نحو شخصية ما تلتقى معها بحكم العمل أو الظروف ارفع قلبك إلى الله منادياً « اسم يسوع » حتى تتقدس نظراتك .

(و) اهتم أن تضع صوراً للسيد المسيح والقديسين فى حجرتك وعلى مكتبك لكى تذكرك هذه الصور بقداسة أصحابها ونقاوة سيرتهم .

(ز) احذر الكتب الرخيصة والمجلات السوقية والأفلام التى تستخدم

https://coptic-treasures.com/

الحوادث الغرامية المثيرة والمناظر الخليعة ... واعلم أن وقتك أثمن من أن يضيع فى مثل هذه الأمور !! .

(ح) لا تعتمد على قامتك الروحية الحالية ، فتترك نظراتك تجول هنا وهناك حاسباً أنك قوى ، لا تتعثر . أذكر شاباً يتسم بالروحانية جاءنى يوماً يعترف بأنه

ذهب إلى أماكن معثرة ، لكنه كان يشعر أن كل النساء اخواته بالرغم من عدم احتشامهن ، وأنه لم يجد فيهن عثرة قط ... مرت سنوات وجاءنى ذات الشاب يشتكى بمرارة من صراعه المرّ بسبب النظرات القديمة التى مرّ عليها سنوات دون عثرة . لقد جاء وقت الضعف ليتذكرها ، أو لتتراقص فى ذهنه وتسحبه بكل قوة إلى أفكار دنسة محطمة . إنه رصيد خبرة خاطئة قبلها بإرادته حاسباً فى نفسه أنه قوى .

٢ ــ من جهة السمع

(ا) اهرب قدر ما تستطيع من مجالس المستهزئين حتى لايعلق بأذنيك الهزل الباطل والفكاهات المثيرة والألفاظ التى سرعان ما تراودك فى الفترات التى يضعف فيها الرقيب الداخلى ، مثل فترات النوم أو أحلام اليقظة أو المرض أو الأرهاق البدنى الشديد ! .

(ب) إن كنت تعشق الموسيقى فاعلم أن كثيرين قد دخلوا إلى أعماق الشركة مع الله عن طريق الألحان الكنسية الجميلة وخاصة ألحان أسبوع الآلام ، فإنها قادرة أن تشبع هوايتك وتفيد نفسك ! .

٣ ــ من جهة التذوق : ليكن لمعدتك ميزاناً يتناسب مع صحتك والمجهود البدنى الذى تبذله (مع الاسترشاد بأب اعترافك) .

٤ ــ من جهة حاسة الشم : فتذكر ألا تكون مغالياً فى التزين ومحباً للتنعم بالأمور الأرضية ، مفضلا على ذلك حياة السهر والصلاة التى تؤهلك لتصير أنت ذاتك رائحة المسيح الزكية للذين يخلصون (٢ كو ٢ : ١٥) .

https://coptic-treasures.com/

٥ ــ من جهة حاسة اللمس : ... وخاصة فى الأماكن المزدحمة ارفع قلبك لله واشغل فكرك فيه ... نادِ اسمه .

+ + +

وأخيراً ليعطنا الرب أن نتذكر دائماً أن كل أعضاء جسدنا وكل حواسنا هى ملك للرب ... اذكر أنك ابن الله ، أنك مفدى بدم ثمين هذا مقداره ... تذكر دائماً مقدار نفسك عندئذ يسهل أن تتحول كل طاقاتك لتكون عاملة حسب إرادة الله الكاملة المرضية .

---

(١) للمؤلف : إليك يا أخى الشاب .

(2) An Address on vainglory & the right way for parents to bring up their children; trans. by M.I .W. Laistner : Christianity & Pagan culture, N.Y. 1967, ch. 25.

(3) Ibid 27.

(4) Ibid 28.

(5) Ibid 28.

(6) Letter 1.

(7) Ibid .

+ + +

https://coptic-treasures.com/

١٢
محتاج أن تثق فىّ

التمرد وصراع الأجيال

من أهم المشكلات التى تمس حياة الشباب إحساسهم بأن غبناً يقع عليهم بسبب اتهامهم غالباً بالتمرد وعدم الطاعة للوالدين والمجتمع وأحياناً ضد الدين . يرى البالغون أن هذا الاتهام حقيقة ملموسة تظهر من خلال رغبة الشباب ـــ خاصة فى سن المراهقة ـــ فى اتخاذ قراراتهم دون الرجوع إلى والديهم ، وفى إصرارهم على اختيار ملابس معينة وموديلات للشعر مغايرة لموديلات الجيل السابق لهم ، والاستماع إلى أنواع معينة من الموسيقى يعتبرها بعض البالغين عنفاً وثورة نشازاً ، وغير ذلك من المظاهر التى يستخف بها الجيل السابق لهم أو يمقتها . أيضاً إصرار بعض المراهقين على عدم الاشتراك مع الأسرة فى أنشطتهم الاجتماعية والثقافية والرياضية وأحياناً الروحية مفضلين الاشتراك مع أصدقائهم الذين من ذات أعمارهم ، بدعوى أن هذه الأنشطة أمور شخصية ، ليس من حق الأسرة أو المجتمع أن يُلزم عضواً ما بالاشتراك فيها . هذا الفكر ليس وليد القرن العشرين، إنما هو اتجاه عام يوجد فى أعماق نفوس المراهقين فى كل الأجيال ، يسميه البعض « صراع الأجيال » . كل جيل جديد يود أن يقيم لنفسه معاييره الخاصة ومفاهيمه، التى غالباً مالا يقبلها الجيل السابق له .

إنصتا إلىَّ ... حاورانى منذ طفولتى

١ ـــ التصرفات السابقة وما على شاكلتها لا تعنى اتسام الجيل الجديد بالتمرد ، والدليل على هذا أننا نجد هؤلاء المراهقين الذين يحملون مظهر التمرّد داخل الأسرة غالباً ما يسلكون بروح الخضوع والطاعة للجماعة التى ينتمون إليها أو للصديق المحبوب لديهم ، تجدهم فى غاية اللطف والرقة خارج البيت ... فلماذا يستخدمون هذا المسلك تجاه الأسرة أو المجتمع ؟ .

يمكننا القول بأن ما ندعوه « تمرداً » هو فى حقيقته صراع داخلى من أجل

https://coptic-treasures.com/

الرغبة فى النمو والشعور بالاستقلال والتمتع بالحرية وإبراز شخصياتهم . إنهم يصارعون بين هذه الرغبات الصادقة والأكيدة بينما لاتزال آثار الطفولة تعمل فى داخلهم . يريدون التمتع بالحرية الكاملة دفعة واحدة مع عجزهم عن الالتزام الكامل من جانبهم بتحمل المسئولية . هذا الصراع ينعكس فى صورة تصرفات يبدو فيها المراهقون كمن هم فى تمرد ضد الأسرة والجماعة .

مايسلكه المراهقون فى شكل تمرد أشبه بصرخات تنبع من القلب تطلب تأكيد الوالدين لهم بأنهم يحترمون نموهم ونضوجهم . فمن كلمات بعض المراهقين الصريحة التى تطالب بذلك [1] :

(محتاج أن أعرف أنكما تثقان فىّ وتصدقاننى) .

(أريد أن أرى والدين أكثر انفتاحاً على أبنائهم ، ويصيرون أصدقاءً لهم ...) .

(أود أن تكون لهما ثقة أكبر فىّ ، وأن يعرفا أننى لا أريد أن أكذب عليهما ، وإننى أحبهما) .

(يوجد خمسون أمراً أود أن أقولها لوالدىّ : « دعونى أنمو » « تكرر ٤٩ مرة ») .

٢ ــ تمرد المراهقين يحمل تأكيداً لوجود عالم خاص بهم ، له قيمه ومفاهيمه واتجاهاته وأفكاره ومشغولياته ، بينما يريد البالغون أن يسحبوهم إلى عالم البالغين إما بالضغط أو السخرية أو الاستخفاف .

نذكر على سبيل المثال : غالباً ما تشعر الأم بشىء من المرارة حين تجد ابنتها تتسلل إلى حجرتها الخاصة وتطلب صديقتها تليفونياً لتحدثها ربما لساعات طويلة فى مشاكلها الخاصة حتى تلك التى تمس علاقتها بالأم ، فى الوقت الذى فيه تصر الفتاة على الالتزام بتدريب صمت فى علاقتها مع والدتها . ليت الأم تعالج ذلك بحكمة ، فتدرك أن لابنتها عالمها الخاص الذى تنتمى إليه ، يشبع مشاعرها وأحاسيسها ، بينما تتطلع إلى الأم كشخص ينتسب لجيل قديم له خبرات مغايرة للجيل الجديد ، وعاجز عن فهم ما للجيل الجديد .

ما أحوجنا إلى الحكمة لنقتحم عالم أبنائنا خلال واقعه الذى يعيش فيه ، بروح الحب الحقيقى القائم على التقدير المتبادل .

https://coptic-treasures.com/

٣ــ يحتاج أولادنا إلى إدراك مفهوم الطاعة ، انها لا تعنى مذلة ولا كبتاً ولا فقداناً للحرية الإنسانية خلال دكتاتورية البالغين ، أى إصدار أوامر ونواه . الطاعة هى دخول فى حوار حب مشترك ، فيه يتبادل الكل الخبرات ، ويحترم كل شخصية الآخر أيا كانت سنه أو قدراته أو خبراته . الله خالق الكل إذ يطالبنا بالطاعة يفتح معنا باب الحوار ، فى حب فائق يرفع من شأن الإنسان ، ويشعره بشخصيته وقدراته . قيل عن موسى النبى أن الله كان يتحدث معه كما يكلم الرجل صاحبه (خر ٣٣ : ١١) ؛ وفى مواضع كثيرة يطالبنا الله أن نتحاجج معه ونحاوره (إش ٣ : ٥) . الله يفتح باب الحوار مع الإنسان ، بينما نحن نغلق أحياناً باب الحوار الجاد مع أبنائنا .

يقتطف Josh McDowell كلمات لبعض المراهقين (وآبائهم) بخصوص رغبتهم الجادة فى قبول الآباء الحوار معهم ، جاء فيها [٢] :

(إننى محتاج أن تخلقا الجو الذى فيه أشارك بخبراتى ومشاعرى وتجارب فشلى وأنا مطمئن) .

(يُظهر المراهقون الحاجة الهائله لإمكانية المشاركة بالمشاعر ، خاصة تجارب فشلهم ، مع والديهم . إنهم يقولون : « من فضلكم إسألونى عن إحباطى وارتباكى فيما يخص حياتى الجنسية » ... يحتاج الطفل أن يرى نعمة الله وغفرانه ويختبرهما فى كل جوانب الحياة ، خاصة الجنسية ، أفضل طرق لتعليم أطفالنا ولمشاهدتهم نعمة الله عملياً هو عن طريقنا نحن آبائهم) .

(عندما لا يشعر الأبناء بالحرية فى الحديث مع آبائهم بخصوص الجنس ، يثورون كطريقة يعبرون بها عن احتياجاتهم) .

(أريد أن أتحدث معكما عن الأمور التى فشلت فيها ، وليس فقط فيما نجحت فيه . أريد منكما أن تخبرانى أنكما تهتمان بى) .

(إنهما لا يعرفان من أنا ، لأنهما لم يعطيانى وقتاً لذلك) .

(إنى أحبكما . بالحقيقة أود أن نكون ملاصقين لبعضنا البعض فى صراحة . إن استطعتما الانصات إلىّ أكثر من أن تقنعانى بقدرتكما ، فإننى أشعر بالأكثر بالكمال . إننى أحبكما) .

https://coptic-treasures.com/

٤ ــ ليتنا ندرك أن الطاعة ليست خنوعاً . فالشاب الذى يتدرب على محاورة والديه بدالة حب وجدية ووقار متبادل يتشرب منهما روح القيادة . بهذا يتسلم الجيل الجديد القدرة على احتمال المسئولية وممارسة العمل القيادى بحكمة ، بل وتسليم الأجيال التالية ذات الروح . بهذا يتخرج فى مدرسة البيت الأبناء الذين يصيرون فى المستقبل والدين ناضجين وكهنة وخدام ورؤساء فى العمل بروح قيادى متفتح .

أذكر فى إحدى اجتماعات الشباب حضر شاب كان قد انتقل إلى الإسكندرية ، وكان فى مظهره يحمل عنفاً وحدَّة ، يحاور بشدة ويجادل . فى نهاية الاجتماع همس فى أذنى المتنيح القمص بيشوى كامل ، قائلا : « هذا الشاب يصلح يوماً ما أن يكون قائداً فى خدمة الشباب » . تحقق هذا ، وكان يجتذب الشباب بانفتاح قلبه لهم .

٥ ــ من أجل إيجاد جو من الاحترام والتقدير المتبادل يليق بالبالغين كما بالشباب أن يميزوا بين نمو مستوى الذكاء فى حياة الإنسان والنمو العقلى خلال الخبرات المستمرة . فالشاب غالباً ما يشعر فى سن المراهقة أنه قد نضج ذهنياً ، وصار فى ذكائه لايقل عن مستوى والديه إن لم يزد . ربما يكون هذا حقيقة واقعة ، إذ نجد بعض الأبناء أكثر ذكاءً من والديهم . هذا مايجب أن يعرفه الآباء حتى يكسبوا أبناءهم ، لكن من الجانب الآخر يليق بالأبناء أن يدركوا أنهم ، وإن كانوا قد بلغوا بعض النضوج فى ذكائهم ونموهم العقلى ، غير أن هذا النمو ينقصه الخبرات المستمرة ، فيبقى الإنسان الحىّ ينمو فى ادراكاته العقلية ، مادام فى الجسد يدخل فى خبرات جديدة ، بهذا يحترم الأبناء خبرات والديهم ، ويتوقعوا أن ينالوا هم أيضاً نمواً مستمراً .

٦ ــ كثيراً ما يشعر المراهقون أن والديهم قد بدأوا فعلاً فى الحوار معهم طالبين صداقتهم ، لكنهم يشعرون بأن هذا يتم عن ضعف وتحت الضرورة . فالمراهق (أو المراهقة) يرجع بذاكرته إلى الطفولة ليجد فى تصرفات والديه دكتاتورية عنيفة . هذه الصورة يصعب على الآباء محوها من مخيلة أبنائهم المراهقين مهما غيّروا من طريقة تعاملهم معهم . لذا يليق بالآباء الحكماء أن يبدأوا الملاطفة

https://coptic-treasures.com/

والحوار فى جو الصداقة منذ بدء حياة أطفالهم دون الانتظار حتى يبلغوا سن المراهقة . ليكن حب الحوار اللطيف نابعاً من أعماقهم الداخلية ، وليس عن ضرورة بسبب خوفهم من انحراف أبنائهم المراهقين .

يطالب المراهقون آباءهم أن يبدأوا الحديث معهم والحوار مبكراً ، إذ يقول أحدهم : (لم يعرف والدىّ متى يبدأون تعليمى[٣]) .

٧ ــ يطالب الآباء أبناءهم السلوك بروح الطاعة ، متهمين إياهم بالتمرد ، دون أن يدركوا هذا التمرد إنما قد تشرَّبوه منهم . فالوالدان اللذان لايمارسان الطاعة لله أو لوالديهما أو لمرشديهما أو لرؤسائهما فى العمل يبثان ذات الروح فى حياة أولادهما لاشعورياً . لقد قيل : « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ويزاد » ، وأيضاً : « كما فعلت هكذا يُفعل بك » .

انسكاب الوالدين بروح الطاعة والخضوع أمام الله وطلب مشورته ، واحترامهما لبعضهما البعض ، وعدم مهاجمتهما للغير من الخلف ... هذا السلوك له فاعليته على أولادهما ، يتشرَّبونه منذ نعومة أظافرهم .

٨ ــ كثيراً ما ينبع تمرد المراهقين على والديهم كثمرة طبيعية لجهل الآباء مواهب أبنائهم وقدراتهم ، فيطالبونهم بغير ماينا سبهم . كأن يُصرّ الطبيب أن يلتحق ابنه بكلية الطب حتى وإن كانت مواهبه أو قدراته تنصب فى حب الكتابة أو الموسيقى أو الهندسة أو الأعمال اليدوية ... هذا الاقحام يبعث فى الأبناء الشعور بالفشل ، لذا فهم يلجأون إلى التنفيس خلال التمرد .

٩ ــ النقد المستمر من جانب الآباء عوض التشجيع والمساندة ، وابراز الجوانب الطيبة فيهم ، والافتخار بهم ومدحهم أمام الغير ... يدفع الابناء إلى الدفاع عن أنفسهم بروح التمرد .

---

(1) Josh McDowell : What I wish my parents knew about my sexuality ? , California 1987, ch. 13.

(2) Ibid, ch, 17.

(3) Ibid. ch. 18.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

١٣
الشباب وعالمه الخاص

تئن كثير من العائلات بسبب انتماء ابنائهم لأصدقائهم أكثر من انتمائهم لهم، فالشباب ــ خاصة فى سن المراهقة ــ يريدون أن يقضوا غالبية أوقاتهم مع أصدقائهم ، يتصلون بهم بكل وسيلة ، كأن يتحدث المراهق مع صاحبه تليفونيا لساعات طويلة فيما يبدو مهماً وما ليس بمهم ، بينما لايعطى دقائق للحديث مع والديه . وكأن يريد الشاب أن يسهر فى بعض حفلات الشباب أو مع أصدقائه فى أى مكان بينما يرفض مساعدة والديه فى أى عمل منزلى .

هذه الظاهرة طبيعية ، لأن للشباب عالمه الخاص ، إليه ينتمون ، وفيه يجدون من يشاركهم مشاعرهم وأحاسيسهم واهتمامهم ، يقدرون آرائهم ويحاورونهم ، بينما نجد أحياناً الآباء يستتفهون آراء أبنائهم ، خاصة فى الأمور التى يحسبها الآباء مضيعة للوقت تشتت أذهان أبنائهم عن دراستهم الجادة والاهتمام بالمستقبل .

يليق بنا أن ندرك الآتى :

١ ــ يعانى البشر من « الشعور بالعزلة feeling of loneliness » ، الأمر الذى يقتل حياة المرء النفسية ويحطم شخصيته . قد يكون له أسرته التى تهتم به وترعاه ، وأصدقاء يأنسون به ، ومع هذا يشعر بالعزلة فى أعماقه . إنه محتاج إلى من يدخل إلى أعماقه ويشاركه أحاسيسه ، ويتفهم ما وراء تصرفاته . هذا ما جعل الكثيرين يتطلعون إلى « الاتصالات communications » كعامل حيوى فى حياة الإنسان ، فى كل مراحلها ؛ عليها تقوم كل العلاقات ، فتكون كالماء بالنسبة للنبات وبدونه يموت[١] ، كل إنسان يشعر أنه فى عزلة عن الغير يفصله خليج ، لذا فهو فى حاجة إلى الاتصالات ليعبر هذا الخليج ويدخل إلى الآخرين [٢] وهم يعبرون إليه ، محققاً وجوده الفعّال فى وسطهم . هذه الاتصالات الظاهرة تحمل معانٍ داخلية فى حياة الإنسان أعمق من المعنى الظاهرى ، تسمى meta-communication ، تهب النمو والنضوج لشخصية الإنسان ، وتحقق كيانها [٣] .

https://coptic-treasures.com/

إذن التجاء أبنائنا إلى الاتصالات بالغير ظاهرة صحية تعنى الرغبة الأكيدة فى النمو وتحقيق الشخصية ، ليس من حقنا كبتها أو تحطيمها ، وإنما بالحب والحوار نساعدهم على توجيهها بحكمة وإتزان .

لماذا نتحدث عن حاجة المراهقين إلى الاتصالات كظاهرة رديئة ، فتتهمهم باضاعة الوقت فيما لاينفع وعدم مبالاتهم واهتمامهم بالدراسة والمستقبل ، أو بالجحود إذ يودون الحديث مع أصحابهم أكثر منه مع والديهم ، بينما نحن أنفسنا نقضى فترات طويلة فى اتصالاتنا بالغير لنمارس حياتنا فى عالمنا الخاص ، خاصة مع من يتجاوب معنا فى الفكر سواء ثقافياً أو فنياً أو روحياً .

إن تطلعنا إلى تاريخ الكنيسة نجد صوراً بلا حصر تكشف عن حاجة الإنسان إلى الاتصالات حتى فى الحياة الروحية بين القادة أنفسهم أو أصحاب القامات العالية . نذكر على سبيل المثال كيف ارتبط القديسان مكسيموس ودوماديوس — إبنا الملك فالنديوس — ببعضهما البعض فى حياتهما النسكية العالية ليعيشا فى مغارة كملاكين ، وعندما تنيح الأكبر بكى الصغير بدموع ولم يحتمل الحياة بدونه وطلب من القديس مقاريوس أن يصلى لأجله كى يلحق به ، وقد استجاب الرب لدموعه ومشاعره المقدسة وأخذ نفسه فى اليوم الثالث لنياحة أخيه .

ارتبط القديسان أبوللو وأبيب معاً فى صداقة روحية حميمة ، وعاشا يسندان بعضهما البعض ، يلهب الواحد قلب الآخر بالحب الإلهى ...

لقد أدرك القديس باخوميوس أهمية « الاتصالات » بين الرهبان فى الرب ، فجعلهم يسكنون إثنين إثنين أو ثلاثة ثلاثة فى كل « قلاية » ، قائلاً بأنه إن سقط واحد يقيمه الآخر .

إذن الإنسان ، مهما بلغ عمره أو ارتفعت قامته الروحية أو انهمك فى ممارسة مواهبه المحبوبة لديه ، فهو محتاج إلى « الاتصالات » ليمارس إنسانيته . حقاً لقد وُجد رهبان متوحدون يقضون ربما أسابيع أو شهور وأحياناً سنوات لايرون أحداً ولا يلتقون بأحد ، لكنهم يحملون الاتصالات فى أعماقهم ، ينسكبون كل النهار بالحب نحو الله والناس . يحملون البشرية فى داخلهم ، ويشاركونهم آلامهم ، ويصلّون من أجلهم [٤] .

https://coptic-treasures.com/

٢ ــ نريد أحياناً أن نفرض على أولادنا الاتصال بعالم البالغين وحده بأفكاره وقيمَه واتجاهاته ، الأمور التى يراها المراهقون أنها لا تناسبهم ، إذ لايجدون فى هذا العالم من يسمع لهم أو يقدّر رأيهم ويحاورهم بالحب ... لذا سرعان مايطلبون التحرر من قيود هذا العالم الذى يبدو لهم غريباً عنهم .

لعل من الأسباب التى تدفع بعض الآباء إلى سحب أولادهم من عالمهم الخاص بطريقة خاطئة منفرة ، هو ارتباطهم بالذات « ego » . فالآباء يريدون ربط ابنائهم بحياتهم ومستقبلهم ورغباتهم الخاصة وأفكارهم ، دون اعتبار لما لهؤلاء الأبناء من قدرات خاصة ومواهب وشخصيات لها تقديرها . إنهم يدفعون ابناءهم لتحقيق اتجاهاتهم الخاصة ، فيرون أنفسهم ناجحين فى ابنائهم بحسب أفكارهم ، متجاهلين كل اعتبار لشخصيات الابناء .

٣ ــ عدم تقديرنا لعالم ابنائنا قد يدفعهم إلى أحد اتجاهين :

(ا) تحطيم نفسيتهم ، وقتل كل روح قيادى فيهم .

(ب) ثورتهم العارمة وسخريتهم بكل ما يمس الجيل السابق لهم .

الحاجة ماسة إلى الانصات إليهم بكل القلب والفكر ، نصغى باهتمام ، ونوجههم بالحب فى اعتدال ، فلا نتسيب معهم كما لا نحطمهم ، مدركين أنهم يتعلمون خلال خبرتنا كما خلال خبرتهم بكل أخطائها . يليق بنا ألا ننسى أنفسنا حين كنا نسلك فى عالم الشباب ، وإن كانت قد تغيرت الظروف والامكانيات.

٤ ــ يليق بنا نحن جميعاً ــ البالغين والمراهقين ــ أن ندرك أن نمو شخصياتنا هو عمل دائم لايتوقف مادمنا نمارس الحياة المتجددة فى الرب . هذا النمو يقوم على الاتصالات ، لا بالمعنى الضيق الذى ينحصر فى المعاملات الخارجية والحديث والحوار المستمر ، لكن بالأكثر الاتصال بالغير على أساس قبول الغير كما هو ، فلانطلب تشكيله على هوانا نحن ، ولا نطلب لذتنا على حساب نموه وبنيانه المستمر .

أولا : لا نطلب تشكيل الغير حسب أفكارنا الذاتية ، بل نقبله بشخصه وقدراته ومواهبه الخاصة به . إن كانت الذات ego تعمل فى الإنسان مشتاقاً أن

https://coptic-treasures.com/

يرى الكل شبهه ، فإن هذه الذات تقتل الإنسان نفسه وتحطم الغير . هذا مانلاحظه فى الحياة الأسرية ، فالزوج الذى يريد أن يصب زوجته فى قالب خاص لتخرج صورة مطابقة له فى كل شىء يفشل ويتحطم ، حاسباً نفسه مخدوعاً فى اختيار الزوجة ، لأنه يستحيل أن يتحول طرف إلى صورة للطرف الآخر . يبقى هذا الزوج تقتله أفكاره ومشاعره بالفشل ويحطم زوجته معه . ذات الأمر يتكرر إن أرادت الزوجة أن تمارس ذات العمل مع زوجها ، وأيضاً إن مارس الآباء ذلك مع ابنائهم .

ليتنا ندرك أن الله أوجد هذا العالم جميلاً بتنوعه وتكامل وظائفه ، كل إنسان هو شجرة خاصة أو نبات له نموه الخاص به ليحمل ثمره اللائق به . عملنا أن نحاول أن نفهم الغير ونحترم مواهبه وقدراته ونقبله كما هو ، لا أن نشكّله حسب هوانا الذاتى . هذا لن يتحقق ما لم يعرف الإنسان أولا أعماقه هو ليحترم أعماق الغير ، ويقدر النفس « self » فيه كما فى الغير .

ثانياً : لا نطلب ما يسعدنا وقتياً على حساب نمو الغير وبنيانه المستمر . هذا مبدأ الحب الذى يلزم أن يكون دستوراً لكل اتصالاتنا ، سواء بين من هم فى عالمنا كبالغين أو كشباب أو فى عالم الغير ، أى معاملات البالغين مع الشباب أو العكس .

كتب أحد المراهقين عن خبرته الأولى حين مارس الجنس قبل الزواج ، فقال إنه إذ أكد حبه للفتاة ، وطلب منها تسليم جسدها تأكيداً لحبها له ، ومارس معَها رغبته بدأ يتألم جداً ، لأنه استحوذ عليها على حساب طهارتها وعفتها كما بدأ يفكر فى مشاعرها المجروحة حين يتركها ولا يرتبط بها . هذه هى الاتصالات المريضة ، بل والقاتلة له ولها ، لأنها على حساب بنيانهما وخلاصهما .

معالجة « الحاجة إلى الاتصالات »

على المستوى الاجتماعى يحتاج شبابنا إلى جماعات شبابية روحية صحية متفتحة، يمكنها بالحب واتساع الفكر أن تجتذب الشباب لملكوت الله . هنا يبرز دور الكنيسة فى إيجاد قيادات شبابية روحية جذابة ، قادرة أن تُشبع فكر الشاب وتنمى شخصيته من كل جوانبها .

https://coptic-treasures.com/

أما على المستوى الروحى غير المنفصل عن الاجتماعى ، فإن الحاجة إلى الاتصالات فى الواقع أمر يمس حياة كل إنسان ، أيّاً كان عمره ، وأياً كانت ثقافته وقدراته ومركزه الاجتماعى ، فالكل يود أن يحقق شخصيته بالاتصالات مع الغير . لقد عالج السيد المسيح هذا الأمر من جذوره ، كيف ؟ .

جاءت الحاجة إلى الاتصالات ثمرة فراغ داخلى ، إذ يلجأ الإنسان إلى الغير لكى يحقق لنفسه الاحساس بأنه موضع اهتمام الغير وتقديره . لذا قد يوجد كثيرون حوله يهتمون به ويعطفون عليه ويظهرون إعجابهم به ومع هذا يبقى فى عزلة داخلية فى عوز إلى من يشبع الداخل . والدليل على ذلك رغبة بعض المشاهير والنجوم فى التخلص من الحياة بالانتحار بالرغم من إعجاب الملايين بهم، فإن هذا الاعجاب والالتفاف حولهم عاجز عن أن يملأ الفراغ الداخلى . أما كلمة الله الحىّ ، القادر وحده على الدخول إلى الأعماق ، فقد جاء ليقيم اتصالات داخلية بين النفس والسماء ، أساسها الشبع الداخلى وتذوق الفرح السماوى . فالقديس أنبا أنطونيوس عاش فى مغارته بالجبل فى وحدة أدهشت الفلاسفة ، إذ رأوه فرحاً متعزياً كمن هو فى غير عوز إلى شيء . وعندما سألوه عن سر تعزيته مع عدم وجود رفقاء معه ولا أطباء حوله إن مرض ولا كتب للقراءة، أجابهم إنه لا يقيم فى المغارة فى عزلة ، إنما يرافقه الله نفسه . كان مع الله ، فكان يحمل الكنيسة كلها فى قلبه ، بل يحمل العالم كله بالحب ، يشارك الكل آلامهم، ويصلى بانسحاق من أجلهم ؛ لم يشعر بفراغ ولا بنقص فى الاتصالات .

الأسرة هى المعلم الأول ، إن ملأ الرب كل جوانبها ، تمتعت بالاتصالات فيما بينها فى الرب ، فيشعر الابناء بالشبع والدفء مع الفرح وبهجة القلب ، عوض الشعور بالعوز والفراغ فيلجأون إلى أساليب خاطئة لتحقيق شبعهم من الخارج .

خلال الشركة العميقة الحقة مع الله يختبر المراهقون مركزهم فى الرب كأولاد لله، لا تعوزهم الكرامة ولا يطلبون من الغير كلمة مديح أو يستجدونهم عاطفة ما، بل بالحب يفيضون على زملائهم ينبوع حب يملأ جوانب حياتهم .

https://coptic-treasures.com/

عالم البالغين

قلنا أن بعض البالغين يتجاهلون احتياجات ابنائهم ، فيريدون أن يسحبونهم من عالمهم الخاص إلى عالم البالغين بالعنف أو السخرية مما يولد فى المراهقين كراهية لعالم البالغين ومقاومة ضد كل ما يمسه .

على العكس نجد أحياناً بعض البالغين ينتكصون إلى « الحياة المراهقة » ، فيعيشون وهم بالغون سناً مراهقين فكراً وجنساً (إن صح هذا التعبير) ؛ هؤلاء يطلبون ملذاتهم الخاصة وإشباع عواطفهم على حساب نموهم الأسرى والاجتماعى والروحى . مثل هؤلاء لايستطيعون أن يجتذبوا الشباب المراهق ، بل على العكس غالباً ما نجد المراهقين أنفسهم يمقتون البالغين الذين يتركون عالمهم إلى عالم الصغار . بمعنى آخر هؤلاء المنتكصون يفقدون حياتهم الخاصة ، وتقدير البالغين كما المراهقين لهم ، ويصيرون أمثلة سيئة لهم .

ليبق البالغ فى عالمه لكن فى اتساع قلب نحو المراهقين ، حتى بالحب يمد يده ليسند كل مراهق فى نموه ، ويرتفع به تدريجياً إلى الحياة الناضجة .

أريد أن اقتطف عن القديس يوحنا ذهبى الفم تشبيهه الخاص بتربية الأطفال وتعليمهم المشى . فالمربية الحكيمة هى التى تنحنى بظهرها حتى تصير كطفلة لتمد يديها وتمسك يدىْ الطفل وتمشى به قليلاً ثم تتركه فجأة ، وتكرر ذلك مرة ومرات فيتعلم المشى . إنها تنحنى أمام الطفل وتسير معه لكنها لا تصير طفلة ، بل تسنده وتعلمه وتنميه بلمسات الحب والاهتمام . هكذا بالحب ننحنى نحو ابنائنا المراهقين ، ونمد أيدينا لهم لا فى عجرفة واعتداد بالذات وإنما بروح الخضوع والود، لكى نسير معاً فى طريق النمو المستمر .

إن كان أحد المراهقين قد انحرف وسقط فإنه يليق بمن يريد أن يقيمه — كما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم — أن يثبِّت قدميه أولاً ثم ينحنى قليلاً قليلاً ليمسك بيده ، ويرتفع به بالحب . إنه ينزل إليه لا ليسقط معه بل ليرتفع الاثنان معا ! .

https://coptic-treasures.com/

أختم حديثى بتأكيد تقديرنا لعالم المراهقين كما لعالم البالغين إن تقدّس هذا وذاك فى الرب لكى ينمو الكل معاً نحو هدف أسمى من أجله نعيش .

---

(1) Josh McDowell : What I wish my parents knew about my sexuality, California 1987, p.50.

(2) Ibid 51.

(3) Ibid 65.

+ + +

https://coptic-treasures.com/

١٤
الانحرافات الجنسية

حاولت فى المقالات السابقة إبراز الجانب الإيجابى لمفهوم الجنس والعفة دون التركيز على السلبيات ، حتى يمكننا أن نسند كل نفس جريحة لتجد رجاءها فى القيام فى حياة مقدسة فى الحب . الآن ، أشعر بواجبى أن أكتب فى شىء من الإيجاز عن الانحرافات الجنسية لأجل الكشف عنها حتى لايسقط الشباب فيها ، ولمعالجة من كان ساقطاً .

تزايد نسبة ممارسة الانحرافات الجنسية

اكتشفت أول حالة لمرض الإيدز Aids فى صيف ١٩٨١ بأمريكا[١] تبعها دراسات جادة لهذا المرض الذى يعتبر أخطر مشكلة صحية فى العالم فى القرن الحاضر [٢] ، تنتقل العدوى به غالباً بواسطة الممارسات الجنسية الشاذة وخلال الممارسات الجنسية بين الجنسين إن كان أحدهما قد أصيب خلال علاقته الجنسية بآخر مارس الشذوذ[٣] ... لقد حَسب الكثيرون هذا المرض صوتاً منذراً للبشرية التى تجرى سريعاً نحو قبول الانحرافات الجنسية بكل صورها كأمر طبيعى وكحق للإنسان ليشبع احتياجاته ... هذا الاكتشاف جعل البعض يعطى اهتماماً لدراسة الانحرافات الجنسية بصورة أعمق . لقد صارت ظاهرة انتشار الممارسات الجنسية قبل الزواج ، أو الممارسات خارج الزواج بين الجنسين ، أو الشذوذ الجنسى وغير ذلك فى تزايد مستمر فى السنوات الأخيرة كثمرة طبيعية لعدم إدراك المفهوم الإيجابى والقدسى للجنس والجسد ، ولإنحراف البشرية نحو الفردية القاتلة والذاتية عوض بث الروح الجماعى المِعْطَاء ، ولتجاهل الإنسان للنعمة الإلهية المجانية واهبة التقديس .

إن كانت بعض المجتمعات القديمة خلال الكبت وحرفية التدين وجمود الفكر مع الجهل قد دفعت الكثيرين إلى الانحراف ، فإن بعض المجتمعات الحديثة خلال الإباحية التى بلا ضابط وفقدان قدسية النظرة لكل ما هو فى داخل الإنسان

https://coptic-treasures.com/

وخارجه قد سحبت الكثيرين أيضاً إلى الانحراف ... وكما سبق فكررت أن الإنسان فى كل عصر يحتاج إلى الشبع الداخلى مع اتساع الفكر والتمتع بأبوة الله المشبعة والحانية لكى يعيش الحياة المقدسة بفرح وبهجة قلب .

إن عدنا إلى العصور القديمة نجد الأمم قد انغمست فى الانحرافات الجنسية بسبب الفراغ الداخلى ، تستَّرت عليه بالتدين . فيذكر لنا Otto karrer[٤] أن الأمم تطلعت إلى الجنس أنه هو الحياة ، فنسب البعض لله الجنس الإنسانى بكونه واهب الحياة . وربط البعض قدسية هياكل العبادة بالدعارة، ووجُدت تماثيل وصور للأعضاء الجنسية للذكور والإناث فى الهياكل ، يتعبدون لها[٥] . يذكر[٦] E. C. Messenger أن اليونان والرومان كانوا يتعبدون للآلهة أحياناً بتقديم عبادة دنسة كمقدسات لها ، مثل عبادة الإلهة أفروديت Aphrodite ، وأن المهاتما غاندى Mahtsma Gandi نفسه فى دفاعه عن الهندوسية أشار إلى تصرفات فاسدة شوهت المعابد الهندية ، ومع ذلك فهو يحبها[٧] .

فالانحرافات ليست وليدة هذا العصر إنما هى وليدة فراغ داخلى فى الإنسان أينما وُجد ومتى وُجد ، مقدماً كل المبررات لممارستها ، ظاناً أنه يجد فيها شبعه .

أنواع الانحرافات

غالباً ما تقسم الانحرافات الجنسية إلى ثلاثة أنواع :

١ ــ ممارسات خاصة بالشخص نفسه Autosexual .

٢ ــ ممارسات مع ذات الجنس (الشذوذ) Hemosexual .

٣ ــ ممارسات مع الجنس الآخر Hetersexual .

+ + +

ممارسات خاصة بالشخص نفسه

AUTOSEXUAL

لا أريد الدخول هنا فى التفاصيل الخاصة بالانحرافات الجنسية ، أيا كان

https://coptic-treasures.com/

نوعها، إنما أود إيضاح الخطوط العريضة مع التركيز على العلاج الإيجابى .

غالباً ما تقسم الممارسات الخاصة بالشخص نفسه إلى :

١ ــ الأفكار والخيالات الجنسية Sexual thoughts & fantasies : وقد سبق لنا الحديث عن تقديس الفكر . الإنسان بطبعه لايقدر أن يتوقف عن التفكير ، لذا فهو فى حاجة إلى التمتع بحياة داخلية مقدسة لكى يصدر عنها أفكاراً مقدسة.

وجود الأفكار الجنسية الشريرة خاصة ما قبل النوم مباشرة تكشف عن فراغ داخلى ، لذا تعالج بالعمل الإيجابى خلال الحياة اليومية . انتظاراً لمجىء السيد المسيح كعريس حقيقى للنفس كفيل أن يملأ الفكر فلا تجد الأفكار الجنسية والخيالات لها موضعاً فينا .

٢ ــ الافرازات الليلية (الاحتلام) Nocturnal emissions : تصدر أحياناً كأمر طبيعى كفائض لإفرازات فى الجسم ، وذلك على فترات طويلة . أما إذا تكررت مع وجود أحلام دنسة فهذا يعنى فى الغالب عدم تقديس حياة الإنسان الداخلية . إنه محتاج إلى مراجعة نفسه على ضوء عمل روح الله القدوس ، حتى يستطيع القول : « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » (نش ٥ : ٢) .

٣ ــ العادات السرية (الشريرة) Masturbation : بمعنى أنه يثير الإنسان نفسه بنفسه ثم يطفىء هذه الثورة بطريق أو آخر .

كلمة Masturbation مشتقة من كلمتين : manus أى يدّ ، stuprare يعنى « يدنس to defile »[٨] ، ذلك لأنها غالباً ماتمارس باستخدام اليد . يرى البعض أنها مشتقة من كلمتين أخريتين : « mas » تعنى « زرع الرجل male seed » و « turbatio » وتعنى « إثارة excitement » .

يحاول البعض الآن أن يصور هذه الممارسات أمراً طبيعياً ، لا يسبب انحطاطاً روحياً ولا أمراضاً جسدية أو نفسية ، لكنها بلا شك تمثل فراغاً شديداً فى الداخل، وانحرافاً عن غاية الله فينا من جهة الجنس . الإنسان المحمول بالنعمة الإلهية يجد راحة فى جسده وأفكاره وأحاسيسه فلا يحتاج إلى مثل هذه الأمور .

https://coptic-treasures.com/

غالباً ما يسقط فيها المراهق (أو المراهقة) خلال تعرفهم عليها من أصدقائهم وجهلهم للجنس بفهم روحى سليم . متى سقط فيها الإنسان مرة بهدف المعرفة أو الخبرة ، يجد نفسه يمارسها خاصة عندمايرى منظراً جنسياً مثيراً أو يقرأ كتاباً رخيصاً أو عندما يتعرض لتعب نفسى . هذا وكثير من الشباب الساقطين فيها يحتاجون إلى « الثقة » ، فإن الخوف منها وعدم الثقة فى النفس ــ فى الرب ــ يحطمانهم .

من التداريب العملية للإنسان عندما يشعر بالرغبة فى ممارستها :

(ا) يصرخ إلى الله فى قلبه طالباً العون .

(ب) يترك مكانه ولا يستكين ... إن أمكن يخرج من البيت ويذهب إلى أقرب كنيسة أو صديق .

(جـ) يقرأ كتاباً محبوباً لديه ، أو يتصل بصديق روحى يتحدث معه فيما يبنيه .

+ + +

الشذوذ الجنسى ومرض الإيدز

HOMOSEXUALITY & THE AIDS

فى بداية السبعينات إذ كنت أخدم بالولايات المتحدة الأمريكية ، فى احدى الولايات سألنى خادم : لماذا تُحرّم الكنيسة الشذوذ الجنسى ؟ ما ذنب الإنسان الذى بالطبيعة لايميل للجنس الآخر بل لذات جنسه ؟ هذا وفى ذات السنة على ما أذكر فى ديسمبر ١٩٧١ نشرت إحدى المجلات الأمريكية مقالاً عن زواج رجل برجل ! ... تزايد هذا الاتجاه فوُجدت نوادٍ خاصة للدفاع عن حقوق الشواذ جنسياً ، بل وفى بعض البلاد صار الزواج من ذات الجنس أمراً قانونياً .

إنه تيار خطير منطقه أن هذا الشذوذ أمر طبيعى فى حياة أناس لا ذنب لهم فيه ؛ لكن جاء مرض « الإيدز » لغة تناسب هذا التيار الجارف لتنذر وتحذر من الانحراف ، تُرعب من يلهو بالجنس خاصة بالنسبة لممارسة الشذوذ .

https://coptic-treasures.com/

سُئل شاب من أمريكا الشمالية عن ممارسة الجنس ، فقال إنه كان يمارسه دون حذر ، أما بعدما عرف عن الإيدز فصار يراجع نفسه عشرة مرات قبل أن يقدم على ذلك .

لست أقول هذا من باب التخويف ، فإنني لا أومن بالطهارة التي تنبع عن الخوف والكبت ، وإنما عن الشبع الداخلي وتقديس النفس والجسد وإدراك الإنسان لرسالته . لكنه في نفس الوقت يجب الحديث عن « الإيدز » بكونه موضوع الساعة ، يشغل أذهان الكثيرين ويرعبهم ... وقد فضلت الكتابة عنه بإيجاز نقلاً عن مصدر طبي علمي British Medical Journal » ، مجلد ٢٩٤ ، ٢٥ أبريل ١٩٨٧ ، مايو ١٩٨٧، ٢٠ يونيو ١٩٨٧ ؛ وعن World Health يونيو ١٩٨٧ .

مرض الإيدز

اكتشفت أول حالة لهذا المرض في صيف ١٩٨١ في أمريكا ، إلا أن الفيروس الخاص به اكتشف لأول مرة سنة ١٩٨٣ . وهو مرض يكاد يفقد الجسم كل مقاومة ، لم يُعرف له بعد علاج ، يعتبر حالياً أخطر مرض يسبب الموت المبكر .

ليس كل حاملي الفيروس تظهر عليهم علامات مرض الإيدز ، فقد يحتضن الإنسان الفيروس ما بين ٢ ١/٢ ، ٥ سنوات قبل ظهور المرض .

تختلف المدة التي يعيشها المريض بعد تشخيص المرض حسب الأعراض المرضية المصاحبة للمرض ، ففي أمريكا إذا عانى المريض من التهاب رئوي يعيش تقريباً ٩ شهور ، أما المريض الذي يعاني من سرطان العظام فيعيش حوالي ٣١ شهراً ، وفي إنجلترا من يصاب منهم بالالتهاب الرئوي يعيش حوالي ١٢ ١/٢ شهراً أما من يُصاب بالسرطان فيعيش ٢١ شهراً .

بجانب المعاناة الجسدية وفقدان الإنسان مقاومته ضد الأمراض ، صار هذا المرض مصدر خسائر مادية ، فالمريض الواحد في نيويورك يكلف المستشفى حوالي ١٣٤٠٠٠ دولاراً ، وفي سان فرانسيسكو ما بين ٢٥ و ٣٢ ألفاً من الدولارات ، وفي إنجلترا من ٧ إلى ٢٠ ألف جنيهاً إسترلينياً ؛ بجانب وفاة أناس في سن مبكرة مما

https://coptic-treasures.com/

يؤثر على إنتاج البلاد .

تقدر تكاليف العناية الطبية بمرض الإيدز بأمريكا سنة ١٩٩١ بمبلغ ١٦٠٠٠ مليون دولاراً (٩) .

انتقال المرض

يوجد الفيروس فى سوائل الجسم التالية : السائل المنوى ، الإفرازات المهبلية ، السائل النخاعى ، الدموع ، اللعاب ، البول ، حليب اللبن .

تنتقل العدوى هكذا :

١ ــ خلال الممارسات الجنسية ، خاصة الشذوذ الجنسى ، (فى إنجلترا نسبة العدوى بالشذوذ الجنسى ٨٩٪ بينما فى الولايات المتحدة الأمريكية ٧٣٪) .

كما تنتقل العدوى خلال العلاقات الجنسية بين الجنسين ، فإذا ما أصيب رجل به خلال الشذوذ ينقله إلى الجنس الآخر خلال الممارسة الجنسية ، وهى تنقله إلى كل من يمارس الجنس معها . هكذا خلال العدوى صارت العلاقات الجنسية بنوعيها تمثل خطراً .

٢ ــ ينتقل خلال الإبر الملوثة عند نقل الدم ، خاصة بالنسبة للمدمنين .

٣ ــ ينتقل خلال الأم إلى الجنين فى الرحم أو أثناء ولادته أو من الرضاعة (خلال اللبن) .

٤ ــ ينتقل خلال زرع أعضاء فى الجسم مصابة به .

هذا وقد انتقل هذا المرض من القرد إلى الإنسان فى جنوب أفريقيا خلال الجنس ، ومن جنوب أفريقيا إلى أمريكا الشمالية خلال الشذوذ الجنسى ... وصار الموقف الآن يمثل خطورة صحية على من يمارس الجنس وتعاطى المخدرات بالحقن وعمليات نقل الدم الملوث .

جاء التحذير بعدم قبول نقل دم من الفئات التالية :

١ ــ أى رجل مارس الجنس مع رجل آخر فى أى وقت منذ عام ١٩٧٧ .

https://coptic-treasures.com/

٢ ــ مدمنى المخدرات عن طريق حقن الوريد ، سواء كانوا رجالاً أو نساءً ، ماداموا قد حقنوا فى الفترة ما بين سنة ١٩٧٧ حتى الآن .

٣ ــ المرضى بسيولة الدم الذين تم بالنسبة لهم مركبات دم غير مسخنة منذ عام ١٩٧٧ .

٤ ــ من زار أفريقيا (الصحراء الجنوبية) منذ ١٩٧٧ ومارس الجنس مع رجل أو امرأة هناك .

٥ ــ من مارس الجنس مع إنسان من الفئات السابقة ، سواء تم ذلك مرة واحدة أو بطريقة منتظمة .

هذا التحذير قدمته هيئة « خدمة نقل الدم القومى » عام ١٩٨٧ .

فيما يلى إحصائية عن مرضى الإيدز فى الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا حتى مارس ١٩٨٧ .

إحصائية عن الإيدز بين البالغين حتى مارس ١٩٨٧

مجموعة المرضى	الولايات المتحدة الأمريكية		المملكة المتحدة	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الشذوذ الجنسى بين الرجال	٢٠٦٧٨	٦٦	٦٤٠	٨٨
تعاطى المخدرات بالحقن الوريدى	٥٣٤٤	١٧	١٠	١,٥
الشذوذ مع تعاطى المخدرات بالحقن	٢٤٣٣	٧	٨	١
سيولة الدم Haemophilic	٢٦٦	١	٢٨	٤
نقل الدم	٦٠٢	٢	١٢	٢
علاقات جنسية بين الجنسين	١١٨٤	٤	٢٥	٣
عوامل أخرى	١٠١٩	٣	١	٥ ــ
٣١٥٢٦ المجمــوع	١٠٠	٧٢٤	١٠٠	
نسبة المصابين من الرجال :		٪٩٣		٪٩٧

https://coptic-treasures.com/

أعلنت جامعة كاليفورنيا بأنه حتى الآن لايوجد دليل على نقل الفيروس عن طريق :

١ ــ اللعاب .
٢ ــ الناموس والبعوض والقمل والبق .
٣ ــ حمامات السباحة .
٤ ــ الفم مثل استخدام أدوات المريض الخاص بالشرب أو الأكل .
٥ ــ المراحيض .
٦ ــ التنفس ، فالإنسان لا يُصاب لمجرد وجوده مع المريض فى مكان واحد .

واضح من الإحصائية السابقة وإعلان جامعة كاليفورنيا أن الخطر يكمن فى نقل الفيروس خلال العلاقات الجنسية ــ خاصة الشذوذ الجنسى ــ وتعاطى المخدرات بحقن الوريد .

+ + +

ممارسات مع الجنس الآخر
HETERSEXUAL

كل أنواع الانحرافات الجنسية هى ثمرة فراغ داخلى فى النفس ، تنحرف بالإنسان خارج الهدف الإلهى من الجنس فتفقده قدسيته ، وتحطم حياتنا .

بالنسبة للممارسات مع الجنس الآخر ، فيظن البعض أنها أمراً طبيعياً غريزياً من متطلبات الجسد ، ويحاول بعض المراهقين تبريرها بالدعوى أنها لازمة قبل الزواج لكى يتمتع الإنسان بالخبرة الواقعية للجنس كسند له فى حياته الزوجية المقبلة .

هذه الخبرة فى حقيقتها ليست إلا رغبة فى التمتع باللذة الجنسية تحت ستار اقتناء الخبرة ، ومع هذا يدفع الشباب ثمناً باهظاً لهذه اللذة ، ألا وهو :

١ ــ تحطيم العواطف والمشاعر : فالشاب الذى يلتصق بفتاة ليعيشا فى وحدة الجسد ، يمارسان الجنس قبل الزواج premarital intercourse دون أى اعتبار

https://coptic-treasures.com/

للنضوج الفكرى والعاطفى والاجتماعى والروحى يختبرا اللذة الوقتية ويحسبانها الحياة السعيدة المملؤة حباً ، لكن سرعان ما يفترق الإثنان ليجد كل منهما طرفاً آخر أكثر جاذبية له ، ومع كل افتراق يحدث تحطيم للعواطف والمشاعر يصعب علاجه .

فى حديث مع فتاة نشأت فى أمريكا تحدثت بصراحة عن نفسيتها المحطمة ، فهى تعيش مع شاب تمارس معه الجنس ، وتقضى بعض الليالى مع الأصدقاء فى لهو ومرح ، لكن فى أعماقها فقدت كل طمأنينة . إنه ليس بالشاب الأول فى حياتها وتتوقع أنه لايكون الأخير ؛ إنها تعيش فى لهو بلا طعم حقيقى .

بعض الشباب من الجنسين يشعرون بتأنيب ضمير عميق فى النفس بعد ممارسة الجنس ، خاصة فى المرات الأولى ، إذ يدركون أنها علاقات وقتية بلا أساس حقيقى ، بانتهائها يتحطم الطرف الآخر بعدما تعلق عاطفياً ... البعض ينهار نفسياً وعصبياً ، ويحتاج إلى علاج .

غاية العلاقات العاطفية والجنسية فى الغالب هو الزواج ، فإن تهيأت نفسية الإنسان لهذا الهدف ولم يتحقق يشعر بالفشل فى أمر يمس كل حياته وكيانه .

٢ ــ فقدان النظرة القدسية للزواج ، إذ يصير الجنس بالنسبة لمن سبق فمارسه يمثل الجانب الأعظم من حياته الزوجية ، كما تسيطر اللذة على فكره الأسرى .

سجّل أحد المتزوجين الذين مارسوا الجنس قبل الزواج خبرته فى هذا الأمر :

(لم أشعر قط أننى خُدعت حتى جاءت ليلة زفافى حينما دخلنا إلى حجرتنا بالفندق . كنت أتهيأ لهذه الليلة التى تُحسب أكثر ليالى عمرى رومانسية ؛ لكننى إذ تطلعت إلى المرآة وجدت أننى أقوم بما سبق فصنعته من قبل . يالها من خيبة أمل ! ما الذى يثير مشاعرى ؟! لايوجد شىء جديد ! شعرت أنها ليلة كسائر كل أيام حياتى التى ضاعت منى ! هذا هو السم القاتل لقلبى ! .

مرت الشهور وأنا فى إحباط وضيق ؛ لقد كنا نستخدم الجنس قبل الزواج بطريقة أكثر مزاجاً (fun) ، فماذا حدث ؟ .

https://coptic-treasures.com/

كنا نصارع مع الجنس لمدة عام ؛ وكانت فينا جذور عدم الصفح القبيحة ، والخطية التى ارتكبناها ضد أنفسنا وضد الرب . كنا نتحطم ، فذهبنا إلى أصدقاء حميمين قدموا لنا مشورة وصلاة ، وقبلنا المغفرة من الله ، فصارت الأمور على مايرام [١٠]) .

إذن ممارسة الجنس تحوّل الحياة إلى لهو ، وتفقد الزواج قدسيته وغايته ، الأمر الذى له آثاره المتعددة ، منها تزايد رغبة الكثيرين فى عدم الإنجاب تماماً . سألت البعض ، فكانت إجابتهم : « لماذا ننجب ؟ لماذا نتحمل مسئولية الأطفال والالتزام بالإنفاق عليهم والاهتمام بهم ؟ لماذا لا نعيش فى جرية نقضى أيامنا فى ترف ؟ » إجابات تكشف لنا عن إنحراف الحياة الزوجية من حياة عطاء وبذل ووحدة إلى انغلاق على اللذة الشخصية بروح الفردية الخانق ، وتضخيم للأنا ego بصورة تحطم حتى الطبيعة (مثل الأبوة والأمومة) .

٣ ــ الممارسات السابقة للزواج لا تقدم الخبرة التى تسند الشخص فى حياته الزوجية إنما تمهد فى الغالب لتحطيم الثقة المتبادلة بين الزوجين وبالتالى تقبر الحب الزوجى . فالزوجان اللذان عاشا فى شبابهما ــ حتى فى فترة خطوبتهما ــ يستعذبان العفة يثقان فى إخلاصهما لبعضهما البعض ، حتى إن حالت الظروف بينهما عن الممارسات الجسدية إلى حين لسبب أو آخر كالسفر أو المرض ، يدرك كلا منهما إخلاص الآخر له ــ فى الرب ــ وحبه له المرتفع فوق حدود اللذة .

أذكر أننى تدخلت فى مشكلة زوجية فى المهجر ، وكان لسبب أو آخر أنهما فارقا بعضهما البعض لمدة حوالى شهر . جاء الزوج يشكى لى زوجته ، بأن ابنهما قد روى له كيف كانت ترافق رجلاً غريباً معها أثناء الليل . فى البداية أنكرت ،

لكنها عادت تقول له : « أنت تعلم إننى لا استطيع أن أعيش بدون الجنس ! » . كانت إجابته لها : « لماذا عشت أنا طول هذا الشهر مخلصاً لك ، لم أقبل الالتصاق بغيرك بالرغم من وجود الخلافات الزوجية بيننا ؟ لقد فقد الرجل ثقته تماماً ، وشعر أنه إن سافر أو مرض إلى حين تخونه زوجته ! .

https://coptic-treasures.com/

مرة أخرى أذكر إنساناً فى السنة النهائية فى الجامعة جاءنى يشكو نفسه . لقد ارتبط بزميلة طوال ٤ سنوات ، يحبها جداً ، ويقدّر أخلاقها وطبعها ، لكنها إذ فى النهاية سلمته جسدها مرة فقد كل الثقة فيها ... مع أنه مشترك معها فى الخطأ . لقد شعر أن التى تسلم جسدها حتى لخطيبها قبل الزواج لاتقدر أن تضبط نفسها فى عفةٍ إن أغراها آخر . هذه مشاعر الكثيرين من الجنسين ، متى سقط طرف ــ خاصة فى فترة الخطوبة ــ فى هذه العلاقات فقد الآخر ثقته فيه .

٤ ــ ممارسة العلاقات الجنسية قبل الزواج تقدم للشخص خبرة « الرغبة فى التغيير » . يرى الإنسان الجنس حقاً شخصياً يمارسه كأمر إلزامى بالطبيعة دون الالتزام بمسئولية ، والإخلاص لشخص واحد يلتصق به فى الرب كل أيام حياته ، يحبه حتى يجتاز حياته الزمنية مشتاقاً أن يمارس معه الوحدة فى كل شىء . خبرة الرغبة فى التغيير تخلق عدم استقرار ، نتيجته تزايد نسبة الانفصال والطلاق دون أى اعتبار للروابط الأسرية أو إشباع احتياجات الأولاد .

فى بداية السبعينات دُهشت فتاة مصرية التحقت بالجامعة فى أمريكا الشمالية لأن بعض زملائها كادوا لايصدقونها أنها تعيش مع والديها ... لقد قالت لها إحدى زميلاتها : « كيف أمكن لوالدتك أن تعيش مع والدك ٢٥ عاماً دون تغييره ؟ » .

فى زيارة لعائلة قبطية تعرفت على سيدة فوق الخمسين ، كانت حديثة الزواج ، وكان رجلها هو الزوج السادس فى حياتها . سألتها عن خبرتها فى الزواج ، فأجابت : « إنه تجارة business مربحة ! » . هكذا تحول الزواج حتى من الرغبة فى التغيير المستمر إلى تجارة مربحة فى نظر البعض ! .

٥ ــ ثمر الممارسات الخاطئة والسابقة لأوانها أن يفقد الإنسان إحساسه بالالتزام الحق حتى بالنسبة لأبنائه ، فما أن يبلغ الابناء سناً معيناً حتى يود الانسان الخلاص منهم ، غالباً قبل إتمام دراستهم الجامعية ، حتى يتفرغ هو لمتعته الذاتية .

٦ ــ هذه الممارسات تحول الإنسان كما إلى جسد بحت ، حتى عواطفه ومشاعره تنهار على المدى البعيد . لعله هذا هو أحد الأسباب الرئيسية لمعاناة

https://coptic-treasures.com/

البعض من الشعور بالعزلة والوحدة بالرغم من كثافة الجهود التى تبذلها الدول والجماعات المختلفة لخلق جو اجتماعى مبهج وخدمات مستمرة لكل الأعمار ، تقوقع الإنسان حول لذة الجسد يحطمه داخلياً ، فتصير العزلة مشكلة تمس أعماقه وليست خاصة بالظروف المحيطة به . لذا تكثر الأمراض النفسية والعصبية فى المجتمعات المتحضرة ، لا لأن الحضارة هى السبب ، وإنما لأن انحلال الإنسان وحصر حياته فى لذة الجسد يحطمانه .

٧ ــ الممارسات السابقة لأوانها تفقد الإنسان متعته بالشركة مع الله كحياة حب خالد . انغماس الإنسان فى شهوات الجسد تعزل الإنسان عن خالقه ، كقول القديس أغسطينوس إن وراء كل إلحاد شهوة . فالإنسان إذ يهبط إلى شهواته الذاتية لايستطيع أن يتذوق عذوبة الحب الإلهى ، فيصير الله بالنسبة له مجرد فكرة مجردة ، أو خيالاً ، أو كائناً منعزلاً فى سمواته ، لايشارك الإنسان حياته ولا يدرك خبراته الواقعية . فيعالج الإنسان وخزات ضميره بمحاولته إنكار الإيمان .

إيماننا بالله أنه أب لايطلب حرماننا وكبتنا بل شبعنا وفرحنا وبهجة قلبنا ، وأنه واهب الحكمة ، وأيضاً القدير والعالم بكل شىء ... يجعلنا نقبل وصيته فنمتنع عن هذه الممارسات فى غير موضعها أو فى غير أوانها . إنه الأب الذى يمنع ابنه من الجرى فى الطريق المزدحم فى طفولته حتى يكبر ، لأنه يحبه ويعرف مالبنيانه . إنه يمنع الإنسان من عبور طريق الممارسات الجسدية إلى حين لبنياننا الروحى والأسرى والاجتماعى . لايطلب حرماننا بل نمونا ونضوجنا .

ممارسة الجنس قبل الزواج أشبه بمن يقطع الزهور من النبات عند ظهورها فى الربيع ليأتى وقت الخريف فلا يجد على الشجرة ثماراً ! .

٨ ــ ارتفاع نسبة متعاطى المخدرات بين المراهقين فى السنوات الأخيرة بطريقة خطيرة ، ظاهرة عالمية ترتبط بلاشك مع ظاهرة التسيب الفكرى بالنسبة لممارسة العلاقات الجنسية قبل الزواج . الظاهرة الأخيرة تفقد الكثير من المراهقين الشعور بالطمأنينة الأسرية والإحساس بالدفء العائلى والاستقرار ، مما يسبب فراغاً داخلياً ، يحاولون الهروب منه بتعاطى المخدرات .

https://coptic-treasures.com/

لقد ظن البعض أنه فى ترك الممارسات الجنسية فى سن المراهقة للحرية الشخصية ما ينفس عن الكبت ، فيجعلهم يسلكون حياة طبيعية دون ارتباك جنسى . لكن ما حدث فعلاً هو أن هذه الحرية التى استخدمت فى العلاقات المنحرفة لم تُشبع قلب الشباب إنما كشفت عن فراغ داخلى عبّر عنه البعض بتعاطى المخدرات ، وفقدان جديتهم فى الدراسة والعمل والتفكير الأسرى . كثيرون متى تحدثوا فى صراحة يكشفون عن هذا الفراغ حتى صارت حياتهم بلا طعم ولا شعور بالمسئولية .

هذا ومن جانب آخر كنا نتوقع وراء هذه « الحرية » التى فى حقيقتها تحمل تسيباً ألاّ يوجد الشذوذ الجنسى ، فإذا بنا نجد فى الدول المعاصرة المتحررة تزايداً مستمراً لممارسة الشذوذ ، الأمر الذى كانوا يتهمون به المجتمعات المحافظة ويحسبونه ثمرة الكبت والحرمان . فهل عالجت الإباحية هذه المشاكل ؟ إنه سؤال يحتاج إلى إجابة صريحة وجادة متعقلة ، بعدما صار الشذوذ واقعاً ، يطالب أصحابه بحقوق يحسبونها إنسانية كالزواج من ذات الجنس الواحد ، وحسبان هذه الممارسات طبيعية بالنسبة لهم ، لا تحتاج إلى علاج بل إلى قبول وتقدير من ضمائرهم ومن الغير .

٩ ــ إن تجاهلنا قدسية الإنسان فى علاقته مع الله محبوبه الحقيقى ، نجد الطبيعة ذاتها ــ إن جاز لنا ذلك ــ قد رذلت الإباحية كما يظهر من انتشار الأمراض الجنسية خاصة الخطير منها ، إذ تُعلن عن خطورة هذا الاتجاه وتكشف أن هذه الممارسات مفسدة لحياة المجتمع الروحية والأسرية وأيضاً الصحية والاقتصادية ، إذ تكلّف هذه الأمراض العالم الكثير وتقلل من إنتاجه ، خاصة مرض الإيدز .

+ + +

أختم حديثى الآن بأن عالم الشباب يحتاج دوماً إلى يدّ الله محب البشر ليتجلى فيه ، مقدساً طاقاتهم وقدراتهم ومواهبهم وإمكانياتهم ليمارسوا نموهم المستمر ويحققوا غاياتهم بالنعمة الإلهية .

+ + +

https://coptic-treasures.com/

(1) British Medical Journal, vol, 294, 25 April 1987, p. 1083 (ABC of Aids by Michal W. Adler).
(2) Ibid, p. 1085.
(3) Ibid, p. 1085.
(4) Otto Karrer : Religions of mankind, p. 128.
(5) J Wynn : Sexual ethics & Christian responsibility, 1976, p. 2.
(6) Rew. F. C. Messenger : The mystery of sex & marriage, p. s.
(7) Ibid otto Karrer, p. 33.
(8) Philip J. Keane : Sexual Morality, a Catholic perspective, N.Y. 1977, p. 59.
(9) World Health, June 1987 (Jonathan M. Mann : The global AIDS situation, p. 16).
(10) Josh McDowell, What I wish my parents knew about my sexuality, California 1987, p. 173.

المحتـــويات

	صفحة
لا ... ولكن .	٥
١ ــ مسيح الشباب .	١٢
٢ ــ وداعاً أيتها الطفولة ! مرحباً بالنضوج !	١٧
٣ ــ دعونى أغنى ، أغنى ، أغنى ...	٣٥
٤ ــ المراهقة والجسد .	٥١
٥ ــ الحب ... رحلة النفس .	٦٠
٦ ــ لا تشترينى بالمال ... إنى إنسان .	٧٦
٧ ــ الجنس فوق العلاقات الجسدية .	٨٣
٨ ــ المراهقون وقدسية الزواج .	٩٩
٩ ــ الرجولة والأنوثة فى الحياة الزوجية .	١٠٦
١٠ ــ العفة الانجيلية والشباب المعاصر .	١١٢
١١ ــ تقديس الفكر والحياة الانجيلية .	١٢٦
١٢ ــ محتاج أن تثقا فىَ .	١٣٥
١٣ ــ الشباب وعالمه الخاص .	١٤٠
١٤ ــ الانحرافات الجنسية .	١٤٧

+ + +

https://coptic-treasures.com/

يطلب من :

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة ت { ٢٤٨٨٢٤٥٤
٢٦٨٢٥٣٧٠

مكتبة مارجرجس سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية

مكتبة القديس سمعان
10.00LE
23157
كتاب دعوني أنمو

١٠

https://coptic-treasures.com/